نعوم تشومسكي

الصدمة



9-11

الحادي عشر من ايلول

تعريب
سعيد الجعفر

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

الصدمة

الحادي عشر من ايلول

أسم الكتاب: الصـدمة (الحادى عشر من أيلول)
أسم المؤلف: نعوم تشومسكى
تعـــريـــب: سعيد الجعفر
رقم الايداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٢/١٤١٤٥
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-5346-37-1
تصميم واخراج الغلاف: وائل سلامة
أسم المطبعة: دار القبس للطباعة ت: ٣٦٤٠٨٣٥ - ٥٢٤٢٣١٤

الطبعة الأولى
٢٠٠٢

دار الكتاب العربي
دمشـــق - القـاهــرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٢٥٤٠١ ص.ب ١٣٣٤٤ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة١١ تلفاكس: ٢٩١٦١٢٢
Email:darkitab@starnet.com.eg

نعوم تشومسكي

الصدمة

الحادي عشر من ايلول

تعريب
سعيد الجعفر

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

نعوم تشومسكى

نعوم تشومسكى واحد من أهم الناشطين السياسيين فى الولايات المتحدة الامريكية. وقد بدأت شهرته الأولى من خلال إسهاماته الكبيرة فى الدراسات اللغوية. فآراءه ودراساته فى اللسانيات تُدرّس فى جامعات العالم كافة. وهو بالإضافة إلى كونه أستاذ جامعى فى هذا المجال، يُحاضر أيضاً فى المجالات الفلسفية والسياسية، وله فيها كتبٌ كثيرةٌ.

وهذا الكتاب هو مجموعة من المقابلات أجراها معه عدد من معدى المقابلات بعد أحداث الحادى عشر من أيلول عام ٢٠٠١. وقد أُجريت معظم المقابلات عبر البريد الالكترونى. وهى تفضح الزيف «الديموقراطى والإنسانى» الذى تدّعيه «دول العالم المتحضر والديموقراطى» وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

وبعد طباعة الكتاب باللغة الانكليزية بدأت دور النشر بترجمته، وفى هذه الأثناء ألقى نعوم تشومسكى محاضرة مهمة، مما حدى ببعض الدور التى لم تكن قد أنجزت الترجمة بعد إلى إضافة هذه المحاضرة إلى الكتاب. وبدوره قام مترجم الطبعة العربية بترجمة هذه المحاضرة. وقد اضفنا ملحق صور لتكون طبعه مجهزة وموثقة.

مقدمة الناشر الأمريكى

تجد فى هذا الكتاب مجموعة من المقابلات، أجراها صحفيون متعددون مع نعوم تشومسكى خلال الشهر الأول بعد هجوم ١١ أيلول ٢٠٠١ على مركز التجارة العالمى وعلى البنتاغون. جرت المقابلات بمعظمها عبر البريد الإلكترونى مع كثير من صحفيين أجانب يتحدثون الانكليزية ويكتوبنها كلغةٍ ثانية. بالرغم من أن المقابلات قد حصلت باكراً جداً وبعد ثمانية أيام من الهجوم، فقد استمرّت التعديلات والإضافات والمراجعات وفقاً لآخر التطورات حتى انطلق الكتاب إلى المطبعة فى الخامس عشر من تشرين الأول. وكانت النتيجة أن المقابلات المؤرخة فى أيلول قد تحوى إشارات لأحداث تشرين الأول. وبالتالى بُترت أثناء عملية التحرير، مقاطع تكرّرت فيها الأسئلة أو الأجوبة. غير أن وقائع ونقاطاً أخرى متكررة، قد تُركت أحياناً عن قصد لغاية التشديد والتأكيد.

وكما كتب لى تشومسكى أثناء عملية التحرير: «هذه الوقائع قد رُفعت كلياً من التاريخ، وعلى المرء عملياً أن يصرخ بها من أعلى السطوح».

جريج روجيرو
Greg Ruggiro
مدينة نيويورك

الفصل الأول

مقابلة أجرتها الـ «مانيفستو» الإيطالية في ١٩ سبتمبر ٢٠٠١م.

لم يحدث منذ حرب ١٨١٢

■ س: لم يكلف سقوط جدار برلين ضحايا، رغم كونه حدثاً غير أساساً الوضع السياسى العالمى. هل يمكن لأحداث ١١ سبتمبر أن تمتلك تأثيراً مشابهاً؟

● تشومسكى: كان سقوط جدار برلين بلا شك حدثاً مهماً جدا، وقد غير بكل تأكيد مسار السياسة العالمية ولكن ليس بالشكل الذى يتصوره الناس غالباً. وقد حاولت إيضاح طريقتى فى التفكير فى جانب آخر ولذا فإننى لا أفكر فى التعمق فى هذا الموضوع.

جريمة ١١ سبتمبر هى شىء جديد تماما الجدة فى السياسة العالمية ليس بسبب شموليتها أو طبيعتها بل بسبب ما استهدفته. فتلك كانت المرة الأولى بالنسبة للولايات المتحدة، منذ حرب ١٨١٢، التى تُهاجم فيها البلاد أو تُهدد فى الداخل. وقد قلن بعض المعلقين بمقارنة ذلك ببيرل هاربر، بيد أن ذلك الأمر كان مضللاً، ففى يوم ٧ ديسمبر ١٩٤١ هُجمت قواعد عسكرية فى مستعمرتين أمريكيتين، أما البلاد نفسها فلم تهدد. وقد فضلت الولايات المتحدة تسمية هاواى بالأرض الأمريكية بيد أنها فى الحقيقة مستعمرة. فخلال القرن المنصرم أفنت الولايات المتحدة السكان الأصليين (الملايين من البشر)، كما

احتلت نصف المكسيك (وهى فى الحقيقة أرض السكان الأصليين، رغم أن هذه قصة أخرى) وتدخلت بقوة السلاح بالمناطق المحيطة بها واحتلت هاواى والفيليبين (وقتلت مئات الآلاف من الفيليبينيين) وبدأت باستخدام العنف بوتيرة متصاعدة، بشكل خاص فى السنين الخمسين الأخيرة، فى جزء أوسع من العالم. فعدد ضحايا تلك السياسة عالٍ بشكل يصعب تصديقه. وللمرة الأولى يُوجه السلاح إلى الجهة المعاكسة. وهذا تغيير دراماتيكى.

وينطبق الشىء نفسه على أوروبا، وهو هنا يحمل دراماتيكية أكبر، فقد تكبدت القارة الأوروبية دماراً هائلاً، لكنه كان نتيجة لحروب داخلية. واحتلت الأمم الأوروبية خلال الفترة ذاتها أجزاء أكبر من العالم وبوحشية منقطعة النظير. وباستثناء أمثلة نادرة فإن الأوروبيين لم يُهاجَموا فى عقر دارهم من قبل ضحاياهم. فلم تهاجم إنكلترا من قبل الهند، ولم تهاجم بلجيكا من قبل الكونغو. ولم تهاجم إيطاليا من قبل أثيوبيا، ولم تهاجم فرنسا من قبل الجزائر (التى لم تكن هى أيضاً «مستعمرة» من وجهة النظر الفرنسية). ولذا فليس غريباً أن يُصاب الناس فى أوروبا بصدمة مما حدث يوم ١١ أيلول.

ولكن للأسف فحتى فى هذه الحالة لا يتعلق الأمر بشمولية التدمير. كما أنه لا يمكن لأحد أن يتنبأ بما سيجلبه هذا الأمر بالضبط.

■ **س: لدى انطباع مفاده انه سوف لن تترتب بعد هذه الهجمات خارطة سياسية جديدة، بل إن الأمر يؤكد وجود مشكلة داخل الإمبراطورية ذاتها، حيث يتعلق ذلك بالسلطة السياسية والعولمة. فماذا تعتقد؟**

● تشومسكى: ينتمى المنفذون المحتملون إلى فئة خاصة، لكنهم بالتأكيد يجدون الإسناد من خلال الحنق والمرارة الكبيرة من السياسة الأمريكية فى المنطقة والتى يرونها أشنع من كل مافعله مستعمروهم السابقون. فالأمر يتعلق هنا بالتأكيد بالسلطة السياسية والدولة.

عقب الهجمات مباشرة شدّدت وول ستريت جورنال على ما يفكر به «مسلمو عالم المال»: موظفو البنوك، الأكاديميون ورجال الأعمال المرتبطون بالولايات المتحدة. فهم يعبرون عن ذعرهم وغضبهم على دعم الولايات المتحدة للدول الاستبدادية فى المنطقة ومن خلال العوائق التى تضعها فى طريق التطور المستقبلى والديمقراطية السياسية من خلال سياستها فى دعم «الأنظمة». بيد أن هناك أمراً آخر يشغل بالهم: موقف الولايات المتحدة من العراق ومن الاحتلال العسكرى الإسرائيلى. وتوجد المشاعر ذاتها لدى الفئات الواسعة من الفقراء والمعذبين لكن المشاعر هذه المرة أكثر أسىً فلا تشعر هذه الفئات بالتأكيد بالغبطة.... حين ترى ثروات بلادها تساق إلى الغرب وإلى قلة من النخب المتأثرة بالغرب وإلى الحكام المدعومين من قبل الغرب. ولذا ففى تلك الحالة توجد مشكلة مصدرها السلطة السياسية والدولة. لقد قاد رد الفعل المباشر للولايات المتحدة إلى تفاقم تلك المشاكل. وقد كان ممكناً بالتأكيد تجنب تلك المشاكل، فالنتائج التى أفرزتها تلك الأفكار مهمة جداً.

■ **س: هل تواجه الولايات المتحدة مشاكل فى السيطرة على عملية العولمة، وبذلك لا أعنى فقط المسائل التى تمس الأمن القومى أو الأجهزة المخابراتية؟**

● تشومسكى: لا تسيطر الولايات المتحدة على مشاريع العولمة للشركات الكبرى، بالرغم من كونها تلعب فى الواقع دوراً كبيراً. ولقد خلقت هذه المشاريع معارضة واسعة، بدرجة رئيسة فى الجنوب، هناك حيث أمكن غالباً تجاهل أو منع الاحتجاجات الجماهيرية الطابع، وقد وصلت هذه الاحتجاجات فى السنة الأخيرة حتى إلى البلدان الغنية، ولذا فقد خيم ذلك كغيمة قلق جديدة على الممسكين بزمام السلطة، الذين بدأوا بشعرون بحق بكونهم فى موقع الدفاع.

وتوجد أسباب ملموسة جداً تقف وراء المعارضة التى تشمل العالم كله ضد

الشكل الخاص من العولمة ألا وهى العولمة الموجهة للاستثمار. لكننى أعتقد أن الوقت غير مناسب الآن للتعمق فى هذا الموضوع.

■ **سؤال: «القنابل الذكية» فى العراق، «التدخل الإنسانى» فى كوسوفو. لا تستخدم الولايات المتحدة أبداً مفردة «حرب» فى مناسبات كهذه. أما الآن فيجرى الحديث عن حرب ضد عدو مجهول الاسم. لماذا؟**

● تشومسكى: استخدمت الولايات المتحدة فى البداية مفردة «حرب صليبية» بيد أن جرى سريعاً الانتباه إلى أنه لو ارتجوا أملا فى الحصول على دعم من حلفائهم فى العالم الإسلامى، فإن هذا الاختيار للكلمات هو خطأ شنيع. ولذا فقد جرى استبداله بمفردة «حرب». فحرب الخليج عام ١٩٩١ سميت «بالحرب». أما قصف صربيا فسمى «بالتدخل الإنسانى»

- وهو لم يكن على أية حال اختلاق جديد. فتلك كانت صياغة تقليدية استخدمتها الدول الاستعمارية الأوروبية خلال تدخلاتها فى القرن التاسع عشر. ولتقديم أمثلة من فترة أحدث أشير إلى الإنجاز العلمى الأكبر الأخير بخصوص «التدخلات الإنسانية» فى ثلاثة أمثلة قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة: اجتياح اليابان لمنشوريا، واجتياح موسولينى لأثيوبيا، واحتلال هتلر لسوديتنلاند، ولا يقصد واضع المصطلح أنه مصطلح صحيح، بل هو يشير فقط إلى كون الجرائم التى ارتكبت تحت غطاء أنها كانت «إنسانية». فبأى حق اعتبر التدخل فى كوسوفو إنسانياً، وقد تكون تلك هى الحالة الأولى فى التاريخ. ويحسم الأمر من خلال تلك الحقائق تتكلم: فهنا لا تنفع التصريحات الحماسية، لأنه إذا لم يوجد سبب آخر فإن كل التدخلات بالقوة جرى إعطاؤها غطاءاً شرعياً من خلال أفكار كهذه. فالذى يثير الانتباه هى الطريقة السمجة التى بنيت بها القرائن التى تعطى الأحقية للآراء التى تقول إن ماحدث فى

كوسوفو كان مساهمة إنسانية. ولا توجد تلك الآراء فى الحقيقة، إلا نادراً. فالأسباب الرسمية التى طرحتها الحكومة كانت من صنف آخر تماماً، وهذا موضوع آخر كتبت عنه بالتفصيل فى مكان آخر.

ولكن حتى العذر المختلق «تدخل إنسانى» لايمكن استخدامه بالطريقة المتعارف عليها فى الوضع الحالى. ولذا فلا يبقى سوى استخدام مفردة «حرب». أما التعبير الصحيح المفترض استخدامه فهو «جريمة بحق الإنسانية» كما عبر عن ذلك روبرت فسك Robert Fisk. بيد أنه توجد قوانين تعاقب على الجريمة: تشخيص المجرمين، ووضعهم تحت طائلة العقاب. وهذا هو الطريق الذى تبذل جهوداً للسير فيه فى الشرق الأوسط، من قبل الفاتيكان ومن قبل آخرين كثر. لكن تلك الحالة تتطلب أدلة ملموسة الأمر الذى يترك الميدان مفتوحاً أمام أسئلة خطرة، ونسوق للمثال فقط: من هم المجرمون الذين يقفون وراء الإرهاب العالمى الذى جرت إدانته من قبل محكمة العدل الدولية فى لاهاى قبل ١٥ عاماً؟

لهذه الأسباب يفضلون استخدام مفهوم فضفاض مثل «حرب». بيد أن تسمية ذلك «بحرب ضد الإرهاب» لهو ثانيا حيلة دعائية ليس إلا، مادام لم يتم توجيه «الحرب» ضد الإرهاب. ويبدو واضحاً أن مايجرى التفكير على تعريفات هذا المفهوم، كما هى موضحة فى القانون الأمريكى (*) أو فى الكتب التعليمية العسكرية. ففعل ذلك يعنى فضح الولايات المتحدة كونها دولة إرهابية تشابه الذين تشن هى عليهم الحرب.

ولربما يكون مجدياً أن أورد ما قاله المختص فى العلوم السياسية ميكائيل ستول Michael Stohl: «يجب علينا الاعتراف بأنه نتيجة للمعاهدة ـ ويجب التشديد على أن المسألة تتعلق فقط بما تطرحه المعاهدة ـ يعرف وبشكل طبيعى استخدام السلطة للقوة بشكل عنيف والتهديد باستخدامها بكونه «دبلوماسية قسرية» وليس كشكل من أشكال الإرهاب، برغم كونها تشمل بطبيعة الحال «التهديد باستخدام القوة واستخدامها غالباً لما يسمى بالأغراض الإرهابية، إذ لا يخص الأمر قوى عظمى تمارس التكتيك ذاته»، والذى يتطابق

(*) راجع الملحق الخا بتعريف الإرهاب حسب القانون الأمريكى، والموجود فى نهاية الكتاب.

مع المعنى الحرفى للمفهوم. وتحت تلك الظروف (غير العادية بالتأكيد) التى تجعل المثقفين الغربيين جاهزين لأن يتبنوا المعنى الحرفى للمصطلح، تأخذ الحرب ضد الإرهاب حتماً شكلاً آخرا.

وتوجد الفقرة التى أوردتها. فى منتخبات (أنطولوجيا) بعنوان إرهاب الدولة الغربية Western state terrorism (تحرير الكساندر جورج) والذى تم نشره من قبل دار نشر كبيرة قبل عشر سنوات، وهو ممنوع فى الولايات المتحدة. ويجرى فى الكتاب من بدايته إلى نهايته إيضاح رأى ستول بشكل مفصل. وغير ذلك يوجد الكثير الذى يدعم بوثائق من مصادر أمنية - مثلاً وثائق حكومية رسمية - رغم أنها أيضاً ممنوعة من النشر فى الولايات المتحدة، رغم كون المنع ليس بالصرامة ذاتها فى البلدان الناطقة بالإنكليزية أو فى أماكن أخرى.

■ س: مازال الناتو صامتاً حتى الآن إلى أن يجرى التأكد من كون الهجوم كان داخلياً أم خارجياً. كيف تفسر ذلك؟

● تشومسكى: لا أعتقد أن ذلك هو السبب فى تردد الناتو. فليس هنالك من شك فى كون الهجوم جاء «من الخارج». من المحتمل أن الأسباب المعلنة من قبل القادة الأوروبيين هى نفسها التى تجعل الناتو يتردد.

فهم يعتقدون - وهذا اعتقاد راسخ لدى جميع من يعرفون المنطقة عن كثب - أن الهجوم المكثف على السكان المسلمين سيكون استجابة لصلوات بن لادن ومعاونيه وهذا يعنى أن الولايات المتحدة وحلفاءها سيقعون مباشرة فى «مصيدة جهنمية» كما عبر عن ذلك وزير الخارجية الفرنسى.

■ س: هل بإمكانك أن تحدثنا عن الموافقة الصامتة والمخابرات الأمريكية؟

- تشومسكى: لم أفهم السؤال تماماً. كان الهجوم مفاجأة وصدمة هائلة للمخابرات الغربية من ضمنها المخابرات الأمريكية. لقد لعبت السى آى أى دوراً فى ذلك، دوراً كبيراً بيد أن ذلك كان فى الثمانينيات حين قامت وبالتعاون مع المخابرات الباكستانية وآخرين (السعودية وانكلترا وآخرين) بتجنيد الأصوليين الإسلاميين الأكثر تطرفاً، وتدريبهم وتسليحهم بالأسلحة الخفيفة كى يبدأوا حرباً مقدسة ضد التدخل الروسى فى أفغانستان.

والمصدر الأفضل مراجعته فى هذا المجال هو الحرب القذرة Unholy war الذى كتبه المراسل الصحفى والكاتب جون كولى John Cooly، الذى أمضى عدة أعوام فى الشرق الأوسط، وكما كان متوقعاً فقد جرى إعادة كتابة التاريخ بحيث تصبح صورة الولايات المتحدة كونها متفرجاً بريئاً. وهناك شىء مثير للدهشة هو أن صحف محددة تقتبس وبكل جدية عبارات لموظفين فى السى آى إيه لكى تثبت ذلك الاستنتاج، الأمر الذى يظهر بجلاء الفظاظة التى يجرى الاعتداء فيها على أبسط الالتزامات الأخلاقية فى العمل الصحفى.

وبعد تلك الحرب وجه المتطوعون فى أفغانستان ـ ومن ضمنهم الكثير ممن يشبهون بن لادن هم أصلاً ليسوا أفغاناً ـ اهتماماتهم إلى أهداف أخرى، مثل الشيشان والبوسنة، هناك حيث أمكنهم الحصول على الدعم الضمنى من الولايات المتحدة، وليس هناك من سبب للاندهاش كونهم قوبلوا بترحاب من تلك الحكومات، فقد حصل الكثير من المتطوعين فى أفغانستان على الجنسية البوسنية كرد للجميل على مساهماتهم العسكرية (كارلوتا كال Carlotta Gall، نيويورك تايمز، ٢ أكتوبر ٢٠٠١م).

كما وجهوا جهودهم إلى غرب الصين، هناك حيث يقاتلون من أجل التحرر من السلطة الصينية. ويقصد هنا المسلمون الصينيون الذين أرسل البعض منهم من قبل الصين إلى أفغانستان قبل فترة طويلة تمتد إلى الوراء حتى عام ١٩٧٨كى ينضموا إلى انتفاضة على شكل حرب عصابات ضد الحكومة، ثم انضموا بعد فترة إلى القوات التى نظمتها السى آى آى بعد التدخل السوفييتى عام ١٩٧٩م. وهو اجتياح كان المقصود منه إسناد الحكومة المدعومة من قبل الاتحاد

السوفييتى وتنصيبها بالطريقة نفسها تقريبا التى قامت بها الولايات المتحدة بتنصيب حكومة جنوب فيتنام ثم اجتاحت البلد للدفاع عنه بعد أن تعرض لهجوم. وهذه المقارنة تعتبر مقارنة جيدة. كما جرى الترحيب بالمتطوعين الأفغان فى جنوب الفيليبيين وشمال أفريقيا وفى أماكن أخرى، هناك حيث يجرى الكفاح من أجل الهدف ذاته، وقد قاموا أيضاً بتوجيه جهودهم لمحاربة أعدائهم الرئيسيين ومن ثم لمحاربة الولايات المتحدة فى عقد التسعين (حيث يعتقد بن لادن أنها اجتاحت الخليج العربى بالطريقة نفسها التى اجتاح السوفيت بها أفغانستان)

■ **س: ماهو فى رأيك التأثير الذى تركته الهجمات على حركة سياتل؟ هل تعتقد أنها ستتضرر من جراء هذا، أم انها ستكتسب اهمية أكبر؟**

● تشومسكى: سيصيب ما حدث بالضرر حركة الاحتجاجات التى تلف العالم كله ضد مشاريع العولمة، وهى حركة لم تبدأ أصلاً فى سياتل، فالأفعال الإرهابية من هذا النوع هى هبة من السماء للظالمين والمتزمتين فى جميع الأرجاء وسيتم استغلالها، نعم ـ بدأ بالفعل استغلالها ـ لتسريع العسكرة وأحادية التفكير وتعطيل نظام الضمان الاجتماعى وتركيز الرخاء لدى قطاعات ضيقة وتقويض الديمقراطية بحيث تفرغ من كل مضمون حقيقى. بيد أن ذلك لن يمر دون مقاومة، ولا أعتقد أن النجاح سيكتب له على المدى البعيد.

■ **س: ماذا ستفرز الأحداث مع نتائج على منطقة الشرق الأوسط؟ وهنا اقصد بالتأكيد الصراع الإسرائيلى الفلسطينى؟**

● تشومسكى: لقد كانت جرائم ١١ سبتمبر بمثابة ضربة ماحقة للفلسطينيين، وقد شعروا هم بذلك مباشرةً. وتعبر إسرائيل عن غبطتها علناً معتبرة ذلك «باب الإمكانيات» الذى تنطلق منه بلا عقاب لسحق الفلسطينيين. فخلال الأيام للهجمات توغلت الدبابات الإسرائيلية فى المدن الفلسطينية (جنين، رام الله، أريحا، وكان ذلك للمرة الأولى) وقتل بضعة عشرات من الفلسطينيين الأمر الذى توقعه الكثير. وثانية نقول إن ذلك هو الشكل المألوف لدورة العنف المتصاعدة وهو نموذج ألفناه من بقاع عديدة فى العالم: إيرلندا الشمالية، (إسرائيل) ـ فلسطين، البلقان وأماكن أخرى.

■ **سؤال: كيف فى رأيك سيكون رد الفعل الأمريكى؟ يبدو أنهم تعاملوا مع الأمر بعقلانية. ولكن وكما قالت ساسكيا ساسن Saskia Sassen قبل فترة : «نحن نشعر بالأمر وكأننا فى حالة حرب».**

● تشومسكى: كان رد الفعل المباشر هو الصدمة، الجنون، الحنق، الرعب، الرغبة فى الانتقام. لكن الرأى العام منقسم، ولم يمض وقت طويل كى تتطور الحركة المعارضة، فوجهات النظر المعارضة تؤخذ الآن بنظر الاعتبار من قبل المحللين المعروفين، فى الصحف اليومية مثلاً.

■ **سؤال: فى إحدى اللقاءات التى أجرتها معك الصحيفة المكسيكية لا جورنادا قلتَ إننا نواجه حرباً من نوع جديد، ماذا تقصد بذلك؟**

● تشومسكى: إنها حرب من نوع جديد بسبب ماذكرته مسبقاً فى جوابى على سؤالك الأول: يوجه السلاح الآن باتجاه آخر، شىء جديد تماماً فى تاريخ أوروبا والذين حذوا حذوها.

■ سؤال: هل يمكن تعريف العرب بالضرورة كونهم إرهابيين مما يعنى انهم أعداء للبلدان الغربية؟

● تشومسكى:أبداً لا. فأولاً لا يمكن لأى إنسان يملك ذرة من الحكمة أن يعرف العرب بكونهم «سلفيين». ثانياً ليس لدى الولايات المتحدة ولا العالم الغربى موقف سلبى من السلفية الدينية من هذا الصنف. وإذا أردنا الحقيقة فإن الولايات المتحدة هى واحدة من أعتى الثقافات السلفية فى عالمنا ـ ليس الأمة الأمريكية بحد ذاتها، بل الثقافة، أما فى العالم الإسلامى فإن الدولة الأكثر سلفيةً ـ باستثناء طالبان فى أفغانستان ـ هى المملكة العربية السعودية منذ بداية تأسيسها. وطالبان فى الحقيقة هى فرع جانبى من الإسلام يتبع المنهج السعودى بشكل رئيسى.

لقد كان أكثر الإسلاميين والذين يُسمون عادة «بالسلفيين»، ذوى شعبية كبيرة فى الولايات المتحدة خلال الثمانينيات لأنهم كانوا أفضل ما يمكن الحصول عليه من المستعدين لمحاربة الروس فى ذلك الوقت كانت الكنيسة الكاثوليكية العدو الرئيسى للولايات المتحدة من خلال ارتكابها جرماً لا يغتفر ألا وهو مساعدة فقراء أمريكا اللاتينية، وقد دفعت ثمناً باهظاً على جريمتها تلك.

ففى عملية اختيار الأعداء يصبح الغرب أممياً جداً، حيث أن المعيار هو الخضوع وخدمة السلطة وليس الدين، وتوجد أمثلة كثيرة ساطعة على ذلك.

الفصل الثانى

هذا الفصل هو أصلاً مجموعة مقابلات أجراها كل من هارنفورد كارانت يوم ٢٠ سبتمبر ودافيد بارساميان يوم ٢١ سبتمبر ٢٠٠١م.

هل يمكن ربح الحرب على الإرهاب؟

■ سؤال: هل تتمكن الولايات المتحدة من النتصار فيما يسمى بالحرب ضد الإرهاب؟ إذا كان الجواب بالإيجاب فكيف؟ إذا كان الجواب بالنفى فما هو المطلوب من إدارة بوش كى تمنع هجمات مشابهة لتلك التى استهدفت نيويورك وواشنطن؟

● تشومسكى: لو أردنا حقاً البحث فى هذا السؤال من أساسه، يجب علينا الإقرار بأن الولايات المتحدة تعتبر فى جزء واسع من عالمنا أحد أكبر الدول الإرهابية وهذا الاستنتاج مبنى على أسس صحيحة، فيمكننا مثلاً التذكير بأن الولايات المتحدة أدينت من قبل محكمة العدل الدولية فى لاهاى «بكونها استخدمت القوة بشكل غير قانونى» (إرهاب دولى) ولذا وضعت الولايات المتحدة حق الفيتو ضد قرار مجلس الأمن الذى طالبت جميع الدول الأعضاء - مشرعة أسنة رماحها فى وجه الولايات المتحدة - بالانصياع للقانون الدولى.

وهذا مثال واحد من أمثلة لا حصر لها.

ولكن لكى نحصر السؤال - المقصود الإرهاب الذى يوجهه الآخرون ضدنا - فأنت تعرف جيداً كيفية مواجهة المشكلة، لو أردنا تقليل التهديد بدلاً من تصعيده. فحين قام الجيش الجمهورى الأيرلندى بتفجيراته فى لندن لم يطالب أحد بقصف غرب بلفاست أو بوستن التى يحصل منها الجيش الجمهورى الأيرلندى على جزء كبير من الدعم الاقتصادى.

وعلى النقيض من ذلك اتخذت إجراءات للقبض على منفذ التفجيرات، كما جرت محاولة للتعامل مع العوامل الأساس المسببة للإرهاب. وحين جرى تفجير بناية إدارة حكومية فى أوكلاهوما، أراد الكثير أن يقصف الشرق الأوسط مباشرة، وكان من الممكن أن يحدث ذلك لو كان قد ظهر أن المنفذين ينحدرون من هناك. أما حين اكتشف على العكس أن المنفذين كانوا أمريكان لهم ارتباطات بمجاميع مسلحة من اليمين المتطرف الأمريكى، لم يطالب أحد بتدمير مونتانا أو إداهو، فلقد جرى، على العكس من ذلك، تطويق منفذ العملية وإلقاء القبض عليه ثم محاكمته وتجريمه، ولقد جرت محاولة معرفة الدوافع التى أدت إلى عملية التفجير ودراسة أسبابها، وكما هو الحال فى جميع الجرائم - سواء كان الأمر يتعلق بسرقة أو جريمة على نطاق واسع - فإن هنالك أسباب، وغالباً ما نتوصل إلى أن بعض تلك الأسباب يتطابق مع ما فكرنا به ولذا يفترض معالجتها، توجد طرق مناسبة وقانونية لمعالجة الجرائم، بغض النظر عن حجمها، كما توجد سوابق Precedent - والمثال الناصع هو ما ذكرته للتو، كما أن الطريقة التى استخدمت بالارتباط بتلك الحالة لا يجب مطلقاً الطعن بها، الأمر الذى جرى التعبير عنه من خلال ردود أفعال الهيئات الدولية العليا.

تعرضت نيكاراغوا خلال الثمانينات لهجوم عنيف من قبل الولايات المتحدة مات على أثره عشرات الآلاف من الناس. وقد دمرت البلاد بشكل كبير بحيث لا يحتمل أن تستعيد بعده وضعها السابق. وقد أعقب هذا الهجوم الإرهابى العالمى حرب اقتصادية مدمرة، الأمر الذى لم يمكن لبلد صغير كهذا، عزل من

قبل قوة عظمى غاشمة ومتعطشة للانتقام، أن يتحمله، وقد جرى أيضا تشخيص تلك الحالة من قبل خبراء متخصصين فى تاريخ نيكاراغوا أحدهم هو توماس ووكر، Thomas Walker، لقد كانت عواقب ذلك على نيكاراغوا أبشع بكثير مما حدث فى مآسى نيويورك وواشنطن يوم ١١ سبتمبر. لكن ردود فعل السلطات النيكاراغوية لم تفجر نيويورك وواشنطن، بل جرى الالتجاء إلى محكمة العدل الدولية التى وقفت إلى جانبها، وطلبت من الولايات المتحدة التوقف عن سياستها ودفع تعويض ضخم، بيد أن الولايات المتحدة تجاهلت تماماً قرار المحكمة وردت مباشرة بتوسيع الهجوم. وقد دفع ذلك نيكاراغوا إلى الالتجاء إلى مجلس الأمن الدولى، الذى صاغ قراراً طلب فيه من الدول الأعضاء الانصياع للقانون الدولى. وقد كانت الدولة الوحيدة التى وضعت حق الفيتو هى الولايات المتحدة. بعدها التجأت نيكاراغوا إلى الجمعية العامة التى صاغت قراراً مشابهاً عارضتهُ الولايات المتحدة وإسرائيل خلال سنتين متعاقبتين (فى إحدى المرات انضمت إليهما السلفادور). هذه هى الطريقة الصحيحة التى يفترض أن تتصرف أية دولة على أساسها. فلو كانت نيكاراغوا قوية بما فيه الكفاية لأقامت دعوى جديدة. هذه هى الخطوات التى إن أقدمت الولايات المتحدة عليها فإن أحداً لن يضع أمامها العراقيل، وهذا هو الدرب الذى يريد الناس فى المناطق المعنية من الولايات المتحدة أن تسلكه، ومن ضمنهم حلفاء الولايات المتحدة.

«يجب أن لا يغيب عن بالنا أن حكومات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، والجزائر، تريد بكل سرور الانضواء تحت لواء الولايات المتحدة لمكافحة الشبكات الإرهابية التى تهاجمها فهذه الأنظمة هى التى يهددها الإرهاب أكثر من غيرها. ومع ذلك فهى تريد دليلاً، ويريدون القيام بفعل ما مع الاحتفاظ بأدنى قدر من الاحترام، على الأقل، للقانون الدولى، أما الوضع فى مصر فهو معقد. فقد ساهمت مصر فى البداية (عصر السادات) بتنظيم القوى الراديكالية الإسلامية، والتى تشكل شبكة بن لادن جزءاً منها، وقد أصبحت

مصر الضحية الأولى لتلك الشبكات من خلال مقتل السادات ومنذ ذلك الوقت أصبحت مصر واحدة من الدول التى تعرضت للدمار الشديد وحتى تمكنت من القضاء على الإرهابيين، ومع ذلك يجرى الحديث عن تقديم الأدلة من طرف الولايات المتحدة كما يجرى الحديث عن أن ذلك يجب أن يحدث دون أن يكون مخالفاً للقانون الداخلى للأمم المتحدة وتحت إشراف مجلس الأمن.

فإذا كان الهدف تقليل احتمالات الجرائم فى المستقبل فإن ذلك هو الطريق الصحيح، كما يوجد طريق آخر ألا وهو الرد العسكرى وهو يعنى أن دورة العنف ستتصاعد. وسيؤدى ذلك إلى وقوع جرائم جديدة وهذه الديناميكية معروفة جداً.

■ **سؤال: ما هى جوانب هذا الحدث التى أهملتها الصحافة المنفذة، ولم تكتسب مسألة الطرح الملح لتلك الأسئلة أهمية؟**

● تشومسكى: توجد أسئلة أساسية عديدة. ما هى أساليب التعامل المتاحة أمامنا وما هى النتائج المحتمل إفرازها فى المستقبل. فنادراً ما جرت نقاشات حول مسألة احترام ما تفرضه القوانين الدولية، الأمر الذى تقوم به دول أخرى كنيكاراغوا، التى ذكرتها للتو (وبالطبع فشلت محاولاتها، بيد أنه لم يحلم أحد أن يقول لا للولايات المتحدة فى أمور كهذه) أو ما قامت به إنكلترا فيما يخص الجيش الجمهورى الأيرلندى، أو ما قامت به الولايات المتحدة حين اتضح أن تفجير أوكلاهوما كان من تدبير أشخاص أمريكان. وهناك أمثلة لا تحصى. على العكس فقد جرى حتى الآن التطبيل لمسألة استخدام القوة، ونادراً ما جرى الحديث عن أن ذلك سيكلف الكثير من الضحايا الأبرياء، ومن بينهم ضحايا طالبان من الأفغان. ولم يُشر أحد إلى أن ذلك سيحقق لـ بن لادن وشبكته أكثر مما حلموا به.

السؤال الآخر هو: «لماذا؟» فنادراً ما يطرح هذا السؤال بجدية وبشكل عميق. فرفض مواجهة هذا السؤال بجرأة يعنى تصاعد احتمالات ارتكاب جرائم كهذه فى المستقبل. وقد حدثت استثناءات، فكما أشرت مسبقاً بحثت وول ستريت جورنال مما يمنحها الشرف - فى آراء الأغنياء من المسلمين، أى المناصرين لأمريكا الذين ينتقدون فى الوقت نفسه سياسة أمريكا فى المنطقة لأسباب واضحة تماماً لكل من أهدر من وقته دقيقة واحدة لدراسة تاريخ المنطقة. فالمزاج السائد فى الشارع متجانس وهو أكثر حنقاً ومرارة. ولو أردنا تصنيف شبكة بن لادن لوضعناها فى خانة خاصة. وقد شكل صعود نجم هذه الشبكة خلال السنوات العشرين الأخيرة معاناة كبيرة للفقراء والمضطهدين فى المنطقة - وهم لا يعنون شيئاً للشبكات الإرهابية التى تستمد، على العكس، قوتها من البحر المضطرم للحنق والخوف والحزن، وهو السبب فى كون هذه الشبكات تتمنى أن ترد الولايات المتحدة باستخدام القوة مما يساعد الشبكات على تجنيد أناس جدد لقضيتها المرعبة.

يجب أن يفتح النقاش بخصوص هذه المسائل على الصفحات الأولى - إذا أردنا حقاً قلب المعادلة وتقليل العنف بدلاً من تصعيده.

الفصل الثالث

هذا الفصل هو أصلاً مقابلة منفصلة أجرتها إذاعة ب ٩٢ فى بلغراد وبيتر كريسلر من راديو دويتش لاندفنك يوم ٢٠ سبتمبر ٢٠٠١ وجورنال دى بولولو (سويسرا) يوم ٢١ سبتمبر ٢٠٠١م.

الحملة الإيديولوجية

■ سؤال: ما هو رأيك فى تغطية الصحافة لهذا الحدث؟ هل يوجد ما يوازى حرب الخليج فيما يخص الطموح إلى فبركة المناصرة؟

● تشومسكى: لا تتحى التقارير الصحفية المنحى ذاته الذى يرغب فيه الأوروبيون، لربما لكونهم يقرأون ويشاهدون ويسمعون ما تطرحه نيويورك تايمز والقنوات التليفزيونية والإذاعات الحكومية وما شابه، بل وحتى نيويورك تايمز أعلنت اليوم صباحاً أن الموقف فى نيويورك يختلف تماماً عن الصورة التى طرحتها الجريدة. وهذه مقالة جيدة كونها تمكن من توضيح كيف أن الاتجاه السائد من الصحافة لم يورد تقاريراً عن الأمر، وهو أمر ليس صحيحاً تماماً، بالرغم من كون ذلك صحيحاً بشكل عام فيما يخص نيويورك تايمز.

فالذى يَردُ فى نيويورك تايمز الآن هو أن «الدعوات إلى الحرب تسمع فى شوارع نيويورك» وأن الدعوة للسلام «أكثر صدى» من المطالبة بالانتقام حتى

بين المؤمنين الأكثر لضحايا الجريمة فى شوارع المدينة. ولا يبدو هذا أمراً غريباً فى مناطق البلاد المختلفة، فالجميع متفقون على القبض على المنفذين ومعاقبتهم ـ لو كان فعلاً بالإمكان القبض عليهم ـ بيد أننى أعتقد أن الكثير منا يعارض الانتقام الأعمى الذى تذهب ضحيته أعداد غفيرة من الأبرياء.

لكن تضامن المؤسسات الصحفية الكبرى، وبشكل خاص المثقفين، مع السلطة فى الأزمات ومحاولتها تعبئة الناس بالاتجاه ذاته، هى مسألة معروفة. وقد جرى ذلك بتكثيف هستيرى عند قصف صربيا. كما أن حرب الخليج مثال جيد فى هذه المناسبة. ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة لو عدنا تاريخياً إلى الوراء.

■ سؤال: لو فكرنا بأن الإرهابيين اختاروا مركز التجارة العالمى لكونه رمزاً ما، فبأية طريقة ساعدت العولمة والهيمنة الثقافية على تغذية الحقد ضد الولايات المتحدة؟

● تشومسكى: هذا وضع مريح جداً للمثقفين الغربيين كى يدافعوا عن أنفسهم، فهو يعفيهم من مسئولية الأفعال التى تمثل حقاً الأساس وراء اختيار مركز التجارة العالمى. فهل كانت العملية التى استهدفت مركز التجارة العالمى عام ١٩٩٣ رد فعل ضد العولمة والهيمنة الثقافية؟ هل قتل السادات قبل عشرين عاماً بسبب العولمة؟ وهل يوضح هذا مسألة مقاتلة الروس فى أفغانستان بدعم من السى آى أى أو ما يجرى الآن فى الشيشان؟

كتبت الوول ستريت جورنال عن الكيفية التى ينظر بها مجموعة من الأغنياء وأصحاب الامتيازات العرب، الذين كانوا يتناولون الطعام فى الماكدونالدز ويرتدون الملابس الأمريكية الأنيقة. فقد انتقدوا بشدة سياسة الولايات المتحدة من منطلق سياسى محايد، وهو منطلق واضح لكل من يريد فهم الكيفية التى

ترتبط فيهاالأشياء بعضها ببعض فى موقف كهذا.

وقبل ذلك بأيام قامت الجريدة ذاتها بنشر مقالة عن موقف الأثرياء وأصحاب الامتيازات فى المنطقة المذكورة. وقد كانوا جميعاً من المناصرين لأمريكا لكنهم انتقدوا بشدة السياسة الأمريكية. فهل يعنى ذلك أنهم معارضون «للعولمة»، وللمكدونالدز والجينز؟ ويطرح الناس فى الشارع أفكاراً مشابهة، بيد أنها أكثر عنفاً، وهى لا تملك رابطة لا من قريب ولا من بعيد بهذه الأفكار المنمقة. هذه التفسيرات مطواعة للولايات المتحدة والغرب بمعظمه لنأخذ ما أورده التحليل الذى نشر فى افتتاحية نيويورك تايمز (يوم ١٦ سبتمبر) «إن الذى دفع المنفذين هو حقدهم على القيم التى لا يجوز المساس بها فى الغرب كالحرية والتسامح والرخاء والتعددية الدينية وحق الكل فى الانتخاب». أما سياسة الولايات المتحدة فهى غير عقلانية بحيث لا تستدعى الحاجة ذكرها فى هذه المناسبة. (سيرغ سشميمان Serge Schmemann). إنها حقاً صورة مفعمة بالعزاء، كما أن الموقف بوجه عام ليس غريباً على المثقفين وتاريخهم ـ فهو يقترب فى الحقيقة من المستوى العام. وتخالف هذه الصورة كل ما نعرفه، بيد أنها تمتلك خاصية إيجابية ألا وهى أنها تترك الباب مفتوحاً أمام تمجيد الذات والدعم الأعمى للسلطة. كما أنها تمتلك خصوصية سلبية كبيرة وهى أنه لو جرى اتباع هذا الطريق فإن احتمالات تصاعد العنف ستتصاعد بشكل كبير، ومن ضمن ذلك الأعمال الإجرامية التى ستُرتكب ضدنا، والتى قد تكون من نوع أشد فظاعة مما حدث يوم ١١ سبتمبر.

أما بالنسبة لشبكة بن لادن فإنه لا يهمها مطلقاً العولمة والهيمنة الثقافية تماماً كما لا يهمها بالفقراء والمضطهدين فى الشرق الأوسط الذين عانوا من هذه الشبكة الأمرين خلال سنوات عديدة. وهم يعلنون بوضوح الأهداف التى يسعون لتحقيقها: إنهم يشنون حرباً مقدسة ضد الفاسقين من وجهة نظرهم والأنظمة البعيدة عن الإسلام ومن لف لفها، بالطريقة نفسها التى شنوا فيها حرباً ضد الروس فى الثمانينيات (وكما يفعلون الآن فى الشيشان وغرب

الصين ـ وفى أماكن أخرى).

وعلى الأرجح فإن بن لادن لم يسمع عن «العولمة». فالذين أجروا معه مقابلات صحفية ذات طبيعة عميقة، مثل روبرت فسك، خرجوا بانطباع أنه لا يعرف عملياً شيئاً عن العالم، كما أنه لا يريد ذلك. فيمكننا، إن أردنا، تجاهل جميع الحقائق والانغماس فى الذات، لكننا من خلال موقف كهذا نعرض أنفسنا، من بعض ما نعرضه لها، لمجازفة كبرى. يمكننا كذلك تجاهل كيفية نشوء حركة بن لادن ومتطوعى أفغانستان، فجذور هذه الحركة لم تعد خافية على أحد.

■ س: هل لدى الشعب الأمريكى معرفة بالموضوع؟ هل لديه وعى بالسبب والتأثير؟

● تشومسكى: للأسف لا، وللأسف يشمل ذلك أيضاً الأوروبيين، فالشىء الذى يحمل معنىً مركزياً لدى المنفذين فى الشرق الأوسط (وينطبق ذلك على أبناء الشارع بدرجة أكبر) لا نعرف نحن هنا شيئاً عنه، ويخص هذا بشكل خاص الأمثلة الأكثر حساسية: مواقف الولايات المتحدة تماماً تجاه الاحتلال العسكرى الإسرائيلى والعراق.

ففى العراق، ورغم كون أهل الغرب يفضلون تفسيراً آخراً، يرى الناس أن السياسة الأمريكية خربت المجتمع المدنى فى حين تبنت نظام صدام حسين. وهم بالإضافة إلى ذلك يعلمون أن الولايات المتحدة منحت صدام حسين دعماً جباراً خلال الفترة التى مارس هو فيها أفظع الأعمال الوحشية، ومن بينها الهجمات بالغازات الكيمياوية على الأكراد عام ١٩٨٨. وحين يؤكد بن لادن فى خطاباته المسموعة أو المرئية فى المنطقة بكاملها فإن مستمعيه ومشاهديه يفهمون عما يتكلم هو، ويشمل ذلك حتى الذين يحتقرونه وهم كثيرون. وفيما يخص الولايات المتحدة وإسرائيل فإنه نادراً ما يكتب هناك عن القضايا الأكثر

أهمية، ولهذا السبب يجهل الرأى العام هذه القضايا، خصوصاً النخبة المثقفة. لا يشاطر، بالطبع، الناس فى المنطقة أوهام السلوى والعزاء المنتشرة فى الولايات المتحدة عن العروض (السخية) و«الكبرى» التى قُدمت فى كامب ديفيد سنة ٢٠٠٠، هذا إذا ما ماتجاوزنا الحديث عن الخرافات الأخرى المشعشة.

وتوجد بخصوص ذلك مادة ضخمة على شكل مطبوعات، وهى موثقة بشكل جيد من قبل مصادر موثوقة، بيد أن ذلك يقع فى متناول قلة قليلة.

■ س: كيف ترى رد فعل الحكومة الأمريكية؟ من هى الأيادى التى تحركها؟

● تشومسكى: تصدر الحكومة الأمريكية قرارتها، حالها حال أية حكومة، بإيعاز من مراكز القوى. وهذا أمر يفترض به أن يكون بديهيا. توجد بالتأكيد أنواع أخرى من المؤثرات مثل التقلبات ـ بيد أن الأمر الأخير يشمل كافة المجتمعات ومن ضمنها الأنظمة الشمولية القاسية والأنظمة الموجهة بشكل ديمقراطى مطلق. وحسب المعلومات التى جرى الكشف عنها حتى الآن فإن الحكومة الأمريكية تريد تنفيذ برنامجها الخاص بها: العسكرة و«الدفاع المضاد للصواريخ» وهى رمز يعنى عسكرة الفضاء، ولاحقاً نسف كل برامج الحماية الاجتماعية وتخفيف حدة القلق لدى عامة الناس من الآثار السيئة لسياسة العولمة التى تمارسها الشركات الكبرى وتقليل الحديث عن مسائل البيئة والتأمين الصحى وما إلى ذلك، واتخاذ خطوات تقوم لاحقاً بتكثيف العملية الجارية لإقصار الرفاهية على مجموعة غيرة جداً من الناس (مثلاً هناك محاولة لإلغاء الضرائب على الشركات) كما تجرى محاولة مسخ المجتمع بحيث سحب البساط من تحت المناقشات الجارية فى المجتمع وخنق الاحتجاجات المحتملة. وهذه حالة طبيعية لوضع كهذا. أما فيما يخص الوجهة التى ستتبعها

الحكومة فإننى أعتقد أنها تتصت الآن لآراء قادة بلدان الشرق الأوسط والخبراء فى هذا المجال، بالإضافة إلى عملاء جهاز المخابرات، وكل هذه المصادر تحذر من مغبة الإقدام على تدخل عسكرى شامل قد يؤدى إلى إعلاء صوت بن لادن. بيد أن هناك صقوراً يريدون استغلال هذه الفرصة لتحطيم أعدائهم الشخصيين بأية وسيلة كانت، بغض النظر عما يكلفه ذلك من إزهاق لأرواح الأبرياء، كما قد تذهب ضحايا من الأبرياء هنا فى الولايات المتحدة وأوروبا نتيجة لدورة العنف تلك. كل هذا ما هو إلا سلسلة من الأفعال المعروفة جداً. وكما هو الأمر دائماً فإن الأشخاص الذين على شاكلة بن لادن موجودون لدى الطرفين.

■ سؤال: نشرت العولمة الاقتصادية النموذج الغربى فى جميع أنحاء العالم وقد كانت الولايات المتحدة رائدة فى هذا المجال، بطرق مريبة أحياناً، وفى أحايين عديدة جرت إهانة الثقافة المحلية، هل نواجه الآن عواقب السياسة الاستراتيجية التى كرست الولايات المتحدة نفسها خلال العقود الأخيرة؟ هل الولايات المتحدة ضحية بريئة؟

● تشومسكى: هذا الطرح فيه نوع من التعتيم، أنا لا أتفق معك. فأحد الأسباب هو أن النموذج الغربى ـ وفى الصدارة طبعاً الأمريكى ـ مبنى على أساس تدخل واسع للدولة فى الاقتصاد. فى حين يمكن مقارنة أسس الليبرالية الجديدة بتلك التى كانت موجودة فى الحقبة المنصرمة. فهى سلاح ذو حدين: نظام السوق جيد بالنسبة لك، ولكن ليس بالنسبة لى ـ إذا استثنينا طبعاً الأرباح المؤقتة ـ حين أكون فى وضع جيد يمكننى من ربح المنافسة.

المسألة الثانية هى أننى أعتقد أن ما حدث يوم ١١ سبتمبر ليس له علاقة البتة بالعولمة الاقتصادية. فالدافع مرتبط بشىء آخر. ليس هناك أبداً ما يعطى الأحقية لجريمة كالتى حدثت يوم ١١ سبتمبر، بيد أن الفكرة الوحيدة التى تجعلنا نعتبر الولايات المتحدة ضحية بريئة هى أن نتعامى عما فعلته الولايات المتحدة وحلفاؤها بالأبرياء - وتلك الأفعال معروفة للجميع.

■ **س: يتفق الجميع على أن يوم ١١ سبتمبر غير حياتنا إلى الأبد ،أن هذه التغييرات ستعنى أشياء تبدأ من التحديات فى الحياة اليومية وتنتهى باستراتيجيات كونية، بحلفاء جدد وأعداء جدد. ما هو رأيك بذلك؟**

(ملاحظة المحرر: يبدأ جواب تشومسكى على هذا السؤال، من مسألة كونه يندرج حول ما قاله فى مقابلة سابقة من كون الولايات المتحدة هوجمت للمرة الأولى يوم ١١ سبتمبر وأن ذلك لم يحدث إلا خلال حرب ١٨١٢ راجع ص ١).

● تشومسكى: لا أعتقد أن هذا سيعنى المدى البعيد تقيداً للحقوق المدنية، فالحواجز الثقافية والمؤسساتية قوية إلى درجة كبيرة بحيث تمنع حدوث أى شىء. فإذا اختارت الولايات المتحدة الرد بطريقة تؤدى إلى تصعيد العنف وهذا لربما ما يتمناه بن لادن، فإنه سيترتب على ذلك نتائج وخيمة جداً. هناك بالتأكيد سبل أخرى يمكن اتباعها، سبل مبنية على أسس قانونية وبناءة. وتوجد الكثير من السوابق التى يمكن الاستشهاد بها. فوجود رأى عام مهتم بالأمر فى المجتمعات الأكثر حرية وديمقراطية سيكون عاملاً مؤثراً بحيث يمكن توجيه الأمور وجهة إنسانية ومشرفة.

■ س: عجزت أجهزة المخابرات فى جميع أنحاء العالم وأنظمة المراقبة العالمية (مثل أيكيلون Echelon) ان تتنبأ بما سيحدث، رغم أن الشبكة الإرهابية الإسلامية العالمية لم تكن من النوع المجهول، كيف كان ممكناً أن الأخ الأكبر فشل فى توقع ما حدث؟ هل سيولد ذلك أخاً أكثر كبراً يجب الحذر منه؟

● تشومسكى: لو أردت الحقيقة فإننى لم أكن ممن أصيبوا بالانهيار أمام ما كان يطرح فى أوروبا فيما يخص ديكولون كنظام للسيطرة والمراقبة. أما فيما يخص أجهزة المخابرات المنتشرة فى جميع أنحاء العالم فإن فشلها خلال سنين عديدة كان فائقاً للحدود، وهو موضوع كتبتُ عنه كما كتب عنه آخرين ولذا فلا أريد التعمق فيه الآن. كما فشلت هذه الأجهزة حين ركزت جهودها فى كشف أهداف يسهل التعامل معها قياساً بشبكة بن لادن التى يبدو أنها أقل مركزية ويغيب عنها التركيب الهرمى وتنتشر متفرقة فى جميع أنحاء العالم، بحيث يصعب بشكل أو بآخر اختراقها. ولكن إذا أريد حقاً تقليل التهديد الآتى من هذا النوع من الإرهاب فإن الأمر يتطلب، كما هو الحال فى ظروف أخرى لا تحصى، أن تتواجد الجرأة لفهم الأسباب ومعرفة كيفية التعامل معها.

■ س: بن لادن، الشيطان: هل يمثل هذا عدواً أم ماركة تجارية، نوع من اللوغوتايب Logotype يشير إلى الشر ويجسده؟

● تشومسكى: قد يكون بن لادن مشتركاً مباشرة فى تلك العمليات أو لربما لا، لكن الأمر المحتمل هو أن الشبكة، التى هو أحد رموزها المؤسسة، مشتركة فى

تلك العمليات، أى أنها شبكة صنعتها الولايات المتحدة وحلفاؤها لأغراضهم الخاصة واستمروا فى دعمها ما دامت تعمل لصالحهم، ولذا فمن السهل الإشارة إلى شخص بإصبع الاتهام واعتباره رمزاً للشر المطلق، بدلاً من محاولة فهم الأسباب العميقة المسببة لهذه الجريمة. وبالتأكيد يغريهم نسيانهم لدورهم فى هذا كله، فى حين هو أمر من السهل استنتاجه وهو يجرى يومياً وبشكل جلى تماماً لكل من يملك أدنى قدر من المعرفة بالمنطقة وتاريخها المعاصر.

■ س: هل هناك احتمال فى تطور هذه الحرب إلى فيتنام جديدة؟ فهذه الصدمة مازالت ماثلة؟

هذا نوع من القياس التمثيلى analogy غالباً ما يطرح. وهذا يكشف حسب رأيى عن تأثير عميق أحدثه القوى الامبريالية للقوة على مدى قرون، فى المثقفين الأوروبيين وفى الثقافة الأخلاقية. لقد بدأت حرب فيتنام على شكل هجوم أمريكى ضد جنوب فيتنام، وذلك كان الهدف الرئيسى للحرب الأمريكية التى كانت نتيجتها النهائية أن قسماً كبيراً من الهند الصينية تعرض للخراب. فإذا لم نكن مستعدين للاعتراف بهذه الحقيقة الأساس، فليس أمامنا على الأرجح إلا خوض نقاش عقيم حول حرب فيتنام. لقد كلفت الحرب الولايات المتحدة ثمناً باهظاً، إلا أن تأثيرها على الهند الصينية كان أسوأ بشكل لا يمكن مقارنته. كما أن اجتياح أفغانستان كلف هو الآخر الاتحاد السوفيتى غاليا، لكننا لا نفكر أبداً بذلك حين نناقش هذه الحرب.

الفصل الرابع

هذا الفصل فى الأساس مقابلة أجراها
دافيد بارساميان David Barsamian
فى يوم ٢١ سبتمبر ٢٠٠١م.

الجرائم المرتكبة من قبل الدولة

■ س: الغضب والإرتباك واضحان فى الولايات المتحدة منذ ١١ سبتمبر. فقد حدث جرائم قتل وحتى هجمات على المساجد وعلى أحد المعابد السيخية. ونرى على جدران بنايات جامعة كولورادو وهنا فى بولدر، وهى مدينة ذات سمعة ليبرالية، خربشات بكلمات مثل «عودوا إلى بلادكم أيها العرب»، «اقصفوا أفغانستان». «اغربوا يا زنوج الصحراء». ما هو رأيك فيما حدث بعد الهجمات الإرهابية؟

● تشومسكى: لدى آراء مختلفة، فما تتحدث عنه كنا قد رأيناه. لكن هناك اتجاهات معاكسة موجودة بشكل أكيد فى المناطق التى أملك فيها قنوات اتصال، كما إننى أسمع أقوالاً مشابهة من آخرين.

(ملاحظة من المحرر: جواب تشومسكى، الذى جرى تعديله هنا، يتطابق بشكل كبير مع التعليقات التى قام بها فى مقابلة سابقة، حيث وصف الوضع فى نيويورك وتصاعد حركة السلام. راجع ص ١٢).

إنه اتجاه من نوع جديد يدعم كل من يتعرضون للأذى هنا فى الولايات المتحدة على أساس البشرة الداكنة والأسماء الغريبة. وكما قلت توجد بالتأكيد تيارات معاكسة. السؤال الذى يطرح نفسه هو ماذا يمكننا أن نفعل كى نجعل التيارات الصحيحة تتغلب.

■ **س: هل تعتقد أنه من الممكن التحالف مع أشخاص موصومين بكونهم «شخصيات ممقوتة» لتجار المخدرات والقتلة، للوصول إلى ما يسمى بالغرض الشريف، أم أن هذا يسبب مشكلاً جدياً؟**

● تشومسكى: لا تنسى أن بعض الشخصيات الممقوتة هم أعضاء فى حكومات دول المنطقة وفى حكومتنا وحكومات الدول المتحالفة معنا. وإذا أردنا دراسة الموضوع بشكل جدى فيجب أن نسأل أنفسنا ما هو الغرض الشريف. هل كانت عملية جذب الروس إلى المصيدة الأفغانية تحقيقاً لهدف شريف، كما يدعى بريجينسكى أنه فعله؟ فدعم المقاومة ضد الاجتياح السوفيتى فى ديسمبر ١٩٧٩ كان شىء ـ ولكن أن يتسبب فى حدوث الاجتياح لتحقيق أغراض شخصية، الأمر الذى يتفاخر به بريجنسكى ـ وتنظيم جيش إرهابى من المتعصبين المسلمين شىء آخر.

هناك سؤال آخر يجب أن نطرحه على أنفسنا ألا وهو: ما هى طبيعة التحالف الذى هو فى الطريق إلى التشكل والذى تحاول الولايات المتحدة تجميعه. يجب ألاّ يغيب عن الذهن أن الولايات المتحدة نفسها هى دولة إرهابية من الدرجة

الأولى. فماذا سنعلق على تحالف بين الولايات المتحدة وروسيا والصين وأندونيسيا وبعض الدول الذين يغمرهم الفرح حين يرون نظاماً عالمياً جديداً فى الطريق إلى الظهور، ممولاً من قبل الولايات المتحدة، مانحاً إياهم الصلاحية لتنفيذ أعمالهم الإرهابية؟ روسيا مثلاً ستنظر بعين الإعجاب إلى الدعم الأمريكى لحربها المتهورة فى الشيشان. والذين يقاتلون روسيا هناك هم المتطوعون فى أفغانستان أنفسهم ولربما يقومون بأعمال إرهابية هناك، ومن المحتمل أن تقوم الهند بالشىء ذاته فى كشمير. وستكون أندونيسيا ممتنة للدعم كى تنفذ مذابحها فى أستتة. وكما سمعنا للتو فى الإذاعات فإن الجزائر ستفرح كثيراً لو أنها منحت الصلاحية لتوسيع إرهاب الدولة الذى تمارسه. (المعلومة التى يقصدها تشومسكى أعلنت فى نشرة الأخبار. سبقت هذه المقابلة التى جرى بثها مباشرة فى محطة إذاعة بولدر). والشىء نفسه يخص الصين، التى تحارب القوات الانفصالية فى المقاطعات الغربية ومن ضمنها متطوعون فى أفغانستان نظمتهم الصين وإيران كى يحاربوا ضد الروس، وقد بدأ ذلك مبكراً عام ١٩٧٨ طبقاً لبعض المعلومات. وهكذا الوضع فى جميع أنحاء العالم. بيد أنه لن يسمح للجميع بدخول التحالف بلا قيد أو شرط، بل يجب الالتزام بمستوى «معين». فقد أشارت إدارة بوش (٦ أكتوبر) إلى أن الحزب الساندينى الذى يأمل بالعودة إلى السلطة فى نيكاراغوا فى انتخابات الشهر المقبل، أقام علاقات مع «دول ومنظمات تمارس نشاطات إرهابية ولذا فإنه «ليس منتظراً منها دعم التحالف الدولى ضد الأرهاب الذى تسعى الإدارة لإقامته» (جورج غيدا، أى بى، ٦ أكتوبر). «وكما أعلنا مسبقاً فإنه لا توجد منطقة حياد بين من يعارضون الإرهاب وبين من يدعمونه»، هذا ما أكدته الناطقة بلسان وزارة الخارجية اليزا كوج Eliza Koch فى اليوم نفسه. ويقول الساندينيون أنهم فعلاً «هجروا سياستهم الاشتراكية السابقة وخطابهم المعادى للأمريكان، لكن تصريحات كوج تظهر أن الإدارة تشك فى هذه الوعود بالاعتدال»، وهذا الشك مفهوم تماما. فقد هاجمت نيكاراغوا الولايات المتحدة بشكل عنيف اضطر حينها رونالد ريجان لإعلان «حالة طوارىء شاملة فى كل البلاد» يوم ١ أيار ١٩٨٥، الأمر الذى جرى تجديده كل سنة، نتيجة لكون

«سياسة نيكاراغوا وإجراءاتها تشكل تهديداً نادر الحدوث وذا طبيعة استثنائية ضد الأمن القومى للولايات المتحدة وسياستها الخارجية» كما أعلن حصار على نيكاراغوا «بسبب الوضع الطارئ الذى سببه النشاط العدوانى للحكومة النيكاراغوية فى أمريكا الوسطى» أى مقاومة الهجوم الأمريكى. بيد أن محكمة العدل الدولية رفضت الادعاءات الأمريكية عن النشاطات الأخرى واعتبرتها بلا أساس، قبل ذلك بسنة أعلن ريجان يوم ١ أيار يوم «دولة القانون» وهو احتفاء بمائتى سنة من التعاون المتبادل بين القانون والحرية، «وأضاف بأنه بلا قانون ولا قضاء تستأسد الفوضى والاضطراب». وقبل ذلك بيوم احتفل هو بيوم دولة القانون من خلال إعلانه أن الولايات المتحدة تتجاهل قرار محكمة العدل الدولية بإدانة الإدارة «لاستخدامها القوة بشكل غير قانونى» واختراق الاتفاقيات من خلال هجومها على نيكاراغوا. وقد تصاعد الهجوم مباشرة كرد فعل على أوامر المحكمة بالكف عن الإرهاب الإجرامى العالمى. وكما هو معروف فإن يوم ١ أيار هو يوم التضامن العالمى مع العمال الأمريكان.

ولذا فإنه مفهوم تماماً أن الولايات المتحدة تطلب ضمانات ملموسة بتصرف صحيح قبل أن يجرى قبول انضمام نيكاراغوا المحكومة من قبل الساندينيين إلى تحالف الحق التى تتصدره الولايات المتحدة، والتى تدعو الآخرين للانضواء تحت لواء الحرب لمكافحة الإرهاب التى استمرت فيها لمدة عشرين سنة. أما الدول التى وجهت لها الدعوة فهى روسيا والصين وأندونيسيا وتركيا ودول أخرى قابلة للتحفز ولكن ليس كل الدول بالتأكيد.

أو خذ مثلاً «تحالف الشمال» الذى تدعمه الآن كل من الولايات المتحدة وروسيا. فهو يتكون بشكل رئيسى من مجموعة من المحاربين الذين عملوا من الخراب ما يكفى لجعل السكان يرحبون بمجيء طالبان، دعك عن كونهم يشاركون فى تصدير المخدرات إلى طاجاكستان وهو أمر معقول جداً، فهم يسيطرون على جزء كبير من الحدود المشتركة بين البلدين، وطبقاً للمعلومات فإن طاجاكستان محطة وسطية مهمة - ولربما الأهم - لحركة المخدرات التى تستقر أخيراً فى أوروبا وأمريكا. فإذا أمدت كل من الولايات المتحدة وروسيا

هذه القوات بكميات كبيرة من الأسلحة وبدأت بهجوم من نوع ما من خلال استخدامه كقاعدة، فإن تهريب المخدرات سيتصاعد تحت ظروف الفوضى والهروب الجماعى الذى هو نتيجة منطقية لما يجرى. إذن هناك مادة تاريخية غنية بخصوص «الشخصيات الممقوتة». و«الأغراض الشريفة».

■ س: ما تقوله عن كون الولايات المتحدة تتصدر الدول الإرهابية يصدم بالتأكيد الكثير من الأمريكان. هل يمكن أن توضح ذلك أكثر؟

● تشومسكى: إن المثال الأفضل، رغم أنه أبعد من أن يكون المثال الأفضل، هو نيكاراغوا. فهو الأفضل لكونه أمراً لا يختلف عليه اثنان، على الأقل بالنسبة للذين يملكون أقل نوع من المعرفة عن أن القانون الدولى يجب أن يصان. (راجع رأى تشومسكى عن الموضوع ص ١٠). يجب علينا التذكر - لأن ذلك يجرى الصمت عليه فى كل مكان - بأن الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة التى صدر بحقها قرار قضائى يخص الإرهاب العالمى من قبل محكمة العدل الدولية، وهى التى صوتت ضد قرار لمجلس الأمن طالب فيه جميع الدول المشاركة باحترام القانون الدولى.

وتمعن الولايات أكثر وأكثر فى الإرهاب العالمى. ويوجد مثال آخر لو قارناه بغيره لبدا تافهاً. أصيب الأمريكان جميعاً بصدمة حقيقية وأصيبوا بهياج حين جرى تفجير أوكلاهوما، وخلال يومين عناوين الصحف تبدو كما يلى «مدينة أوكلاهوما تشبه بيروت». وحسب ما رأيت فإن أحداً لم يقل أن بيروت تشبه أيضاً بيروت. ولذلك الأمر علاقة بأن إدارة ريجان بدأت بتفجيرات هناك عام ١٩٨٥، وقد ذكّر ذلك كثيراً بتفجير أوكلاهوما. فقد انفجرت شاحنة خارج أحد المساجد وقد جرى توقيتها بحيث تقتل أكبر عدد ممكن من الناس الخارجين

من المكان. وقد قتل ٨٠ شخصاً وجرح ٢٥٠ كلهم من النساء والأطفال حسب ما ورد فى الواشنطن بوست بعد ثلاث سنين. وكان الهجوم الإرهابى موجهاً ضد أحد رجال الدين المسلمين الذى لم يكن مرغوباً فيهم من قبل الأمريكان ولكنه لم يصب فى الهجوم، وهذا الأمر لم يعد سراً خافياً على أحد ولا أدرى ماذا تسمى السياسة التى هى السبب الأول لموت مليون أو ما يقارب من المدنيين فى العراق، من بينهم نصف مليون طفل، وهو الثمن الذى يقول وزير الخارجية إن علينا دفعه ونحن راضون. ماذا يدعى هذا؟ مثال آخر هو دعم جرائم الإسرائيليين.

والمثال التالى هو الدعم الحاسم لإدارة كلنتون لتركيا لسحق سكانها من الأكراد، وقد كانت ٨٠ ٪ من المساعدات على شكل أسلحة. وازداد الدعم كلما تصاعد الظلم. لقد كان ذلك حقاً استخداماً فظيعاً للقوة، وهو أقسى حملات التطهير العرقى والتدمير فى التسعينيات. وهو أمر ليس معروفاً تقريباً لأن المسئولية الكبرى كانت على عاتق الولايات المتحدة. وحين يكون أحد ما ناقص اللباقة إلى حد أنه يطرح الموضوع يجرى الرد عليه أن ذلك ليس إلا مجرد «خطأ» صغير فى مسيرة عملنا الدؤوبة «لوقف الشر» فى كل مكان.

أو خذ مثلاً قصف مصنع الشفاء للأدوية فى السودان، وهو نموذج صغير من نماذج الإرهاب الذى تمارسه الدولة والذى سرعان ما جرى نسيانه. كيف مثلاً كان سيجرى الرد لو أن شبكة بن لادن فجرت نصف مخازن الأدوية الأمريكية وكل المصادر الممكنة لمدها بالأدوية؟ يمكننا تصور ذلك مع أن المقارنة غير متوازنة حيث أن نتائج ذلك التفجير وانعكاساتها على السودان كانت أكبر بكثير. لنتجاوز ذلك ونقول كيف كان سيرد لو أن الولايات المتحدة أو إسرائيل أو إنكلترا تعرضت لهجوم مشابه؟ ففى حالة السودان نقول «ثم ماذا، لقد كان ذلك أمراً مؤسفاً، والأخطاء تحدث دائماً، والآن ننتقل إلى الموضوع التالى، أما الضحايا فدعهم يتعفنون هناك». لكن رد فعل الناس الآخرين فى العالم لن يكون بالطريقة ذاتها. فحين يقوم بن لادن بهجوم كهذا فإنه يضرب على وتر يطرب له حتى الذين يمقتونه ويرهبونه، وينطبق الشىء نفسه على ما تبقى من

خطابه بتفجير السودان إذن ليس سوى هامش صغير، لكنه يعلمنا الكثير. فالجانب المثير للانتباه هو رد الفعل الأمريكي على من يرفض الاستسلام. لقد تحدثتُ عن ذلك مسبقاً ثم كررته حين أجريت معي مقابلة بعد فترة قصيرة من ١١ سبتمبر. حينها ذكرت بأن عدد ضحايا تلك «الجريمة المروعة» المرتكبة لغرض شرير وبقسوة مرعبة» (كما عبر عن ذلك روبرت فسك Robert Fisk). أمكن مقارنتها مع نتائج قصف مصنع الدواء من قبل كلنتون في آب ١٩٩٨، لقد فجر هذا الاستنتاج العالي العقلانية رد فعل فظيع أدى إلى ملء صفحات الانترنت والجرائد بأقوال بلا أساس ولا منطق لا أريد أن أناقشها. الجانب الوحيد المهم هو تلك العبارة المجتزأة - التي لو نظرنا إليها عن كثب لاكتشفنا أنها ليست سوى تصريح مكبوح - التي اعتبرها البعض فضيحة كبيرة. نستنتج من خلال ما سبق أنهم يعتقدون أن جرائمنا ضد الضعفاء هي أمور بديهية كما الهواء الذي نستنشقه، مهما حاولوا نكران ذلك أمام أنفسهم. فنحن فقط المسئولون عن جرائمنا بصفتنا دافعي ضرائب كوننا تهرّبنا عن دفع تعويضات ضخمة وكوننا منحنا المنفذين الحماية والحصانة ولأننا تركنا تلك الحقائق المرة تغوص في ثقب الذاكرة الأسود. ولكل هذه المسائل معانٍ كبيرة، تماماً كما كان الأمر سابقاً.

نحن لا نعرف تماماً النتائج التي ترتبت على قصف مصنع الشفاء، بل نستطيع التخمين فحسب. فقد طلبت السودان من الأمم المتحدة تقصي الدوافع وراء التفجير. لكن حتى ذلك جرى منعه من قبل دوائر صنع القرار في واشنطن، ولا يبدو أن أحدا حاول بحث الموضوع بعد ذلك، الأمر الذي كان حرياً بنا فعله بالتأكيد. فقد لزاماً علينا تذكر بعض القواعد الأخلاقية، على الأقل البعض منا الذي يهمه أدنى قدر من حقوق الإنسان. فحين نقدر عدد الضحايا الذين ذهبوا نتيجة جريمة معينة، فيجب علينا حساب ليس فقط الذين سقطوا في مكان الجريمة بل أيضاً الذين ماتوا متأثرين بنتائج الجريمة. فهذا هو الطريق الذي نسلكه بشكل بديهي - ولنا الحق في ذلك - حين نتحدث عن أعدائنا

التقليديين كستالين وهتلر وماو إذا أردنا ذكر بعض الأمثلة الأكثرة شهرة.. ففى تلك الحالة لا يخفف من الجريمة القول إنها لم تكن مقصودة بل أنها حدثت نتيجة للبنى المؤسساتية والأيديولوجية. فلو أخذنا مثالاً معروفاً: لا يمكن نفى حدوث المجاعة فى الصين عام ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ لكون ذلك حدث بسبب «خطأ» وإن ماو لم «يقصد» قتل الملايين من البشر. كما أن الجريمة لا تُخفف من خلال التكهنات حول الأعذار التى طرحها هو شخصياً كونه ألغى الأوامر التى صدرت وأدت إلى حدوث المجاعة. وطبقاً للمنطلق ذاته فإننا سنحتقر الآراء التى صدرت وأدت إلى حدوث المجاعة. وطبقاً للمنطلق ذاته فإننا سنحتقر الآراء التى تعطينا الحق فى إدانة جرائم هتلر فى أوروبا والتغاضى عن جرائم ستالين. فلو أردنا أن نكون بأدنى قدر من الجدية علينا تطبيق المعايير ذاتها على أنفسنا واستخدامها فى جميع المناسبات. وبذا فلزام علينا الأخذ بنظر الاعتبار جميع من ماتوا بسبب هذه الجريمة وليس فقط الذين قتلوا فى الخرطوم بالصواريخ بعيد المدى. ولا نعتقد أن الجريمة ستصبح أخف لكونها تمثل الوظائف الطبيعية للدوائر صاحبة القرار والمؤسسات الأيديولوجية، وهو أمر حدث بالفعل بالرغم من وجود بعض التكهنات المبنية على أسس معينة ـ مشكوك فيهاحسب رأيى ـ حول مشاكل كلينتون الخاصة، التى لا مناص منها فى هذه المناسبة على أية حال، حين يجرى الحديث عن جرائم المسئولين من الأعداء.

سنقوم، واضعين نصب أعيننا هذه المبادىء، بإلقاء نظرة على بعض المواد المتوفرة مباشرة فى صحف الاتجاه السائد، متجاهلاً التحليل الدقيق لشرعية الأعذار المختلفة من قبل واشنطن، والتى تحمل معنىً أخلاقياً طفيفاً قياساً إلى نتائج الجريمة.

بعد سنة من الهجوم «ارتفعت فى صمت مطلق أعداد الضحايا فى السودان نتيجة للهجوم ونتيجة لفقدان الأدوية الضرورية التى كان المعمل المدمر ينتجها... أصيب بالمرض عشرات الآلاف من الناس ـ كلهم من الأطفال ـ وماتوا بالملاريا والدرن الرئوى وأمراض أخرى قابلة للعلاج... كان معمل الشفاء ينتج

أدوية تعتبر أسعارها بمتناول الناس وينتج كذلك أدوية للحيوانات يتمكن الناس من الحصول عليها. كان المعمل ينتج ٩٠ ٪ من الأدوية المهمة فى السودان... وتعيق العقوبات التى فرضت على السودان استيراد كميات الأدوية الكافية لسد النقص الكبير الذى أحدثه تحويل المصنع إلى أنقاض... فالإجراءات التى اتخذت فى واشنطن يوم ٢٠ آب ١٩٩٨ تسلب بالنتيجة من الشعب السودانى الأدوية الضرورية. ولذا فإن ملايين الناس يتساءلون كيف ستحتفل محكمة العدل الدولية بيوم تأسيسها» (جوناثان بيلك Jonathan Belke بوستن غلوب، ٢٢ آب ٢٠٠١م).

«ومن الصعب إحصاء عدد القتلى، فى تلك الدولة الأفريقية البائسة، نتيجة لتدمير مصنع الشفاء، ولكن عدة عشرات الآلاف تخمين معقول» هذا ما كتبه السفير الألمانى فى السودان (ڤيرنر داوم «الكونية والغرب» هارڤاد انترنشنال ريڤيو، صيف ٢٠٠١م).

«خسارة هذا المصنع ما هى إلاّ مأساة لسكنة الأرياف والذين يحتاجون هذه الأدوية» (توم كارنافين، مدير فنى ذو «معرفة واسعة» بالمعمل المدمر، عبارة مقتبسة من أد ڤوليامى، هنرى ماكدونالد، شيام باتيا ومارتين برايت، الأوبزيرڤر، ٢٠ ديسمبر ١٩٩٨).

«لقد كان مصنع الشفاء المكان الوحيد الذى ينتج الأدوية المضادة للدرن الرئوى لما يقارب ١٠٠٠٠٠ من المرضى بسعر يناهز الجنيه الاسترلينى الواحد فى الشهر، فالأدوية المستوردة غالية ولا تقع فى متناول الكثير ومن ضمنهم الأطفال والبالغين الذين أصيبوا منذ ذلك الوقت. كان الشفاء أيضاً المصنع الوحيد الذى ينتج أدوية للحيوانات فى تلك البلاد الشاسعة التى تشكل المراعى كل مساحتها. وقد امتاز المصنع بإنتاج دواء يقتل الطفيليات التى تنتقل من الماشية إلى البشر، والتى تشكل أحد الأسباب الرئيسة لارتفاع نسبة موت الأطفال الرضع فى السودان» جيمس آستل James Astill، الغارديان، ٢

أكتوبر ٢٠٠١).

وتستمر بالتصاعد أعداد الموتى بصمت.

تقدم هذه المعلومات من قبل صحفيين محترمين يكتبون فى صحف رئيسة، والاستثناء الوحيد هو جوناثان بيلك Jonathan Belke الذى يكتب مستنداً إلى خبرته الميدانية الخاصة فى السودان. فهو المدير المحلى لمؤسسة الشرق الأدنى وهى مؤسسة تنموية محترمة يرجع تاريخها إلى الحرب العالمية الأولى. تمنح المؤسسة مساعدات فنية إلى البلدان الفقيرة فى الشرق الأوسط وأفريقيا مع التركيز على المشاريع المنفذة بين عامة الناس والتى يجرى تنفيذها بالتعاون الوثيق مع الجامعات الرئيسة والمؤسسات الخيرية ووزارة الخارجية الأمريكية والدبلوماسيين المعروفين فى الشرق الأوسط والشخصيات البارزة فى الشرق الأوسط فى مجال التربية والنشاطات الخيرية.

وطبقاً لتحاليل موثوقة، ممكن الحصول عليها بسهولة، فإن نتيجة التفجير كلفت من الضحايا ما يعادل «مئات الآلاف من البشر» قياساً إلى عدد السكان، معظمهم من الأطفال الذين يموتون فى أمراض قابلة للمعالجة». ولا تعتبر المقارنة عادلة بين ذلك وبين ما أحدثه الهجوم الوحيد لشبكة بن لادن ضد الولايات المتحدة. والسودان هى «واحدة من أكثر مناطق العالم تخلفاً، فمناخها القاسى والكثافة البشرية القليلة قياساً إلى المساحة والأمراض والبنية الداخلية المدمرة، كل هذه العوامل تجعل الحياة بالنسبة للسودانيين نوعاً من الصراع من أجل البقاء». فهذا البلد تهاجمه الملاريا مراراً وتكراراً وكذلك الدرن الرئوى وأمراض كثيرة أخرى، هناك حيث «هجمات ذات السحايا والكوليرا مسألة عادية تتكرر من فترة لأخرى لهذه الأسباب تصبح الأدوية الرخيصة ضرورية بشكل استثنائى (جوناثان بيلك وكمال الفقى فى تقرير فنى ميدانى بعث إلى مؤسسة الشرق الأدنى). بالإضافة إلى ما سبق فالسودان تمتلك مساحات قليلة صالحة للزراعة وذات شح مزمن بالمياه الصالحة للشرب،

ونسبة وفيات عالية وقطاع صناعى محدود ودين خارجى بأقساط وفوائد غير مدفوعة، بلاد يجتاحها الإيدز ويصيبها الخراب الذى أحدثته الحروب الأهلية الدامية وتثقل كاهلها عقوبات قاسية. ولا يمكن فى الحقيقة سوى تخمين ما يحدث داخل البلاد ولا يستثنى من ذلك ما يكتبه بيلك (الذى يعتبر مصدراً موثوقاً) عن أن عشرات الآلاف من الناس تعرضوا للمرض أو الموت فى ظرف سنة «نتيجة لتدمير أكبر مصنع منتج للأدوية الرخيصة للبشر والحيوانات».

بيد أن كل ما ذكرناه ما هو إلاّ حك للقشرة.

بعث هيومن رايتش ووتش تقريراً مباشراً يتحدث عن أن «جميع مكاتب الأمم المتحدة فى الخرطوم والمنظمات الأخرى للإغاثة قد جرى إخلاؤها من موظفيها من الأمريكان» كإجراء سريع بسبب التفجيرات، بحيث أن «الكثير من إجراءات الإغاثة جرى تأجيلها إلى إشعار آخر، ومن بينها إجراء مهم بشكل استثنائى تقوم به لجنة الإغاثة التى تتخذ من أمريكا قاعدة لها، وتعمل فى مدينة سودانية تسيطر عليها القوات الحكومية ويموت فيها يومياً ٥٠ شخصا». يحدث هذا فى جنوب السودان «حيث تقدر الأمم المتحدة أن ٢,٤ مليون شخص يتعرضون لخطر المجاعة، بحيث أن كل ما يعيق وصول مواد الإغاثة إلى السكان الذين يتعرضون لمحنة، «قد يؤدى إلى أزمة مريعة»، بالإضافة إلى ذلك فإنه يبدو أن الهجوم «أدى إلى تثبيط الحركة المتنامية ببطء باتجاه حل وسط بين الأطراف المتحاربة فى السودان» وأدى إلى إيقاف الخطوات الواعدة نحو اتفاق سلام لإيقاف الحرب الأهلية التى كلفت ١,٥ مليون من الضحايا منذ عام ١٩٨١. كما كان متوقعاً تحقيق السلام فى أوغندا وفى حوض النيل بكامله». ويبدو أن الهجوم «ألغى... التأثيرات المنتظرة المشجعة للتغيير السياسى ضمن الحكومة الإسلامية السودانية» باتجاه «تعاون عملى مع المحيط»، كذلك محاولة معالجة الأزمات السودانية الداخلية وإيقاف الإسناد للإرهاب وإضعاف نفوذ الإسلاميين الراديكاليين (مارك هو باند Mark Huband الفايننشال تايمز، ٨ سبتمبر ١٩٩٨).

وبهذا المعنى فإن النتائج أصبحت بالدرجة التى يمكن فيها مقارنة الجريمة التى ارتكبت فى السودان بمقتل لومومويا الذى أدى إلى إدخال الكونغو فى عقود من المذابح مازالت قائمة حتى الآن، كما يمكن مقارنتها بالإطاحة بالحكومة الديمقراطية فى جواتيمالا عام ١٩٥٤، التى قادت إلى ٤٠ سنة من الحروب ذات القسوة الرهيبة، وهناك أمثلة أخرى مشابهة.

لقد أكد جيمس آسيل بعد ثلاث سنوات استنتاجات هيوباند فى المقالة التى ذكرناها أعلاه والتى نشرت فى الغارديان. ويقوم هو باستعراض «الثمن السياسى الذى دفعه بلد كافح للخروج من ديكتاتورية عسكرية شمولية واتجاه إسلامى مدمر وحرب أهلية طويلة الأمد «قبل الهجوم الصاروخى الذى أوقع الخرطوم، فى ليلة وضحاها، فى كابوس أهوج من التطرف حاولت هى تجنبه». وكان لهذا الثمن السياسى، كما يعتقد هو، أن يصبح أكثر إيذاء للسودان من عملية نظامها الصحى الواهن.

ويورد أستيل رأياً للدكتور إدريس الطيب، وهو واحد من الصيادلة السودانيين، المعدودين أصلاً، ورئيس مجلس إدارة الشفاء. فحسب رأيه تعتبر الجريمة «عملاً إرهابياً حاله حال العمل الإرهابى ضد مركز التجارة العالمى، الفرق الوحيد هو أننا نعرف من نفذ العملية. ومع حزنى وأسفى الكبير على كثرة القتلى فى نيويورك وواشنطن، لكننا لو أخذنا المسألة بشكل تناسبى وذكرنا التكاليف بالنسبة لبلد فقير كالسودان لظهر أن تفجير مصنع الشفاء هو أسوأ».

وهو محق للأسف فى مسألة تناسبية عدد الضحايا، حتى لو تجاوزنا الثمن السياسى بعيد المدى.

ولا أنوى هنا أن أنشغل بتقدير «التكاليف» حيث لا داعى للحديث عن أن الجرائم لا يمكن تقديرها بالمقاييس، لكن مقارنة عدد القتلى مسألة معقولة وهى متعارف عليها فى عالم البحوث.

لقد كلف الهجوم الأمريكان أنفسهم أثماناً باهظة بدت جلية جداً يوم ١١ سبتمبر، *أو لربما كان المفروض أن تصبح كذلك. وأنا أجد أنه لمن الغريب أن*

ذلك لم يجد له مكاناً (إذا افترضنا أن الموضوع تم أصلاً تناوله) فى النقاش الشامل حول النقص فى النشاط المخابراتى الذى كان سبباً لحدوث الجريمة الإرهابية يوم ١١ سبتمبر. فقد ألقت السلطات السودانية، مباشرة قبل الهجوم الصاروخى، القبض على رجلين اشتبه بكونهما يقفان وراء تفجير السفارة الأمريكية فى شرق أفريقيا وقد تم إبلاغ واشنطن بذلك، الأمر الذى أكده مصدر رسمى أمريكى. لكن الولايات المتحدة رفضت الاقتراح بالتعاون الذى قدمته السودان. وفى «فورة الغضب» قامت السلطات السودانية بإطلاق سراح هذين الرجلين (جيمس رايزن James Risen، نيويورك تايمز، ٣٠ يوليو ١٩٩٩). بعد حين تم تشخيصهما كعضوين فى شبكة بن لادن. وقد تسريت قبل فترة مذكرات للـ إف.بى.آى أضافت سبباً جديداً لحدوث فورة الغضب السودانية. فقد أراد مكتب التحقيقات الفيدرالى أن يتم تسليمهم لكن وزارة الخارجية الأمريكية رفضت ذلك. ويصف الآن «مصدر رفيع المستوى فى السى. آى. إيه» ذلك واقتراحات أخرى بالتعاون طرحتها السودان كونه «أكبر خطأ مخابراتى فى تلك القصة المريعة. ويقصدون هنا هجوم ١١ سبتمبر. «وهذا هو ما يوضح حتى الآن كل ذلك» حيث أن السودان كانت مستعدة لأن تقدم أدلة شاملة ضد بن لادن، الأمر الذى جرى رفضه مرة إثر أخرى نتيجة «للكره الأعمى» للإدارة الأمريكية للسودان، كما تورد ذلك مصادر فى السى. آى. إيه. لقد كانت العروض السودانية تتضمن «معلومات ضخمة وإخباريات عن أسامة بن لادن وأكثر من ٢٠٠ من الأعضاء القياديين فى منظمته الإرهابية القاعدة من الأعوام الممتدة حتى ١١ سبتمبر». «وقد عرض على واشنطن ملفات ضخمة تتضمن صوراً ومعلومات شخصية مفصلة عن الكثير من كوادره المتقدمة ومعلومات غاية فى الأهمية عن المصالح الاقتصادية للقاعدة فى بقاع عديدة من العالم»، لكنها رفضت قبول المعلومات بسبب «الكره الأعمى» لهدفها فى الهجوم الصاروخى. «ومن المنطق القول بأننا كنا سنحصل على فرصة أفضل لمنع الهجمات لو كنا نمتلك تلك المعلومات» وبهذه العبارة يختم المصدر العالى

المستوى فى السى. آى. إيه. كلامه (ديفيد روز David Rose، الأوبزيرفر، ٣٠ سبتمبر، فى وف لتحقيق قامت به الصحيفة).

من الصعب تقدير عدد ضحايا الهجوم الصاروخى فى السودان، حتى لو وضعنا جانباً عشرات الآلاف من الناس الذين تضرروا مباشرةً. فالعدد الإجمالى للموتى يمكن أن يعزى فقط إلى هذه الجريمة، لو كنا على الأقل شرفاء بحيث نتجرأ على تطبيق المعايير التى نستخدمها محقين ضد أعدائنا التقليديين. فرد الفعل فى الغرب يفضح شيئاً جزئياً عنا نحن، فمن البديهى أن نقبل معياراً أخلاقياً آخر: يجب على الإنسان أن يجرؤ على أن يرى صورته فى المرآة. وإذا عدنا ثانية إلى «منطقتنا الصغيرة المنزوية هنا والتى لا تؤذى أبداً أى أحد»، وهو الاسم الذى أطلقه هنرى ستيمسون Henry Stimson على زفظع نصف للكرة الأرضية، خذ مثلاً كوبا. فبعد سنوات من الإرهاب، الذى تضمن أيضاً قسوة فظيعة، كانت تملك كل الحق منذ نهاية ١٩٥٩ للرد بالقوة على الولايات المتحدة طبقاً للنظرية الأمريكية التى نادراً ما وضعت موضع التساؤل. وللأسف فإن الاستمرار فى سرد الأمثلة سهل جداً ليس فقط فيما يخص الولايات المتحدة بل دول الإرهاب الأخرى أيضاً.

■ **س: تورد فى كتابة ثقافة الإرهاب انه «جرى تنوير الساحة الثقافية جيداً من خلال افكار حمائم الثقافية، اللواتى حددن من هو الرأى الآخر المحترم». كيف تصرفت تلك الحمائم منذ ١١ سبتمبر؟**

● تشومسكى: لا أحب فى الحقيقة التعميم ولذا سأورد مثالاً ملموساً. ورد فى نيويورك تايمز يوم ١٦ سبتمبر أن الولايات المتحدة طالبت الباكستان بإيقاف إرسال الإغاثة الغذائية إلى أفغانستان. وقد جرى إيضاح هذا الأمر مسبقاً،

بيد أنه أصبح أكثر وضوحاً هذه المرة من خلال نص محدد. فمن ضمن المطالب التى اشترطتها الولايات المتحدة على الباكستان أن يجرى «إيقاف قوافل الشاحنات التى تمد المدنيين الأفغان بقسم كبير من المواد الغذائية والمواد الضرورية الأخرى». وهى المواد الغذائية التى لربما تحمى السكان المدنيين من تجاوز الحد المؤدى إلى المجاعة (جون بيرنز، إسلام آباد، نيويورك تايمز). ماذا يعنى هذا؟ بلى، هذا يعنى أن عدداً غير معروف من الأفغان الجياع سيموتون. هل هم من أتباع طالبان؟ لا، إنهم ضحايا طالبان. فالكثير منهم هربوا من منازلهم لكنهم منعوا من مغادرة البلاد. بيد أننا نسمع عبارة: حسناً، لنستمر الآن فى مسيرتنا ونقتل أعداداً أخرى غير معروفة، لربما ملايين من الأفغان الجائعين الذين هم ليسوا سوى ضحايا طالبان. ماذا كان رد الفعل؟

لقد أجريت معى طوال اليوم مقابلات فى إذاعات ومحطات تليفزيون من جميع أنحاء العالم، وقد طرحت الموضوع مرة تلو الأخرى. لم ينبس أحد ببنت شفة لا فى الولايات المتحدة ولا فى أوروبا. كانت هناك ردود فعل كثيرة فى بلدان أخرى، حتى فى بلدان أطراف أوروبا مثل اليونان. كيف كان مفترضاً أن يكون رد فعلنا؟ لنفترض أن هناك بلداً جريئاً بما فيه الكفاية بحيث يقول: لنقم بفعل ما يؤدى إلى تجويع أكبر عدد ممكن من الأمريكان حد الموت، هل تعتقدون أن احتجاجات ستحدث؟ ثانية أقول إن هذه المقارنة غير عادلة. لقد تركت أفغانستان تصارع مصيرها بعد أن خرجت مدمرة من الاجتياح السوفييتى وجرى استغلالها فى حرب لصالح أمريكا، والآن تغرق أجزاء كبرى من البلاد فى خراب ويغط الناس فى اليأس، إنها حقاً لواحدة من أكثر المآسى الإنسانية فى عالمنا.

■ س: تعتبر إذاعة ناشيونال ببلك راديو National Public Radio، التى أسمتها إدارة ريجان «إذاعة ماناغوا على ساحل بوتوماك»، والتى تصنف ايضاً بأنها واقعة على

هامش الجناح الليبرالى للمناظرة المحترمة. فقد قام نوح آدامز، الذى يقود برنامج المناظرات ،كل الأشياء مأخوذة بعين الاعتبار، بطرح الأسئلة التالية يوم ١٧ سبتمبر: ،هل يجب اجراء الاغتيالات السياسية؟ هل يجب منح السى. آى. إيه. اى مجالاً أوسع للحركة؟

● تشومسكى: لا يجب السماح للسى. آى. إيه. بالقيام بالاغتيالات السياسية، بيد أن هذا الموضوع أقل أهمية فى هذه المناسبة. هل يجب السماح للسى. آى. إيه. بالقيام بتفجير سيارة فى بيروت كما ذكرت قبل برهة؟

وفى الواقع فإن هذا الأمر لم يكن سراً بل على العكس أخذ حيزا واسعاً فى الصحف الكبرى، بالرغم من أنه سرعان ما طواه النسيان. فهو لم يتجاوز أى قانون، والمسألة لا تخص السى. آى. إيه فقط. أكان يجب السماح للسى. آى. إيه. بوضع جيش إرهابى فى نيكاراغوا ذو مهمة رسمية من قبل وزارة الخارجية لمهاجمة «الأهداف السهلة» فى نيكاراغوا أى المزارع التعاونية ومراكز العناية الصحية التى لا تقدر أن تدافع عن نفسها؟ لا تنسى أن وزارة الخارجية صادقت رسمياً على الهجمات مباشرة بعد ما أصدرت محكمة العدل الدولية قرارها بالطلب من الولايات المتحدة بالكف عن حملتها الإرهابية العالمية ومطالبتها بدفع تعويضات كبيرة.

ماذا سنسمى شيئاً كهذا؟ أو هل كان يجب تركها تصنع منظمة مشابهة لشبكة بن لادن، ليس شخصياً بل المنظمات الظل؟

هل يجب أن تمنح الولايات المتحدة الأهلية لإمداد إسرائيل بالمروحيات المقاتلة التى تستخدم لارتكاب جرائم الاغتيال السياسى ومهاجمة الأهداف المدنية؟ وهذا الأمر لم تقم به السى. آى. إيه. بل إدارة كلنتون دون أن نسمع احتجاجات تذكر. فحتى عن هذا لم يكتب شىء، رغم أن المصادر ليست من النوع المعصوم من الخطأ.

■ س: هل بإمكانك أن تعرف الاستخدام السياسى للإرهاب؟ أى مكان يتبوأ فى التشكيلة النظرية؟

● تشومسكى: تعمدت الولايات المتحدة رسمياً أن تمارس ما يسمى «بالحرب ذات التكثيف الخفيف». وهذه هى النظرية الرسمية. ولقد جرت مقارنة التعريف القياسية للحرب ذات التكثيف الخفيف مع التعريف الرسمى «للإرهاب» فى كتب التعليمات العسكرية أو قانون الولايات المتحدة (انظر الملحق)، فظهر أن التعريفين يتطابقان. فالإرهاب هو وسيلة قسرية توجه ضد السكان المدنيين لغرض الوصول إلى أغراض سياسية أو دينية أو غيرها. وهكذا كان الهجوم على مركز التجارة العالمى جريمة مريعة تفوق التصور.

فطبقاً للتعريفات الرسمية يدخل الإرهاب بشكل بديهى فى إجراءات الدولة وفى النظرية الرسمية، وبالتأكيد ليس فقط فى أمريكا.

وعلى العكس مما يقال دوماً فإنه ليس «سلاح الضعفاء». ونضيف أن هذا الأمر يجب أن يكون معروفاً جداً. ومن الخزى أنه ليس كذلك.

وعلى الذين يريدون التعمق فى ذلك أن يباشروا بقراءة مجموعة مقالات كتبها الكسندر جورج Alexander George الذى ذكرناه سابقاً والذى تناول حالات كثيرة. يجب على الناس معرفة هذه الأشياء إذا أرادوا معرفة شىء عن أنفسهم. الضحية تعرف ذلك بالطبع، لكن مرتكبى الجريمة يفضلون النظر باتجاه آخر.

الفصل الخامس

يمثل هذا الفصل أساساً لقاءاً أجراه ميكائيل ألبرت يوم ٢٢ سبتمبر ٢٠٠١م.

طبيعة الرد

■ **س: لنفترض من أجل النقاش أن بن لادن هو الذى يقف وراء التفجيرات. ما هى دوافعه فى هذه الحالة؟ فالهجمات فى الحقيقة لم تساعد الفقراء والضعفاء فى أى مكان، إذن ما هو الغرض إذا افترضنا أنه هو الواقف وراء التفجيرات؟**

● تشومسكى: يجب معالجة هذا الموضوع بحذر. طبقاً لما يقوله روبرت فسك الذى أجرى لقاءات مطولة وعديدة معه، يقاسم بن لادن العديد من أبناء المنطقة حنقهم على التواجد العسكرى الأمريكى فى الخليج والدعم والإسناد للأعمال الإجرامية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين وتدمير المجتمع المدنى فى العراق الذى قادته الولايات المتحدة. ويشترك فى هذا الحنق الغنى والفقير سواء بسواء ويمتد إلى الطيف السياسى كله وإلى قطاعات أخرى.

ولا يعتقد الكثير ممن يهتمون بالمسألة أن بن لادن كان يستطيع أن يخطط لعملية معقدة كهذه من مغارة ما فى أفغانستان. لكن اشتراك منظمته فى العملية أمر معقول إلى حد كبير، كذلك كونه كان الملهم لأنصاره. والأمر له

علاقة بكون التنظيم لا مركزى وغير هرمى واتصال أعضائه ببعضهم قليل على الأرجح. ويرجح الكثير أن بن لادن لا ينطق سوى بالحقيقة حين يقول إنه لم يكن يعلم بالهجمات.

وبغض النظر عن ذلك فإن بن لادن يعبر بصراحة عما يفكر به، ليس فقط للغربيين كفسك Fisk مثلاً؛ بل أيضاً ـ وهذا أهم ـ إلى المستمعين الناطقين بالعربية الذين يصل صوته إليهم عن طريق الكاسيتات التى تنتشر بشكل واسع فيما حوله من المناطق.

وإذا تبنينا لأجل النقاش وجهة نظره، فإن الهدف الأول من عدويه هو الأنظمة التقليدية فى المنطقة والتى لا تعتبر إسلامية حقيقية بأى حال من الأحوال، من وجهة نظره ويندفع هو وشبكته لمساعدة المسلمين فى الدفاع عن أنفسهم ضد «الكفرة» فى كل مكان: الشيشان، البوسنة، كشمير، غرب الصين، جنوب شرقى آسيا، شمال أفريقيا، ولربما حتى فى مناطق أخرى. لقد كافحوا وربحوا حرباً مقدسة لإخراج الروس (الأوروبيين الذى لا يختلفون، لربما، حسب وجهة نظرهم عن الإنكليز والأمريكان) من أفغانستان الإسلامية، ويندفعون الآن أكثر لإخراج الأمريكان من السعودية، وهى بلد أهم بكثير لأن أقدس الأماكن الإسلامية تقع هناك.

وتلقى دعوته للإطاحة بأنظمة الزمر الفاسدة والفظة، صدىً واسعاً. كذلك يلقى سخطه على الأعمال الوحشية التى تُنسب بحق للولايات المتحدة. وبالتأكيد فإن جريمته سببت ضرراً كبيراً للشعوب الأكثر فقراً وتعرضاً للاضطهاد فى المنطقة. ولقد ذاق الفلسطينيون الويلات عقب الهجمات. ولكن ما يبدو من الخارج أمراً غير مترابط، يبدو من الداخل بشكل آخر. فمن خلال مقاومتهم الباسلة للأنظمة التقليدية والمحافظة، وهو أمر موجود فعلاً، يبدو بن لادن فعلاً بطلاً، مهما كانت أعماله مؤذية للأغلبية المعدمة. وإذا ما نجحت الولايات المتحدة فى قتله فسيصبح لربما شهيداً أكثر عظمة، يستمر صوته يصدح فى الكاسيتات التى تتداولها الأيدى وبطرق مختلفة فهو رمز وقوة ملموسة للولايات المتحدة ولربما للقسم الأكبر من سكان المنطقة.

وأنا أرى أن هناك أكثر من سبب لأخذ كلامه على محمل الجد. كما أن جرائمه نادراً ما تأتى كمفاجأة للسى. آى. إيه. فقد بدأ تغير شامل بعلاقة المخابرات المركزية الأمريكية بالقوى الراديكالية الإسلامية ـ والتى نُظمت وسُلحت ودُربت من قبل الولايات المتحدة وفرنسا والباكستان ومصر وغيرها ـ مباشرة بعد اغتيال الرئيس المصرى السادات عام ١٩٨١، وهو أحد المؤسسين المتحمسين للقوات التى جرى تجميعها لخوض حرب مقدسة ضد الروس. ومنذ ذلك الوقت استمر العنف بدون توقف ـ لقد كان النكوص فى العلاقة مباشراً ومن نوع مألوف جداً منذ ٥٠ سنة، متضمناً تدفق المخدرات والعنف. ولكى نقدم مثالاً نورد ما كتبه جون كولى ـ وهو خبير متقدم فى هذا المجال ـ فى الحرب القذرة Unhaly war بأن عملاء السى. آى. إيه. «ساعدوا بشكل متعمد» فى السماح بدخول الشيخ الإسلامى المتطرف المصرى عمر عبد الرحمن عام ١٩٩٣. فقد جرى الإعلان أصلاً فى مصر كونه إرهابياً، وقد اشترك عام ١٩٩٣ فى تفجير مركز التجارة العالمى الذى جرى على أساسه اتباع التعليمات الواردة فى كتب التعليمات التابعة للسى. آى. إيه. ويبدو أن المتطوعين فى أفغانستان زُودوا بكتب كهذه فى حربهم ضد الروس. وكانت الخطة مرسومة لتفجير مبنى الأمم المتحدة ونَفَقَى لنكولن وهولندا وأهداف أخرى. وقد جرى الحكم على عمر لاشتراكه فى التآمر، بالسجن لفترة طويلة.

■ **س إذا افترضنا أن بن لادن هو الذى خطط لهذه الهجمات، وكون الخوف من حدوث هجمات كثيرة مشابهة يكسب مصداقية، كيف نتصرف لتقليل أو إزالة هذا الاحتمال؟ أية إجراءات يجب على الولايات المتحدة والآخرين اتخاذها فى بلدانهم وعلى المستوى العالمى؟ ما هى عواقب إجراءات كهذه؟**

● تشومسكى: الحالات تختلف، لكننا سنتناول حالات متشابهة. ما هو الطريق الصحيح الذى سلكته إنكلترا لمعالجة تفجيرات الجيش الجمهورى الأيرلندى فى لندن؟ لقد كان بإمكان الحكومة البريطانية إرسال الآر. إى. إف RAF لتفجير المناطق التى تمول الجيش الأيرلندى بالنقود، مثلاً بوستون؛ أو زرع العملاء داخل قوات الكوماندوز وبهذه الطريقة يمكن إلقاء القبض على المشتبه بكونهم ذوى علاقة بالتمويل ثم قتلهم أو نقلهم إلى لندن وإحالتهم إلى المحاكمة. وبغض النظر عن أن هذه الخطة غير قابلة للتنفيذ، فإنها كانت ستغدو نوعاً من الإجرام الأحمق. وما عدا ذلك يوجد البديل الواقعى فى محاولة معالجة القلق والشكوى المسببة للصراع، فى الوقت نفسه الذى يجرى فيه اتباع القانون ومعاقبة المجرمين. ويبدو أن أمراً كهذا سيكون أكثر عقلانية. خذ مثلاً آخر تفجير أوكلاهوما. لقد سمعت أصواتاً تطالب مباشرةً بقصف الشرق الأوسط، والذى كان سيحدث حقاً لو اكتشفت أن هناك تلميحا إلى علاقة لأشخاص من هناك بالأمر. ولكن حين ظهر على العكس أن الهجوم دُبر من قبل أمريكان لهم علاقات بالميليشيات، لم يجرِ الكلام عن تدمير مونتانا أو أداهو أو «جمهورية تكساس» التى جرى الإلحاح بالمطالبة بانفصالها عن النظام غير الشرعى فى واشنطن. وعلى العكس فقد جرى الحديث عن المنفذين، وفعلاً عُثر عليهم، وقُدموا للمحاكمة وحُكموا، وقد كان رد فعل الناس، حتى هذا الحد، عقلانياً، فقد أرادوا فهم الأسباب المحركة لهذا ومعالجتها. هذا هو الدرب الذى يجب، فى الحقيقة، أن نسلكه، إذا توخينا العدالة وتقليل خطر جرائم كهذه فى المستقبل وليس تصعيدها.م وتصلح الأسس ذاتها بشكل عام، مع الأخذ بنظر الاعتبار تقلبات الظروف، وهو أمر يصلح تماماً لحالة كهذه.

■ **س: أية إجراءات ستُقدم الولايات المتحدة على اتخاذها؟ ماذا ستكون العواقب لو جرى اتخاذ إجراءات كهذه؟**

- تشومسكى: الذى أُعلن فى الحقيقة هو حرب على كل من لا يقف بجانب الإدارة الأمريكية، حينما تستخدم القوة بالطريقة التى اختارتها الآن.

وتقف دول العالم أمام خيار صارم: انضموا إلى حملتنا الصليبية، «وإلاّ فإنكم ستتعرضون بالتأكيد للموت والفناء» (آر. دبليو. آبل نيويورك تايمز، ١٤ سبتمبر).

وقد صعد بوش الخطاب السياسى يوم ٢٠ سبتمبر بكل قوة ممكنة هذه اللهجة. ولو جرى تفسير ذلك بشكل حرفى فإنه ليس سوى إعلان حرب بلا شك ضد جزء كبير من العالم. لكننى متأكد أننا سوف لن نفسره حرفياً. فالذين يجلسون على سدة السلطة ويخططون لا يريدون بالتأكيد تخريب مصالحهم الخاصة بنتائج وخيمة كهذه. ونحن لا نعرف مخططاتهم الحقيقية لكنهم سيصغون بالتأكيد للتحذيرات التى يطلقها قادة منطقة الشرق الأوسط وقادة الدول الأخرى وعملاؤهم فى جهاز المخابرات والمتخصصين فى شئون المنطقة. فهجوم عسكرى واسع النطاق يؤدى إلى قتل الكثير من المدنيين الأبرياء سيكون هو بالضبط «ما يتمناه المنفذون لمذبحة منهاتن، أكثر من أى شىء آخر. وسوف يؤدى العمل العسكرى إلى رفع فعلتهم إلى مستوى القداسة، ويحول قيادتهم إلى آلهة ويؤدى إلى التشكيك فى التحديث وترسيخ التعصب. وإذا احتاج التاريخ يوماً إلى حافز لصراع جديد وفظيع بين العرب والغرب فهذا الهجوم العسكرى جاهز أمامنا» (سيمون جنكيز Simon Jenkins، التايمز (لندن). ١٤ سبتمبر، وهو واحد من مجموعة كبيرة أكدوا منذ البداية هذا الرأى).

وحتى لو قتل بن لادن ـ وقد يتفاقم الأمر لو تم قتله ـ فإن ذبح الأبرياء سوف لن يؤدى سوى إلى تزايد الغضب واليأس والإحباط الذى يخيم أصلاً على المنطقة، مما يشجع الآخرين على الاندفاع إلى إلقاء أنفسهم فى أتون الصراع الرهيب.

ويعتمد تصرف الإدارة بشكل جزئى على المزاج العام فى الولايات المتحدة، الذى نأمل أن يكون ذا تأثير. ولا نعرف، حالنا كحال أصحاب القرار، إلا القليل عن عواقب الإجراءات. بيد أنه توجد تقويمات موثوقة، وإذا لم يتبع أصحاب القرار طريق التعقل والواجب القانونى فإن الآفاق تبدو مبهمة.

■ **س: يقول الكثير إنه كان من واجب مواطني الدول العربية أخذ مسؤولية اجتثاث جذور الإرهاب والدول الداعمة له، علي عاتقهم. فما هو تعليقك علي ذلك؟**

● تشومسكى: إنه لأمر معقول دعوة المواطنين للقضاء علي الإرهاب بدلاً من انتخابهم كي يتسمنوا مناصب عليا وتمجيدهم ومكافئتهم. لكنني لا أعتقد أنه كان من واجبنا «استئصال من انتخبناهم ولا مستشاريهم ولا المثقفين المتملقين النفعيين الذين يدورون في فلكهم» أو الإطاحة بحكوماتنا هنا وفي الغرب بسبب أعمالهم الإرهابية ودعمهم للإرهابيين في جميع أنحاء العالم، ومن ضمنهم البعض الذي انتقل من صف الأصدقاء والحلفاء إلي خانة «الإرهابيين» لأنهم فقط عصوا أوامر الولايات المتحدة. أقصد هنا صدام حسين وآخرين مثله. إنه لمن الإجحاف توبيخ المواطنين في بلدان محكومة بأنظمة جائرة ندعمها نحن، لكونهم لم يأخذوا علي عاتقهم المسؤولية تلك، حين لانمارس نحن ذلك تحت ظروف ذات إمكانيات أكثر.

■ **س: يقول الكثير إن الأمة التي تهاجم ترد بالطريقة ذاتها وقد كان الأمر كذلك دائماً. ماهو تعليقك علي ذلك؟**

عملي فعلي واقعي - إبطال إلغاء محق إبادة - يصوغ

● تشومسكى: حينما تهاجم البلدان فإنها، وحسب امكانياتها، تدافع عن نفسها. وطبقاً لهذا المفهوم فإنه كان يجب على بلدان مثل نيكاراغوا وجنوب فيتنام وكوبا وبلاد أخرى، تفجير قنابل فى واشنطن ومدن أمريكية أخرى، وكان يجب الثناء على الفلسطينيين حين يفجرون قنابل فى تل أبيب... الخ. إن عقائد من مثل هذا النوع هى التى جعلت أوروبا تُدمّر ـ عملياً ـ نفسها. لكن بعد مئات السنين من الاستخدام الوحشى للقوة اضطرت أمم العالم لإجراء تسوية من

نوع جديد بعد الحرب العالمية الثانية، أكدوا فيها، ولو على أساس شكلى، مبدأ منع استخدام القوة إلاّ لأغراض الدفاع عن النفس ضد هجوم مسلح بانتظار تدخل مجلس الأمن لحماية السلام والأمن فى العالم. وقد جرى النص حرفياً على تحريم الانتقام. ولما كانت الولايات لا تتعرض إلى هجوم مسلح حسب التعريف الوارد فى المادة ٥١ من النظام الداخلى للأمم المتحدة، فإن هذه الأفكار لا مناص منها، إذا كنا متفقين، على أى حال، على أن القواعد الأساسية للقانون الدولى يجب أن تطبق أيضاً علينا وليس فقط على غير المرغوب فيهم لدينا.

وإذا وضعنا جانباً القانون الدولى فإننا نملك تجارب قرون عديدة تخبرنا بالضبط ماذا ستجلبه علينا تلك النظرية التى تطرح الآن ويجرى الترحيب بها من جهات كثيرة. ففى عالم أسلحة الدمار الشامل تكون النتائج خطراً معلقاً على الرؤوس ينبىء بدمار المجتمع البشرى.

وهذا بالضبط ما حدى بالأوروبيين قبل نصف قرن للاستنتاج بأن الذبح المتبادل، الذى كرسوا أنفسهم لأجله مئات السنين، يجب الكف عنه وإلاّ....

■ **س: فى الأيام التى أعقبت ١١ سبتمبر صدم الكثير بالكره للولايات المتحدة الذى أظهره الكثير فى أنحاء مختلفة من العالم، فى الشرق الأوسط وليس فقط هناك. فالصور التى اظهرت الناس يبتهجون بتدمير مركز التجارة العالمى اثارت مشاعر الانتقام. ماذا تقول عن ذلك؟**

● تشومسكى: استلم السلطة فى أندونيسيا جيش مدعوم من قبل الولايات المتحدة وقام بمذابح كلفت مئات الألوف من الناس، معظمهم من الفلاحين المعدمين، فى حمام دم قامت به السى. آى. إيه. ينتمى إلى الفئة نفسها التى تنتمى لها جرائم هتلر وماو وستالين. وقد جرى بشكل مضبوط بعث تقارير

صحفية أثارت حماسة منقطعة النظير فى الجرائد الأمريكية التى تغطى البلاد كلها. حين تكبدت نيكاراغوا أخيراً لهزيمة فى الهجوم الأمريكى ملأت جرائد التيار السائد بالمديح للطرق الناجحة التى استخدمت «لتدمير الاقتصاد والقيام بحرب بالوكالة، طويلة الأمد ومدمرة تجبر المواطنين للإطاحة بالحكومة التى لا يرغبون هم فيها»، بتكاليف أقل علينا، تاركين الضحية بجسورها المدمرة ومحطات الطاقة المخربة والزراعة المنهارة» كى تمنح مرشح الرئاسة الأمريكية ورقة رابحة فى الانتخابات هى «القضاء على الفقر الذى يعانى منه الشعب النيكاراغوى». (تايم). «نحن جميعاً فرحون» لهذه النتيجة، هتفت نيويورك تايمز. وهناك أمثلة أخرى.

كان عدد الذين ابتهجوا لحدوث جريمة قلائل، على العكس كان هناك تعاطف كبير، حتى فى البلدان التى سحقت طويلاً تحت الجزمة الأمريكية. هناك بالتأكيد حنق على الولايات المتحدة، بيد أننى لم أسمع عن أمثلة غريبة أخرى، على شاكلة هذين المثالين الذين ذكرتهما، أو أمثلة أخرى أكثر فى الغرب.

■ س: ما هى فى رأيك بواعث السياسة الأمريكية فى هذا الوقت؟ ما هو الغرض من «الحرب ضد الإرهاب» التى بدأها بوش؟

● تشومسكى: الحرب ضد الإرهاب لا هى بالجديدة ولا هى «حرب ضد الإرهاب». يجب ألاّ ننسى أن إدارة ريجان جاءت إلى السلطة قبل عشرين عاماً تحت شعار أن «الإرهاب العالمى» (ممولاً فى جميع أنحاء العالم من قبل الاتحاد السوفييتى) كان يمثل الخطر الأكبر ضد الولايات المتحدة، التى طرحت أن الإرهاب وضعها هدفاً أولاً له هى وحلفائها وأصدقائها، لذا فإننا على خوض حرب لاستئصال هذا الورم السرطانى «هذا الوباء» الذى دمر الحضارة. لقد استغل ريجان تلك المناسبة لتنظيم حملات الإرهاب العالمية التى كانت شاملة

ومدمرة بشكل لا يصدق، والتى قادت مباشرة إلى أن محكمة العدل الدولية فى لاهاى أصدرت حكماً بحق الولايات المتحدة. فى الوقت نفسه دعمت الولايات المتحدة بلداناً مثل جنوب أفريقيا، التى كلفت عمليات السلب التى قامت بها بدعم غربى واحد ونصف المليون من الضحايا وسببت أضراراً تعادل ٦٠ مليار دولار تحت فترة رئاسة ريجان فقط. ووصلت هسيرتنا الإرهاب العالمى ذروتها فى منتصف الثمانينيات، تماما حين كانت الولايات المتحدة وحلفائها فى أفضل وضع لنشر الوباء السرطانى الذى قالوا هم أنفسهم إنهم يريدون إزالته. ونستطيع، لو أردنا، أن نعيش فى عالم من الأوهام اللذيذة، لكننا نستطيع أيضاً دراسة التاريخ المعاصر والبنى العالمية التى لم تتغير عموماً ونستطيع دراسة الخطط المعلنة ثم نجيب على الأسئلة بالإستناد إلى ما تعلمناه من خلال دراستنا لهذه الأشياء. وأنا لا أرى سبباً للتفكير بأن تغييراً مفاجئاً سيحدث بسبب باعث كامن طويلاً أو بسبب غرض سياسى، إذا استثنينا التكتيكات المتخذة لمواجهة الظروف الجديدة.يجب أن نتذكر أيضاً أن المثقفين يعلنون بين فترة وأخرى تفصلها سنوات، بخطابات ملؤها الخيلاء بأننا «غيرنا المسير»، فالماضى شىء يقع خلفنا ويجب علينا تناسيه حين نغذ الخطو نحو المستقبل المشرق. هذا الوضع مريح لكنه ليس مثيراً للإعجاب ولا عقلانى. وهناك كتابات كثيرة عن ذلك. وإذا لم يقم الإنسان بنفسه بالاختيار فليس هناك سببا لإغماض العين خوفاً من رؤية الحقيقة، التى هى واضحة جداً للضحايا، برغم كون الكثير منهم لا يعرف مدى ضخامتها وهولها، كما لا يعرفون الطبيعة المرعبة للهجوم الإرهابى الذى يتعرضون له.

■ س: هل تعتقد ان أغلب الأمريكان، إذا سمحت الظروف لإجراء تقويم مفصل للبدائل المختلفة، سيقبلون بأن ترد الولايات المتحدة بهجمات إرهابية ضد المدنيين فى بلدان أخرى لإيقاف الهجمات الإرهابية ضد المدنيين

هنا، وأنه من الممكن كسر شوكة التعصب من خلال المراقبة والاعتداء على الحقوق المدنية؟

● تشومسكى: أتمنى ألاّ يحدث ذلك، لكننا يجب ألا نقلّل من قابلية جهاز الدعاية النشيط فى أن يقود الناس إلى أن يتصرفوا بشكل أهوج ويرتكبوا الجرائم ويفجروا أنفسهم. دعنا نأخذ مثالاً يقع بعيداً بما يكفى كى نحكم عليه من هنا بموضوعية، أقصد هنا الحرب العالمية الأولى. فقد سار الجنود فى الجانبين للقيام بالمذابح المتبادلة وبفرح غامر تدعمه صرخة مرحى من المثقفين ومن الذين ساعدوا فى التعبئة على الطيف السياسى من اليمين إلى اليسار، ومن ضمنها أكبر قوة يسارية فى العالم فى ذلك الوقت، اليسار الألمانى. ولا يمكن تبرير ذلك بكون الطرفين خاضا حربا شريفة ذات أغراض سامية. أما الذين عارضوا ذلك الاحتفال فكانوا قلة، ويمكن عملياً إحصاؤهم على أطراف الأصابع. أما المهمون منهم فأودعوا السجون لأنهم وضعوا موضع التساؤل ما قيل إنه نبيل فى تلك الحملة: روزا لوكسمبورغ، برتراند رسل، إيوجين ديبس وآخرين. وبدعم من وكالات الدعاية لدى ولسن وبمساندة حماسية من المثقفين الليبراليين تحول الشعب الأمريكى المحب للسلم فى ظرف أشهر قليلة إلى شعب هائج، معادٍ بشكل هستيرى للألمان، مستعد للانتقام من الذين ارتكبوا أبشع الجرائم، التى اخترعت الكثير منها وزارة الإعلام البريطانية، بيد أن هذا الأمر لا مفر منه على الإطلاق، كما يجب ألاّ نقلل من قيمة التأثيرات الحضارية لحرب التحرير الأخيرة. إذن نحن لسنا مجبرين على أن نسير بخطىً ثابتة نحو الكارثة، فقط لأن الأوامر وُجهت إلينا بفعل ذلك.

الفصل السادس

هذا الفصل هو أصلاً مقابلة في أجهزة الإعلام الأوروبية يوم ٢٠ ـ ٢٢ / ٩ / ٢٠٠١م أجراها ماريلى مارغومينو من تليفزيون الفا (اليونان) وميغويل مورا من الـ بايز El Pais (إسبانيا) وفاتالى ليفسال من الليبراسيون (فرنسا).

حضارات الشرق والغرب

■ س: بعد الهجمات علي الولايات المتحدة قال وزير الخارجية كولن باول بأن الولايات المتحدة ستقوم بتعديل قانون الإرهاب، حتي ذلك الذي صدر عام ١٩٦٧ والذي يمنع قتل الأجانب لأسباب سياسية. كما أن الاتحاد الأوروبي في طريقه لإقرار قانون جديد ضد الإرهاب. الحق للدولة لأن تضعنا تحت المراقبة لتعقب المشتبه بهم ومنع الهجمات في المستقبل؟

● تشومسكي: إذا أجبت بشكل مجرد فإن ذلك سيكون مشوشاً ليس إلاّ، إذن دعنا بدلاً عن ذلك ندرس صورة حالية ونموذجية لمسألة ماذا تعني في الواقع الخطط الموجهة لتقليل العوائق أمام استخدام الدولة للقوة. اليوم صباحاً (٢١ سبتمبر) تضمنت نيويورك تايمز مقالاً كتبه ميكائيل والزر Michael Walzer،

وهو مثقف ذو سمعة جيدة يحتذى بها من الناحية الأخلاقية. وقد أراد فى المقال أن تجري «حملة أيدولوجية تتناول كل الحجج والأعذار التي تعطي الإرهاب المصداقية بهدف نبذها». لكنه يعرف جيداً بأنه ليس هناك من حجج أو أعذار تبرر الإرهاب من النوع الذي يقصده، علي الأقل بين الأشخاص الذين ينظر إليهم بصفتهم ذوي آراء عقلانية، ولذا يعتبر هذا في الحقيقة دعوة إلي رفض جميع المحاولات لاستبيان الدوافع وراء الأعمال الإرهابية الموجهة ضد الدول التي يناصرها هو، وكما تدعو اللياقة يدرج هو نفسه ضمن الذين يخلقون «الحجج والأعذار للإرهاب» ويصمت لكي يظهر موافقته علي الاغتيال السياسي، والمقصود هنا الاغتيالات الإسرائيلية للفلسطينيين الذين تقول هى أنهم يدعمون الإرهاب. فالأدلة لا تُقدم ولا تعتبر حتى ضرورية، ويظهر في بعض الأحيان أنه حتي الشكوك مبنية علي أساس غير حقيقي. أما «الأضرار غير المقصودة» والتي لا بد منها - تعرضت لها النساء والأطفال والآخرين المتواجدين بالقرب منهم - فيجري التعامل معها بالطريقة العادية. وقد جري استخدام مروحيات الأباتشي التي صدرتها الولايات المتحدة لعمليات قتل كهذه خلال عشرة أشهر.

ويضع والزر مفردة «قتل» داخل علامات اقتباس، مما يظهر أن المصطلح، حسب فهمه هو: يندرج ضمن مايسميه هو «الوصف المتحمس والمشوه كثيراً لمقاطعة العراق والصراع الإسرائيلي الفلسطيني». وهو يقصد النقد الموجه للأفعال الوحشية الإسرائيلية المدعومة من قبل الولايات المتحدة في الأراضي التي وقعت تحت احتلال قاس ووحشي خلال مدة ٣٥ سنة، كما يقصد كذلك الإجراءات الأمريكية التي مزقت المجتمع المدني في العراق (في الوقت نفسه تبنّت فيه صدام حسين). إن انتقادات من مثل هذا النوع هي هامشية في الولايات المتحدة ومع ذلك يعتبرها هو تشغل مساحة كبيرة. ويقصد هو لربما «بالوصف المشوه» بعض الإشارات إلي تصريحات وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت في التليفزيون حيث وجه إليها سؤال عن كون التقديرات تشير إلي

٥٠٠ ألف طفل عراقي ماتوا نتيجة للعقوبات.

وقد اعترفت أن هذه النتائج كانت «خيار صعب» بالنسبة لإدارتها لكنها أضافت بأننا نعتقد بأنها تستحق ثمناً كهذا». وأنا أذكر هذا المثال الوحيد، الذي يمكن بسهولة تكراره، لإلقاء الضوء علي المعني الملموس لإضعاف العوائق أمام استخدام الدولة للقوة. فنحن نعرف أن الأنظمة القاسية غالباً ماتسوغ أفعالا بحجة أنها «مضادة للإرهاب»، مثلاً الجنود النازيون الذين قاتلوا الأنصار. وغالباً ما تبرّر هذه الأفعال من قبل مثقفين محترمين.

لانحتاج للذهاب بعيداً إلى الوراء فى التاريخ. فى ديسمبر ١٩٨٧ حيث وصل القلق بسبب الإرهاب العالمى قمته، اتخذت الجمعية العامة المتحدة أهم قرارتها حول المنطقة، والذى أدان هذا الوباء بأشد لهجة وطالب جميع الدول باتخاذ إجراءات صارمة للقضاء عليه. وقد جرت المصادقة على القرار بنتيجة ١٥٣ نعم و٢ لا (الولايات المتحدة وإسرائيل) والبلد الوحيد الذى امتنع عن التصويت كان الهندوراس. كانت الصياغة المزعجة هى «لا يوجد شىء فى هذا القرار يمكن أن يلحق الضرر، بأى حال من الأحوال، بحد تقرير المصير والحرية والاستقلال التى يقربها ميثاق الأمم المتحدة للشعوب التى جرى سلب حقوقها بالقوة... خصوصاً الشعوب التى ترزح تحت الأنظمة الاستعمارية والعنصرية وتحت الاحتلال الأجنبى أو الأشكال من السيطرة الاستعمارية... ولا يوجد فى القرار ما يعارض أيضاً حق تلك الشعوب فى النضال من أجل ذلك وفى أن تبحث عن المعونة وتحصل عليها طبقاً للميثاق وقواعد القانون الدولى الأخرى». ولا تُقبل هذه الحقوق من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل، ولا من حليفتهم فى ذلك الوقت جنوب أفريقيا، فقد كان المؤتمر الوطنى الأفريقى فى عين الولايات المتحدة «منظمة إرهابية» فى حين لم تكن جنوب أفريقيا «دولة إرهابية» حالها حال كوبا ودول أخرى. ولايزال تعريف الولايات المتحدة للإرهاب باقياً بالطبع فى الواقع، وبكل نتائجه الخطيرة على الناس.

يجرى الحديث كثيراً الآن عن أنه يجرى صياغة معاهدة شاملة ضد الإرهاب. وهذه ليست معلومة بسيطة والسبب ـ الذى يجرى تجاهله فى الإعلام ـ هو أن الولايات المتحدة ترفض قبول شىء مشابه للفقرة المزعجة فى قرار ١٩٨٧، كما لا يوافق أحد من حلفائها عليه إذا كان تعريف الإرهاب يتطابق مع التعاريف الرسمية فى تشريع الولايات المتحدة أو كتب التعليمات العسكرية، بل فقط لو أعيدت صياغته بطريقة تقصى مسألة إرهاب الدولة القوية وحلفائها.

توجد بالتأكيد الكثير من العوامل التى تستدعى التفكير بها عند الإجابة على سؤالكم. بيد أن الحقائق التاريخية تملك معنى هائلاً. ولا يمكن إعطاء جواب شافٍ بشكل عام. فالأمر يتعلق بظروف واقتراحات خاصة.

لقد اتخذ البرلمان الألمانى أصلاً قراراً بأن يشارك الجنود الألمان مع القوات الأمريكية بالرغم من كون ٨٠ ٪ من الألمان يعارضون ذلك، حسب استطلاع للرأى أجرى مؤخراً من قبل معهد فورس. ما هى وجهة نظرك بهذا الخصوص؟

تبدو البلدان الأوروبية متشككة فى« الوقت فى الانضمام للحملة الصليبية الأمريكية. فهم يخافون من أن يقوم بن لادن بتعبئة اليائسين من الناس من أجل قضيته، وقد ينتج عن ذلك عواقب أسوأ، خصوصاً إذا ما قامت الولايات المتحدة بهجوم قاس على المدنيين الأبرياء.

■ **س: ما هو رأيك بالدول التى تتصرف فى زمن الحروب وكأنها منظمة عالمية؟ فهذه ليست المرة الأولى التى يجرى فيها إجبار الدول للانضواء تحت لواء الولايات المتحدة كى لا تحسب على صف الأعداء، ولكن تعلن افغانستان الآن الأمر نفسه.**

● تشومسكى: لقد وضعت إدارة بوش دول العالم أمام خيار واحد: انضموا إلينا

أو جهزوا أنفسكم للإفناء (يقصد تشومسكى بهذه العبارة الواردة فى نيويورك تايمز يوم ١٤ سبتمبر ٢٠٠١ انظر ص ٣٦).

يعارض «المجتمع العالمى» الإرهاب بقوة، ويندرج ضمن الإرهاب الوحشى للدول القوية والجرائم البشعة التى ارتكبت يوم ١١ سبتمبر. بيد أن «المجتمع العالمى» لا يتدخل. وحين تستخدم الدول الغربية والمثقفون تعبير «المجتمع الدولى» فإنهم يقصدون بذلك أنفسهم. فمثلاً حسب الخطاب السياسى الغربى فإن من قام بقصف صربيا هو «المجتمع الدولى»، بالرغم من أن الذين لم يدفنوا رؤوسهم فى الرمال علموا أن القصف صعَّد الاحتجاج فى جميع أنحاء العالم تقريباً، والذى غالباً ما كان صاخباً جداً، فالذين لا يدعمون أفعال الأغنياء والمتسلطين لا يحسبون فى صف «الجماعة العالمية» بالضبط مثلما يعرف «بالإرهاب، ما هو موجه ضدنا وضد أصدقائنا». وليس مستغربا أن تحاكى أفغانستان الولايات المتحدة وتطالب بالدعم من المسلمين فى جميع انحاء العالم، طبعاً على نطاق صغير جداً وبالرغم من ابتعادهم عن العالم بشكل كبير فإن قادة طالبان يعلمون جيداً أن الدول الإسلامية ليست من أصدقائهم. فهذه الدول نفسها تعرضت لهجمات إرهابية من قبل المجموعات الإسلامية المتطرفة التى نظمت ودربت لخوض حرب مقدسة ضد الاتحاد السوفييتى قبل ٢٠ سنة، ثم بدأت إرهابها الخاص فى اتجاه آخر حين قتلت الرئيس السادات.

■ **س: هل تعتقد ان هجوماً على افغانستان هو «حرب على الأرهاب؟».**

● تشومسكى: سيكلف أى هجوم على أفغانستان، على الأرجح، الكثير من الضحايا. وقد يكون عدد القتلى كبيراً فى بلد مات فيه أصلاً الملايين بسبب المجاعة، فقتل الأبرياء بلا تمييز هو إرهاب، وليس حرباً ضد الإرهاب.

■ **س: هل يمكنك تصور كيف سيكون الموقف لو أن الهجمات الإرهابية فى الولايات المتحدة حدثت ليلاً، حين كان مركز التجارة العالمى خالياً من الناس؟ أو بتعبير آخر، لو كان عدد الضحايا قليل. هل كان سيحدث فى تلك الحالة رد فعل آخر عند الحكومة الأمريكية؟ ما مدى التأثير الرمزى لهذه الكارثة عليها، اقصد ان من تضرر هو البنتاغون ومركز التجارة العالمى؟**

● تشومسكى: لا أعتقد أن ذلك سيغير شيئاً فى الأمر. فبكل الأحوال كانت ستحدث جريمة فظيعة، حتى لو كان عدد الضحايا أقل بكثير. البنتاغون ليس سوى رمز ولأسباب لا تحتاج إلى تعليق. أما فيما يخص مركز التجارة العالمى فنحن لا نعرف إلاّ بالكاد غرض الإرهابيين من تفجيره عام ١٩٩٣ ثم تدميره تماماً يوم ١١ سبتمبر. بيد أننا نعرف تماماً بأن علاقة ذلك بالعولمة أو «الإمبريالية الاقتصادية» أو «العالم المتحضر» هى علاقة واهية، فهذه الظواهر مجهولة تماماً لـ بن لادن ورفاقه ولكل الرديكاليين* الإسلاميين،، مثلاً الذى جرت إدانته فى تفجير ١٩٩٣. فهم لا يهتمون بذلك تماماً مثلما لا يهتمون بكون أعمالهم الفظة ألحقت ضرراً كبيراً بالفقراء والمضطهدين فى البلاد الإسلامية وأماكن أخرى، ثم أعادوا الكرة ثانية يوم ١١ سبتمبر.

لكن الذى يجب على المنفذين معرفته هو أن الفلسطينيين الرازحين تحت الاحتلال العسكرى كانوا أول الضحايا. لقد كان لدى المنفذين أهدافاً أخرى، أو على الأقل فإن بن لادن صاغها بشكل جيد فى عدة لقاءات: الإطاحة بالحكام الغرباء واستبدالهم بقادة «إسلاميين» ودعم المسلمين فى صراعهم ضد «النظام» فى الشيشان، فى البوسنة، فى غرب الصين، فى شمال أفريقيا وجنوب شرقى آسيا ولربما فى بقاع أخرى.

* الراديكالية: تعنى الثورية كمنهج فكرى وعملى.

إنه لمن السهل على المثقفين الغربيين أن يتحدثوا عن «أسباب أعمق» مثلاً مقت القيم الغربية والتقدم. فتجنب المسائل التى تخص جذور شبكة بن لادن والأسباب التى ولّدت الغضب هى طريقة مريحة، كذلك الأمر فيما يخص الإجراءات التى ولّدت الرعب واليأس فى المنطقة برمتها وصنعت احتياطياً مكن الخلايا الإرهابية للراديكاليين المسلمين من تجنيد الكثير من خلاله. ولما كانت الأجوبة على هذه الأسئلة لكونها «سطحية» و«تافهة» وتجاوزها إلى «أسباب أعمق» هى فى الحقيقة أكثر سطحية حتى وإن كانت وثيقة الصلة بالموضوع.

■ س: هل يمكن تسمية ما يحدث الآن بالحرب؟

● تشومسكى: ليس هناك تعريفا دقيقا لكلمة «حرب». فالناس يتحدثون عن «الحرب ضد الفقر»، «الحرب ضد المخدرات» وما إلى ذلك. فالذى يحدث هو ليس صراعا بين دول، لكنه قد يكون على هذه الشاكلة.

■ س: هل يمكننا أن نسمى ذلك تصادماً بين ثقافتين أو حضارتين؟

● تشومسكى: هذه هى الموضة الجارية الآن، لكن ذلك بلا معنى. دعنا باختصار نستعرض جزءاً معروفاً جداً من التاريخ المعاصر. إندونيسيا هى أكثر البلدان الإسلامية كثافة بالسكان، وقد أصبحت البلد المفضل لدى الولايات المتحدة. فقد تسلم سوهارتو السلطة عام ١٩٦٥. وقتها قام الجيش بقتل مئات الآلاف من البشر كلهم من الفلاحين المعدمين بمساعدة الولايات المتحدة وبجيشين عاطفيين من الغرب، وذلك يجعلنا ننزعج جداً، فنظرة واحدة للوراء تظهر أن المسألة كلها قد أسقطت من الذاكرة. لقد أصبح سوهارتو «فتىً على ذوقنا»

كما سمته إدارة كلنتون، فى حين أنه ارتكب المجازر والتعذيب وغير ذلك من الفظاعات التى يمكنها أن تنافس أفظع ما حدث فى الجزء الأخير من القرن العشرين، كما أن أكثر الدول السلفية ـ إذا استثنينا طالبان ـ هى المملكة السعودية، وقد كانت منذ تأسيسها على علاقة وطيدة مع الولايات المتحدة، ففى العقد الثمانين تم تجنيد وتسليح وتدريب ما أمكن العثور عليه من الأصوليين الإسلاميين الأكثر تطرفاً، من قبل الولايات المتحدة والمخابرات الباكستانية (بالتعاون مع السعودية وبريطانيا ودول أخرى) كى يكبدوا الروس ما أمكنهم من الأضرار فى أفغانستان. وكما أشار سيمون جينكنز فى التايمز البريطانية فإن تلك المساهمة حطمت «نظاماً معتدلاً وخلقت آخراً متعصباً، أنشىء من مجموعات مولها الأمريكان دون أدنى تفكير بالعواقب» (جاءت غالبية الأموال على الأرجح من الخليج). لقد كان أسامة بن لادن بشكل غير مباشر أحد المستفيدين.

وقدمت الولايات المتحدة وبريطانيا دعماً قوياً فى الثمانينيات إلى صديقهما وحليفهما صدام حسين ـ الأكثر علمانية بالتأكيد ولكنه يقع على الجانب الإسلامى من «الاصطدام الحضارى» ـ خلال كل تلك الفترة التى ارتكبت فيها ابشع جرائمه، مثلاً الهجوم بالغازات على الأكراد وما أعقب ذلك من الجرائم.

خاضت الولايات المتحدة أيضاً حرباً شاملة فى أمريكا الوسطى خلفت وراءها مائتى ألف قتيل ممن تعرضوا للتعذيب والتمثيل بهم، وملايين الأيتام واللاجئين وأربع بلدان مدمرة. وقد كان هدف الهجوم هو الكنيسة الكاثوليكية التى ارتكتب الجرم الأكبر ألا وهو أنها وقفت إلى جانب الفقراء.

اختارت الولايات المتحدة فى التسعينيات مسلمى البوسنة كزبائن لها فى البلقان لأسباب خفية تتعلق بالدرجة الرئيسة بتثبيت سلطتها. بيد أن ذلك لم يفيدهم إلاّ بالكاد.

أين نجد إذن الحد الفاصل بين «الثقافات»؟ هل نستنتج أن هناك «تصادما

ثقافيا» بين الكنيسة الكاثوليكية فى أمريكا اللاتينية من جهة والولايات المتحدة والعالم الإسلامى، ومن ضمنه العناصر الدينية الأكثر وحشيةً وتعصباً، من الجهة الأخرى؟ أنا فى الحقيقة لا أرى شيئاً بعيداً عن العقل كهذا. أية استنتاجات إذن، يمكننا التوصل إليها على أساس المنطلقات العقلانية؟

■ **س: هل يمكن أن يجرنا عالم متحضر حقاً إلى حرب كونية؟**

● تشومسكى: لا يمكن لأى مجتمع متحضر التساهل أمام أمر كهذا. فهو بالطبع ليس سوى تفصيل صغير فى تاريخ الولايات المتحدة، وأقل من ذلك فى تاريخ أوروبا. وليس هناك «عالما متحضرا» يسمح أن يرمينا فى أتون حرب كبرى بدلاً من أن يتبع الوسائل التى يمنحنا إياها القانون الدولى والاستفادة من الكثير من الحوادث السابقة.

■ **س: جرى تسمية الهجمات بالأفعال الحاقدة. ماهو فى رأيك مصدر هذا الحقد؟**

● تشومسكى: إن الإسلاميين الذى جرت تعبئتهم من قبل السى. آى. إيه. وتوابعها ليسوا سوى تعبير عن الحقد. لقد أدركت الولايات المتحدة حنقهم وغضبهم حين كان موجهاً لأعدائها، وكانت سعيدة بذلك، إلى أن جرى توجيه كرههم إلى الولايات المتحدة وحلفائها، والذى تكرر مرات ومرات خلال السنوات العشرين الأخيرة. ولا يشوب أسباب الحقد غموض بالنسبة لسكان المنطقة الذين يمثلون تسريحة خاصة. كما أن مصادر الحقد معروفة جداً.

■ س: ماذا يجب، فى رأيك، على الشعوب الغربية فعله كى يعود السلام ثانية؟

● تشومسكى: يعتمد ذلك على مايرغبون فيه. فإذا أرادوا تصاعداً لدورة العنف مبنياً على أساس نموذج معروف، فليس عليهم سوى الطلب من الولايات المتحدة الوقوع فى المصيدة الشيطانية لـ بن لادن وذلك بذبح المدنيين الأبرياء. أما إذا أرادوا تقليل مستوى العنف فيجب عليهم استخدام نفوذهم لتوجيه القوى العظمى باتجاه آخر تماماً، أو جزته سابقاً، وهو ـ وأقول ثانيةً ـ يملك الكثير من السوابق Presedents كما أنه يشتمل على إرادة لتقصى أسباب تلك الأعمال الوحشية.

غالباً ما يقال أنه لا يجب علينا خوض نقاشات كهذه لأن ذلك يؤدى إلى تسويغ الإرهاب، وهو رأى ساذج وهدام بحيث لا يستحق الرد عليه، لكنه رائج للأسف. لكن إذا أردنا للعنف ألاّ يتصاعد وأن لا يصبح الأغنياء أهداف رماية، فيجب علينا فعل ذلك، كما فى مواقف أخرى، حتى تلك المواقف التى يعرفها الإسبان جيداً (هنا يجرى المقابلة صحفى إسبانى).

■ س: هل طلبت الولايات المتحدة القيام بهذه الهجمات؟ هل هى نتيجة للسياسة الأمريكية؟

● تشومسكى: ليست الهجمات «نتيجة» بمعناها المباشر للسياسة الأمريكية، لكنها «نتيجة» بالمعنى غير المباشر بالطبع. وهذه المسألة لا تقبل حتى الجدال. ولا يوجد شك فى أن المنفذين ينتمون إلى شبكة من الإرهابيين تنحدر انتماءاتهم إلى جيش المرتزقة الذى نظمته ودربته وسلحته السى. آى. إيه. والباكستان والمخابرات الفرنسية وآخرين. وأساس ذلك غامض حتى الآن. وقد

بدأ تنظيم هذه القوات عام ١٩٧٩، إذا صدق ماقاله بريجنسكى مستشار الأمن القومى للرئيس كارتر. لربما أراد هو التفاخر، لكنه يقول أنه اتخذ المبادرة فى منتصف عام ١٩٧٩ كى يرعى بالسر كفاح المجاهدين ضد الحكومة الأفغانية كى يوقع الروس فيما أسماه «المصيدة الأفغانية»، وهو تعبير يجب أن نثبته فى الذاكرة، ويفتخر هو كثيراً بأنهم وقعوا حقاً فى المصيدة «الأفغانية» وبعد نصف سنة استقدموا قواتهم كدعم للحكومة. ونعرف نحن كيف سار الوضع. وضعت الولايات المتحدة وحلفاؤها جيشاً ضخماً من المرتزقة يقارب المائة ألف من الرجال أو يزيد، الذين جلبوهم مما استطاعوا الحصول عليه من أفضل المجاميع المسلحة، كان هؤلاء الراديكاليين الإسلاميين مما نسميهم عادة الأصوليين الإسلاميين والمنتشرين فى كل مكان، بيد أن كلهم ليس من الأفغان. وهؤلاء المتطوعون فى أفغانستان حالهم حال بن لادن قد ينحدرون من بلدان أخرى.

انضم بن لادن فى وقت ما فى الثمانينيات. وقد كان من ضمن المنظمات التى مولت الحملة والتى كانت متواجدة هناك على الأرجح. ولقد خاضت تلك الجيوش حرباً مقدسة ضد المحتلين الروس. كما نفذوا أعمالاً إرهابية على الأرض الروسية. وأخيراً ربحوا الحرب واضطر المتدخلون الروس للانسحاب. ولم يمارسوا هم الحرب فقط. ففى عام ١٩٨١ قتل أعضاء المجموعات نفسها الرئيس السادات، وفى عام ١٩٨٣ طرد انتحارياً واحداً ـ قد يكون له علاقة بهذه المجموعات ـ بشكل عملى الأمريكان من لبنان. واستمر الحال. فى عام ١٩٨٩ نجحوا فى حربهم المقدسة فى أفغانستان. وطالما وطدت الولايات المتحدة وجوداً عسكرياً دائماً فى الخليج العربى، أعلن بن لادن أن ذلك يمكن أن يقارن من وجهة نظرهم، بالاحتلال العسكرى الروسى لأفغانستان. بعدها وجهوا فوهات بنادقهم إلى الأمريكان، مثلما حدث مسبقاً حين كانت الولايات المتحدة تملك تواجداً عسكرياً فى لبنام عام ١٩٨٣. تعتبر الأنظمة التقليدية فى المنطقة عدواً رئيسياً لشبكة بن لادن تماماً ودول أخرى فى الشرق الأوسط

وشمال أفريقيا، واستمر الحال.

عام ١٩٩٧ قتلوا بوحشية ٦٠ سائحاً ودمروا قطاع السياحة فى مصر. وقد نشطوا فى المنطقة بكاملها: شمال أفريقيا، شرق أفريقيا، الشرق الأوسط، البلقان، آسيا الوسطى، غرب الصين، جنوب شرقى آسيا، الولايات المتحدة ولسنوات عديدة. وإذا كان بريجنسكى يتكلم الحق فإن ذلك كان قبل الثمانينات، أى منذ أن نصبت «المصيدة» الأفغانية. وكما يعرف جميع من يبحثون فى شؤون المنطقة فإن كسب الإرهابيين يستمد مصدره من الحقد واليأس والإحباط الذى يستولى على الأغنياء والفقراء، على العلمانيين والأصوليين. وإذا كانت السياسة الأمريكية عاملاً لا يستهان به فى تحفيز ذلك فإن ذلك أمر مفهوم، وليفهم العاقلون.

■ **س: قلت إن الإرهابيين الكبار هم الدول مثل الولايات المتحدة التى تطبق الإرهاب لغرض سياسى، متى وأين حدث ذلك؟**

● تشومسكى: هذا السؤال يحيرنى. كما قلت فى مناسبات أخرى فإن الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة التى جرت إدانتها من قبل محكمة العدل الدولية فى لاهاى بتهمة ممارسة الإرهاب العالمى ـ «لاستخدامها غير المشروع للقوة» لأغراض سياسية، كما ورد فى قرار المحكمة ـ وطلب منها إيقاف هذه الجرائم، ودفع تعويض ضخم. وقد استهانت الولايات المتحدة طبعاً بقرار المحكمة، وصعدت على العكس إرهابها ضد نيكاراغوا واستعملت حق الفيتو ضد قرار لمجلس الأمن طالب فيه جميع الدول بالتقيد بالقانون الدولى. وقد كانت الولايات المتحدة وإسرائيل، وفى حالة واحدة السلفادور، هى التى صوتت ضد قرارات كهذه فى الجمعية العمومية. وقد استمرت الحرب الإرهابية متساوقة

مع الاتجاه الرسمى بمهاجمة «الأهداف الخفيفة» - أى الأهداف المدنية غير المحمية كالمزارع الجماعية ومراكز العناية الصحية - بدلاً من الجيش النيكاراغوى. وقد استطاع الإرهابيون تنفيذ أهدافهم بفضل السيطرة على الاتصالات التى جرى تجهيزهم بها من المشرفين عليهم - ويجب أن يكون فى علمنا أن هذه الأعمال الإرهابية قد لقيتْ ترحيباً خاصا من قبل قطاعات واسعة. وقد قال مايكل كنسلى Michael Kinsley المعلق البارز والذى ينتمى إلى الجناح الليبرالى للتيار السائد، إنه لا يحق لنا بدون تمحيص رفض المبررات التى تصدرها وزارة الخارجية بخصوص الأعمال الإرهابية ضد «الأهداف الخفيفة»: إن «السياسة الحكيمة» يجب أن تسير بتوافق مع المتطلبات التى يفرضها حساب التكاليف، وقد كتب يقول، وهو حساب «لكمية الدم التى تهدر والعذاب الذى يحدث من جانب وإمكانية تطبيق الديمقراطية من جانب آخر» - «الديمقراطية» المطابقة للمفهوم الأمريكى للكلمة، وهو مفهوم واضح فى المنطقة، ويجرى التسليم جدلاً بأن النخبة الأمريكية تملك الحق فى تحليل ومتابعة العمل فى المشروع، إذا كان يتطابق مع الشروط الأمريكية.

لقد صدمت فكرة كون نيكاراغوا تملك الحق فى الدفاع عن نفسها، بعمق الأوساط السياسية للتيار السائد فى الولايات المتحدة. وقد جرى الضغط على حلفائها لإيقاف إرسال الأسلحة إلى نيكاراغوا أملاً فى أن تلتجئ إلى الاتحاد السوفييتى، وهو أمر نفّذته فعلاً. وبذا فقد أمكن إثبات أن الدعاية كانت صحيحة. وقد بثت إدارة ريجان ولمرات عديدة شائعات عن كون نيكاراغوا استلمت طائرات مقاتلة من السوفييت لحماية أجوائها، وهو أمر يعرفه الجميع، ولحماية «أهدافها الخفيفة» من الهجمات الأمريكية. الشائعات كانت كاذبة بيد أن الدعاية فعلت فعلها. وقد شكك جناح الحمائم بالشائعات ولكنه قال إننا سنقصف طبعاً نيكاراغوا إذا كانت الشائعات صحيحة، وإذا لم نفعل ذلك سيبقى أمننا مهدداً. وقد كشفت مراجعة البيانات أن الجميع كانوا، ببساطة، متفقين على أنه لا يحق لنيكاراغوا الدفاع عن نفسها، وهذا الأمر

يلقى ضوءاً على ثقافة الإرهاب المتجذرة فى عمق الحضارة الغربية.

هذا المثال قطعاً ليس أفضل الأمثلة، لكننى أضربه لكونه من النوع الذى لا يختلف فيه اثنان، إذا نظرنا إلى كونه قرار محكمة العدل الدولية فى لاهاى، ولكن نيكارغوا لم تنجح فى محاولتها لانتهاج الطريق الشرعى، بدل أن تقوم بتفجيرات فى واشنطن. لهذه الأسباب يعتبر هذا المثال نموذجياً للوضع الحالى. لم يكن هذا المثال هو الوحيد، فنيكارغوا ليست سوى عنصراً واحداً فى سلسلة من العناصر التى استهدفتها الحرب الأمريكية الإرهابية فى أمريكا الوسطى خلال هذا العقد المرعب من السنين، الذى ذهبت فيه حياة الألوف من البشر وأدى إلى تحويل أربعة بلدان إلى أنقاض.

وخلال العقد ذاته نفذت الولايات المتحدة إرهاباً واسع النطاق فى أماكن أخرى، مثلاً الشرق الأوسط، من بينها تفجير سيارة ملغومة خارج أحد المساجد فى بيروت عام ١٩٨٥، وقد وضعت بحيث يجرى قتل أكبر عدد ممكن من المدنيين ـ قتل ٨٠ وجرح ٢٥٠ ـ وكان الهدف رجل دين مسلم، نجا من العملية، وقد دعمت الولايات إرهاباً أكثر فظاعة من بينه الاجتياح الإسرائيلى للبنان الذى ذهب ضحيته ١٨ ألف من المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين، وهو لايعتبر دفاعاً عن النفس، الأمر الذى اعترفت فيه إسرائيل مباشرة. ثم جاءت الهجمات فى السنوات التى أعقبت ذلك ضد «الإرهابيين المتواجدين بين سكان القرى» كما سمته إسرائيل. وقد ساندت الولايات المتحدة بقوة اجتياحى عام ١٩٩٣ و ١٩٩٦ (إلى أن أجبرت الاحتجاجات العالمية ضد مذابح قانا عام ١٩٩٦، إدارة كلنتون على التراجع). ويرقى عدد الضحايا من المدنيين اللبنانيين بعد عام ١٩٨٢ إلى أكثر من ٢٠٠٠٠.

قامت الولايات المتحدة بمد تركيا بـ ٨٠٪ من الأسلحة التى استخدمتها فى حملتها البرية ضد الأكراد فى جنوب شرقى البلاد والتى كلفت حياة الآلاف من البشر وأجبرت اثنين إلى ثلاثة ملايين على هجر بيوتهم ومسحت ٣٥٠٠ قرية

من على وجه الأرض (سبع مرات بحجم كوسوفو تحت قصف الناتو)، وحدث ذلك بكل ما أمكن من الوحشية. وقد تصاعدت وتيرة تصدير الأسلحة عام ١٩٨٤ حينما بدأت تركيا هجومها الإرهابى ولم تتراجع إلى مستواها السابق إلا عام ١٩٩٩، حينما حققت جرائم القتل الهدف المطلوب منها ـ وقد خسرت تركيا موقعها السابق بصفتها المورد الأول للأسلحة الأمريكية (إذا استثنينا إسرائيل) وحلت محلها كولومبيا، البلد الأكثر انتهاكاً لحقوق الإنسان فى النصف الغربى من الكرة الأرضية فى التسعينيات، البلد الذى يحصل أكثر من أى بلد آخر على الأسلحة والتدريب من الولايات المتحدة.

وفى تيمور الشرقية استمرت الولايات المتحدة (وبريطانيا) فى دعم العدوان الأندونيسى، الذى استطاع من خلال هذا الدعم الفعال، أن يلغى من الوجود ثلاثة أرباع السكان. لقد استمر ذلك خلال حمام الدم عام ١٩٩٩ حيث قتل الآلاف من الناس أصلاً قبل الهجوم الذى حدث فى بداية سبتمبر وأدى إلى طرد ٨٥٪ من السكان من مساكنهم وخرب ٧٠٪ من البلاد بينما بقيت إدارة كلنتون على موقفها القائل بأن «الأمر من مسئولية الحكومة الأندونيسية».

حدث ذلك يوم ٨ سبتمبر وهو اليوم الذى أعقب عدة أيام من الأعمال الوحشية فى بداية الشهر والتى كتبت عنها تقارير. عندها تعرض كلنتون لضغوط أعنف للتدخل لوقف ليس فقط وحشية الأستراليين بل وأيضاً وحشية الأمريكان، وبعد بضعة أيام أخبرت إدارة كلنتون الأندونيسيين بأن اللعبة قد انتهت. وهكذا غيروا اتجاه الدفة ولو إلى حين. لقد أكدوا بشدة بأنهم لن ينسحبوا من تيمور الشرقية. وفى الحقيقة فإنهم كانوا يقودون دفاعاتهم فى تيمور الغربية (بمساندة الطائرات المقاتلة التى استمرت بريطانيا بمدهم بها) لمنع احتمال مجئ قوة تدخّل. بيد أنه حين قال كلنتون وبشدة بأن عليهم أن ينسحبوا، غيروا اتجاههم بشكل كامل وأبلغوا أنهم سينسحبون وسيدعون قوة حفظ سلام دولية للمجىء، بقيادة أسترالية ودون أن يعارض الجيش ذلك. ويكشف سير الأحداث بشكل واضح السلطة الخفية التى كانت واشنطن طوال الوقت تمتلكها، والتى

كان بالإمكان استخدامها لمنع ٢٥ سنة مما كان فى الواقع إبادة جماعية لشعب، والتى بلغت ذروتها فى الموجة الجديدة من المذابح فى بداية ١٩٩٩.

وعلى العكس من ذلك فضلت الحكومات الأمريكية واحدة تلو الأخرى، بالاشتراك مع بريطانيا ودول أخرى عام ١٩٧٨، حين كانت القسوة فى أشنع صورها، فضلت منح القتلة دعماً دبلوماسياً حاسماً إلى «الفتى الذى على ذوقنا» كما سمى سوهارتو المتعطش للدماء من قبل كلنتون وتبرز هذه الحقائق الجلية والدراماتيكية على من تقع مسئولية هذه السنين الخمس والعشرين من الجرائم الوحشية والتى لم تنته، بل هى مستمرة فى مخيمات اللاجئين البائسة فى تيمور الغربية فى أندونيسيا، ومن خلال هذه الأعمال الوحشية نتعلم نحن الكثير عن الحضارة الغربية، حيث يجرى التهليل للجرائم بكونها دليلاً على مساهمتنا فى «التدخل الإنسانى» وتبرير قصف الناتو لصربيا.

وقد ذكرت مسبقاً تدمير المجتمع المدنى فى العراق من خلال موت ما يقارب المليون. نصفهم من الأطفال طبقاً لمعلومات وتقارير لا يمكن ببساطة الاستهانة بها. وهذه ليست سوى أمثلة قليلة اخترتها.

وأنا فى الحقيقة مندهش لطرح سؤال كهذا، بشكل خاص فى فرنسا التى لها إسهامات كبيرة فى ممارسة الدولة للإرهاب الواسع والقسوة الرهيبين، الأمر الذى يفترض أن يكون معلوماً للجميع. (ملاحظة المحرر: هذه المقابلة أجرتها صحفية فرنسية).

■ **س: هل هناك إجماع فى ردود الأفعال فى الولايات المتحدة؟ هل تشاركهم انت كلياً أو جزئياً؟**

● تشومسكى: إذا كان الأمر يتعلق بالصدمة والحنق على الجريمة البشعة والتعاطف مع الضحايا فإن هناك اجماعا، حتى فى البلدان الإسلامية.

وبالتأكيد فإن كل إنسان عاقل لديه فهم مشترك، بشكل كامل أو جزئى. أما إذا كان الأمر يتعلق بالدعوة إلى هجوم دموى، والذى سيؤدى فى النهاية إلى قتل الكثير من الأبرياء - ويستجيب لصلوات بن لادن المتبتلة - فلا أعتقد أن هناك إجمالا فى رد الفعل، رغم الانطباعات السطحية التى تخرج بها من البث التليفزيونى. أما فيما يخصنى شخصياً فإننى أملك ردود فعل ولكننى أعارض ردود فعل كتلك التى تدعو إلى الرد الدموى، ونحن الذين على هذه الشاكلة كثيرون.

ولا يمكن لأحد أن يتنبأ برأى الأغلبية، وهذا الأمر يحتاج إلى إسهاب ولا يخلو من التعقيد. أما كونه مجمعاً عليه؟ لا بكل تأكيد ما عدا ما يتعلق بطبيعة الجريمة.

■ س: هل تدين انت الإرهاب؟ كيف يمكننا التمييز بين الإرهاب وبين مقاومة طاغية ما أو قوة احتلال؟ وفى أية فئة تضع الهجوم على الولايات المتحدة يوم ١١ سبتمبر؟

● تشومسكى: أنا أفهم مصطلح الإرهاب تماماً كما هو معرف فى الوثائق الرسمية الأمريكية: الاستخدام المتعمد للقوة أو التهديد باستخدامها للوصول إلى أهداف ذات طبيعة سياسية أو دينية أو أيديولوجية. ويجرى ذلك عن طريق التخويف أو الإكراه. وطبقاً لهذا التعريف الصحيح فإن أحداث ١١ سبتمبر هى بكل تأكيد عمل إرهابى وجريمة مروعة. وهذا الأمر متفق عليه فى جميع أنحاء العالم ويجب أن يكون كذلك.

وبموازاة المعنى الحرفى للمصطلح الوارد فى الوثائق الرسمية، تستخدم الكلمة فى لغة الدعاية أيضاً، وهو أمر شائع للأسف. يقصد الإرهاب «الأعمال التى يرتكبها آخرون ضدنا وضد حلفائنا. وهذا الإستخدام الدعائى للمفردة شائعا علمياً فى جميع أنحاء العالم». ويدين الجميع هذا النوع من الإرهاب. فحتى النازيون أدانوا بشدة الإرهاب وقاموا بما سموه «الإرهاب المضاد» ضد الأنصار

وقد قامت الولايات المتحدة بشكل مبدئى بأمر مشابه، فنظمت وقامت كذلك «بمكافحة الإرهاب» فى اليونان وبلدان أخرى خلال السنوات التى أعقبت الحرب (هذه المقابلة أجراها صحفى يونانى). وقد كانت الطرق التى استخدمت الانتفاضات مبنية بشكل واضح على أساس النموذج النازى الذى قوبل باحترام. فقد جرى استشارة الضباط الألمان وجرت بدقة مراجعة كتب التعليمات العسكرية الألمانية، حينما كان يخطط للإطاحة بأية انتفاضة فى العالم من قبل الأمريكان. وقد سمى ذلك «الإرهاب المضاد» وقد جرى بحثه من قبل مايكل ماك كلينون. فقد ينقلب الأشخاص ذاتهم إلى مناضلين من أجل الحرية» بعد أن كانوا «إرهابيين» وعلى العكس وقد جرى ذلك فى البلدان المجاورة لليونان.

فقد جرت تسمية جيش تحرير كوسوفو من قبل الولايات المتحدة بالإرهابيين عام ١٩٩٨ بسبب هجماتهم ضد الصرب والشرطة الصربية، فى محاولة لإثارة رد فعل غير طبيعى وقاس فى صربيا، وقد جرى الاعتراف بذلك بشكل مفتوح. وفى وقت متأخر جداً يمتد حتى ١٩٩٩ أكد البريطانيون ـ الصقور الأكثر تطرفاً فى الناتو من هذا الجانب ـ بأن جيش تحرير كوسوفو يتحمل مسئولية قتل الكثير مقارنة بالصرب، الأمر الذى يصعب تصديقه لكنه يظهر على أية حال طريقة التفكير فى الأوساط العليا للناتو. وإذا صدقنا المجلدات الضخمة من الوثائق الصادرة من وزارة الخارجية الأمريكية والناتو ومنظمة الأمن والتعاون الأوروبية ومصادر أخرى فى الغرب، فإنه لم يحدث تغيير يذكر على الأرض، إلى أن تم سحب مراقبى منظمة الأمن والتعاون الأوروبى ثم هطول القنابل فى نهاية شهر مارس ١٩٩٩ لكن السياسة تغيرت. فقد قررت الولايات المتحدة وبريطانيا بدء هجوم على صربيا، وفى ظروف لحظة انقلب «الإرهابيون» إلى «مناضلين من أجل الحرية». وبعد أن وضعت الحرب أوزارها أصبح «المناضلين من أجل الحرية» ورفاقهم «إرهابيين» و«قطاع طرق» و«قتلة» حين نفذوا ما كان يعتبر من وجهة نظرهم أفعالاً مشابهة لأسباب مشابهة فى

مقدونيا، إحدى حلفاء الولايات المتحدة. كلنا ندين الإرهاب، لكن يجب أن نسأل ماذا يقصد بالإرهاب. والجواب على السؤال من وجهة نظرى يوجد فى كتب كثيرة ومقالات كتبتها عن الإرهاب فى العقود الأخيرة. وبالرغم من كونى أستخدم المصطلح بمعناه الحرفى إلا أننى أدين جميع الأعمال الإرهابية، وليس فقط تلك التى يشار إليها لأسباب دعائية.

■ س: هل يمثل الإسلام خطراً على الحضارة الغربية؟ هل تهدد الطريقة الغربية للحياة الجنس البشرى؟

● تشومسكى: السؤال شامل جداً ومبهم كى يمكن الإجابة عليه. لكن يجب أن نفهم أن الولايات المتحدة لا تعتبر الإسلام عدواً لها والعكس صحيح.

يشتمل «الأسلوب الغربى للحياة» على عناصر كبيرة، الكثير منها محط إعجاب وجرى تطبيقه بحماس فى العالم الإسلامى، وكثير منها إجرامى ويهدد ببساطة الوجود البشرى.

وفيما يخص الحضارة الغربية «حرى بنا التمعن فى ما قاله غاندى حين سئل السؤال ذاته فأجاب «إنها لربما فكرة جيدة».

الفصل السابع

هذا الفصل فى الأصل مقابلة أجراها مايكل ألبرت يوم ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١ وغريغ روغيرو يوم ٥ أكتوبر ٢٠٠١ م.

ضبط عال للنفس

■ س: حدثت تحركات عسكرية واسعة وجرى استخدام دقيق للخطاب العسكرى امتد إلى القول بالإحاطة بحكومات... إلخ. لكن موقف الولايات المتحدة الآن يغلب عليه ضبط عالٍ للنفس. ما الذى حدث؟

● تشومسكى: جرى أصلاً بعد الهجمات مباشرةً تحذير الولايات المتحدة من قبل قادة الناتو والمختصين بالمنطقة، وعلى الأرجح عملائهم فى المخابرات (عدا عن الكثير من الناس مثلك ومثلى) بأنهم سيحققون أفضل أمانى بن لادن وما شابهه من الأشخاص لو أنهم ردوا بهجوم مدمر يقتل الكثير من الناس الأبرياء. وقد ينطبق الأمر أكثر لو قاموا بقتل بن لادن، بدون أن يقدموا أدلة على أنه ذو علاقة بالجرائم يوم ١١ سبتمبر. فى تلك الحالة كان سيجرى اعتباره شهيداً من قبل المسلمين الذين يتأسفون فى الوقت نفسه لحدوث تلك الجرائم. ولو جرى إسكاته من خلال السجن أو القتل فإن صوته سيظل مسموعاً عن طريق عشرات الآلاف من الكاسيتات التى ستجوب العالم الإسلامى كله، وكذلك من

خلال الكثير من المقابلات ومن ضمنها تلك التى أُجريت فى نهاية سبتمبر. إن الهجوم الذى يُقتل فيه الأفغان الأبرياء سيُعيد بشكل عملى الدعوة إلى تعبئة جديدة للانضمام إلى هذا النشاط الملعون الذى تقوم به شبكة بن لادن والآخرين الذين جرى تدريبهم من قبل القوات الإرهابية التى أسستها السى. آى. إيه. ومعاونيها قبل عشرين عام لمقاتلة الروس فى الحرب المقدسة، فى الوقت نفسه الذى تابعوا فيه برنامجهم هم.

وقد وصلت الرسالة أخيراً إلى إدارة بوش التى اختارت. وهو حسب نظرها اختيار سليم ـ تطبيق استراتيجية مغايرة.

بيد أن «ضبط النفس» حسب وجهة نظرى كلمة غير مضبوطة. فقد ورد فى الواشنطن بوست تقرير يشير إلى أن واشنطن طلبت من (الباكستان) إيقاف إمدادات الوقود... وإيقاف قوافل الشاحنات التى تمد السكان المدنيين فى أفغانستان بالمواد الضرورية. ويبدو غريباً جداً أن هذا التقرير لم يثر أى رد فعل يذكر فى العالم الغربى، وما ذلك إلاّ نذير شؤم عن تركيبة الحضارة الغربية التى يدعى القادة والنخب المثقفة إنهم يدافعون عنها. وقد جاءت تلك الطلبات بعد أيام من ذلك، وقد بعث المراسل ذاته تقريراً يوم ٢٧ سبتمبر ذكر فيه بأن موظفين باكستانيين والبالغة ٢٢٥٠ كم، وهو إجراء طلبته إدارة بوش، لأنهم ـ كما قال أحد الموظفين ـ يريدون التأكد أن لا أحد من رجال بن لادن سيتخفّى ضمن هذه الموجات الضخمة من اللاجئين (جون بيرنز، إسلام آباد). وقد أجبرت التهديدات بهجوم عسكرى عمال الإغاثة التابعين للأمم المتحدة على ترك البلاد، الأمر الذى شل برنامج الإغاثة». ويتحدث اللاجئون الذين وصلوا إلى الباكستان بعد رحلاتهم المضنية من أفغانستان عن مشاهد مرعبة فى بلادهم، فيما هددت الولايات المتحدة ببدء هجمات عسكرية تحول شقاءهم المستديم إلى فاجعة كبرى. دوغلاس فرانتز Dougla Frantz، نيويورك تايمز، ٣٠ سبتمبر). لقد تشبثت هذه البلاد بحبل النجاة، كما يقول أحد عمال الإغاثة جرى إخلاؤه، وقمنا نحن الآن بقطعه. (جون سيفتون، نيويورك تايمز ماكازين:

٣٠ سبتمبر).

وطبقاً للصحيفة الأكثر شهرة فى العالم فإن واشنطن تصرّفت آنئذٍ مباشرة لتضمن الموت والعذاب لعدد كبير من الأفغان، ومن ضمنهم ملايين يعيشون أصلاً على حافة المجاعة.

لقد هربت أعداد كبيرة من الناس البائسين المصعوقين بخبر تهديد واشنطن بقصف القلة الباقية من الأفغان وتحويل تحالف الشمال إلى قوة ذات تسليح جيد، والمسألة التى يرهبونها - ورعبهم مبنى على أسس صحيحة - هى أن هذه القوات إذ تُركت لها اليد الطولى، وهى الآن مسلحة بشكل جيد، فإنها ستعيد الكرة بالقيام بالأعمال الوحشية ذاتها التى دمرت البلاد وجعلت جزءاً كبيراً من السكان يرحب بطالبان التى استطاعت طرد زمر القتلة التى تأمل موسكو وواشنطن الآن فى استغلالها لأغراضها الخاصة.

أما فيما يخص سجلهم الشخصى فهو فظيع. يصف مثلاً مسئول قسم التسليح فى منظمة لجنة حقوق الإنسان المختص بشئون الشرق الأوسط جوست هلترمان فترة وجودهم فى الحكم منذ ١٩٩٢ حتى ١٩٩٥ بأنها «أسوأ فترة فى تاريخ أفغانستان». وتبعث منظمات حقوق الإنسان تقاريراً تتحدث عن أن زمرهم المتحاربة قتلت مئات الآلاف من المدنيين وقامت بعمليات اغتصاب جماعية وأعمالاً إجرامية أخرى. وقد استمر ذلك بينما كانت قوات طالبان تقوم بطردهم. لنأخذ مثالاً واحداً: قاموا عام ١٩٩٧ بقتل ٣٠٠٠ أسير حرب حسب لجنة حقوق الإنسان HRW بالإضافة إلى ذلك قاموا بأعمال مرعبة للتطهير العرقى فى المناطق المشتبهة بتعاطفها مع طالبان، ثم خلفوا وراءهم حزاماً من القرى المحروقة (راجع مثلاً جارلز سيتوت Charles sennott، بوستن غلوب ٦ أكتوبر). وتوجد أسباب كثيرة للاقتناع بأن إرهاب طالبان، الذى كان مثيراً للاشمئزاز، تصاعد بشكل عنيف كرد فعل على الأعمال التى أدت إلى حدوث موجات اللاجئين، وحينما يصل اللاجئون إلى الحدود المغلقة يقعون

فى المصيدة ويموتون بصمت ويتمكن القليل منهم من الهرب من خلال الممرات الموجودة فى سلاسل الجبال القصية. ولا يمكن تخمين عدد الذين ماتوا حتى الآن، وبعد فترة سيحل الشتاء القاسى. ويوجد بعض الصحفيين وعمال الإغاثة فى مخيمات اللاجئين على الجانب الثانى من الحدود. ويعلم هؤلاء الصحفيون وعمال الإغاثة، كما نعلم نحن، أن ما يرونه من أعداد قليلة هى فقط أولئك الذين حالفهم الحظ ونجحوا فى الهروب وهم يعبرون عن أملهم فى أنه «حتى الأمريكان القساة حتماً سيشعرون بالتعاطف مع بلادنا المخربة» وسيقومون بإيقاف الإبادة الصامتة لهذا الشعب. وقد نجح برنامج الغذاء التابع للأمم المتحدة WFP فى إدخال مئات الأطنان من الأغذية إلى أفغانستان فى بداية أكتوبر، لكن جرى تقويم ذلك بكونه لا يمثل سوى ١٥٪ من حاجة البلاد بعد إخلاء موظفى الإغاثة العالمية وقطع الإمدادات التى استمرت لمدة ثلاثة أسابيع بعد أحداث ١١ سبتمبر. بيد أن دبليو. اف. بى أعلنت أنها أوقفت قوافل الغذاء كما منعت موظفى توزيع الأغذية من الذهاب بسبب الهجوم الجوى يوم ٧ أكتوبر. «كان سيناريو الرعب الممثل بـ ١,٥ مليون لاجئ، الذين اندفعوا تاركين البلاد، فى طريقه إلى التحقيق» بعد الهجمات حسب تقارير الـ أى. اف. بى. التى استندت إلى موظفى الإغاثة. وقد قال أحد موظفى منظمة الأغذية التابعة للأمم المتحدة WFP بأن خطر حدوث كارثة إنسانية بعد التفجيرات. والتى كانت أصلاً خطيرة. «تصاعدت بوتيرة لا أريد حتى الحديث عنها». «إننا نقف أمام أزمة إنسانية فى أفغانستان ذات طابع ملحمى، حيث يعانى ٧,٥ مليون إنسان من نقص فى الغذاء ويتعرضون إلى خطر المجاعة»، كما يقول المتحدث الرسمى باسم منظمة غوث اللاجئين UNHCR. وتعتبر جميع منظمات الإغاثة أن إسقاط الأغذية بالطائرات هو الحل الأخير، ولذا فإنها تفضل بعث الإمدادات بالشاحنات التى، بحسب قولهم، يمكنها أن تصل إلى معظم أجزاء البلاد. وقد ذكرت الفاايننشال تايمز بأن موظفين كبار فى المنظمة الطوعية S: NGO وجهوا نقداً لاذعاً وساخراً كرد فعل على التطبيل الأمريكى

العالى لإنزال مساعدات الإغاثة بالطائرات ورفضوها لكونها خدعة دعائية منها طريقة لإيصال المساعدات اللاجئين الأفغان الذين يحتاجون حقاً إلى المساعدات. وكونها «أداة للدعاية تستغل المساعدات الإنسانية لأغراض دعائية وقحة» فى الوقت الذى «وضع فيه الهجوم الجوى الحد للسبيل الوحيد لإرسال الغذاء بكميات كبرى ـ الطريق البرى للشاحنات (دبليو ـ أف ـ بى) («الأمم المتحدة قلقة كون الضربات الجوية توقف جهود الإغاثة»: «ينتقد عمال الإغاثة بشدة المزاوجة بين إسقاط الأغذية والهجمات الجوية» (فايننشال تايمز ٩ أكتوبر، التى اقتبست ذلك من أوكسفام Oxfam: أطباء بلا حدود وكريستيان أيد، وأنقذوا الأطفال وموظفى الأمم المتحدة). وقد انتقدت منظمات الإغاثة بشدة القصف الليلى الأمريكى، «كان بإمكانهم اختصار الطريق وإنزال المناشير فقط» قال ذلك معلقاً أحد عمال الإغاثة البريطانيين ملمحاً إلى الغرض الدعائى من إسقاط صناديق الأغذيه. ويقول موظفوا دبليو. إف. بى بأن (إسقاط الأغذيه) يتطلب بشكل منطقى عملاً على الأرض مهمتهم جمع الغذاء«وتوزيعه على أن يتم ذلك فى وضح النهار» ويجب إرسال إنذارات فى وقت مناسب («الشك يتصاعد بخصوص الإنزال الأمريكى للأغذية بالطائرات» الفايننشال تايمز، ١٠ أكتوبر).

وإذا كانت ردود الأفعال تلك صحيحة فإنها تعكس التأثير المباشر للقصف المتزامن مع سقوط الأغذية قليلة نوعياً، على الأقل فى المستقبل المنظور، فى الوقت الذى خطى فيه «سيناريو الرعب» خطوة نحو التحقق ويبقى الأمل هو ما ينتظره الناس فى إيقاف المعاناة قبل أن تصبح تلك الأخطار حقيقة واقعة، وأن يكون إيقاف المواد الضرورية قصير الأمد. وليس سهلاً التفاؤل فيما يخص هذه المسألة، لو أخذنا فى الاعتبار المواقف التى جرى اتخاذها مثلاً: فى إحدى المقالات الواردة فى نيويورك تايمز يجرى بشكل سريع ذكر «حسب ما تورده إحصاءات الأمم المتحدة بأن ٧,٥ مليون من الأفغان سيكونون بحاجة ماسة إلى الغذاء حد رغيف الخبز... ولكن تساقط القنابل قلل «الإمدادات الغذائية عن

طريق الشاحنات (وهى المعونة الوحيدة الفعالة) إلى حوالى النصف، ولم تبق إلا أسابيع قليلة ليحل الشتاء القاسى الذى سيعيق بشكل مرعب إمكانيات توزيع الأغذية. (بارى بيراك Barry Bearak، ١٥ أكتوبر). ولم يجر التطرق إلى الجزء الثانى فى الموضوع، بيد أنه ليس من الصعوبة استنتاج ذلك. وبغض النظر عما سيجرى فإن أى إنسان سيقف مشدرهاً أمام مسألة ألا وهى أن تلك المواقف اللامبالية تندرج ضمن التخطيط الاستراتيجى وتحليلات الأخبار.

كما أنه بغض النظر عن السياسة التى سيجرى اتباعها ابتداءً من الآن فإن كارثة قد حلت أصلاً وستصبح أكبر. ولربما كان الوصف الأكثر ملاءمة هو الذى قامت به الكاتبة والناشطة الهندية الرائعة والشجاعة أرونداتى روى Arundhati Roy التى كتبت بمناسبة إعلان إدارة بوش بدء عملية العدالة المطلقة «انظروا إلى العدالة المطلقة للقرن الجديد مدنيون يجوعون حد الموت بانتظار أن يجرى قتلهم» (الغارديان، ٢٩ سبتمبر).

ولا يفقد انتقادها شيئاً من قوته كون خبراء الدعاية التابعين للإدارة اقتنعوا أن تعبير «العدالة المطلقة»، الذى يحمل سمات إلهية، كان ثانيةً خطأ ترتكبه الإدارة حاله حال «الحملة الصليبية»، ولذا جرى استبداله بـ «الحرية الراسخة». وهى عبارة تثير الكثير من التعليقات إذا أخذنا بنظر الاعتبار الوثائق التى تخص تاريخ المسألة.

■ س: أعلنت الأمم المتحدة أن خطر المجاعة فى أفغانستان هائل. وقد تصاعدت أصوات الاحتجاج العالمية بسبب ذلك، وتصرح الآن الولايات المتحدة وبريطانيا بأنهما ستمنحان مساعدات على شكل غذاء لتفادى المجاعة. هل تراجعوا تحت ضغط الاحتجاجات العالمية أم أن ذلك مجرد خدعة؟ ماذا سيكون حجم وتأثير مساهمتهم تلك؟

- تشومسكى: تقدر الأمم المتحدة عدد الذين يقفون أمام التهديد المباشر للمجاعة بين ٧ ـ ٨ ملايين. وحسب إحدى التقارير الهامشية فى نيويورك تايمز (يوم ٢٥ سبتمبر) فإن ستة ملايين أفغانى يعتمدون بشكل كامل على مساعدات الأمم المتحدة، والأمر مشابه بالنسبة إلى ٣,٥ مليون أفغانى آخرين يعيشون فى مخيمات اللاجئين خارج البلاد، من بينهم الكثير ممن هربوا قبل إغلاق الحدود وفى التقرير ذاته ورد أن جزءاً من الأغذية تُبعث إلى المخيمات الموجودة خارج أفغانستان. وهناك قناعة راسخة لدى المخططين والمعلقين بأن عليهم فعل شئ ما كى يظهروا للعيان كونهم متحمسين إنسانياً ويحاولون تفادى الكارثة الرهيبة التى بدأت تتفاقم بعد التهديد بالقصف والهجوم العسكرى وإغلاق الحدود الذى طالبوا هم به. «يحاول الخبراء إقناع الولايات المتحدة بتحسين صورتها من خلال زيادة مساعدتها للاجئين الأفغان بل وحتى إعادة بناء الاقتصاد» (كريستيان ساينس مونيتور، ٢٨ سبتمبر) ويجب على موظفى الإدارة أن يفهموا بدون حاجة إلى إرشادات الخبراء أنه يجب عليهم بعث شئ من الأغذية مما يمكنه تخطى الحدود، وأنهم على الأقل من أجل إظهار ذلك فقط يجب أن يحاولوا بعث الطعام إلى الناس الجياع داخل البلاد لغرض «إنقاذ الحياة» ولكن أيضاً كـ« «يجرى تسهيل مهمة الجنود الشاقة للعثور على المجموعات الإرهابية داخل أفغانستان» (بوسطن غلوب، ٢٧ سبتمبر، العبارة مأخوذة من كلام لموظف فى البنتاغون وهو يسمى ذلك «كسب لعقول الناس وقلوبهم»). وقد تناول محررو نيويورك تايمز الموضوع ذاته فى اليوم التالى، ١٢ يوم بعد التقرير الذى ذكر بأن الخطط الإجرامية كان يجرى تنفيذها.

وفيما يخص حجم المساعدات فليس هناك سوى الأمل فى أن تزداد كثيراً وإلاّ فإن التراجيديا الإنسانية يمكن أن تتفاقم خلال بضعة أسابيع. ولو كانت الحكومة تلتزم الحكمة فإنها ستقوم على الأقل باستعراض «الإسقاط الضخم للأغذية» الذى ذكره أحد الموظفين والذى لم ينفذ حتى يوم ٣٠ سبتمبر، برغم كل الإمكانات المتاحة.

■ **س: من المحتمل أن تقر المنظمات الحقوقية حتى بالجهود التى تستخدم فيها القوة للقبض على بن لادن والآخرين ومحاكمتهم، على أساس انه يجرى حينها إثبات ارتكابهم للجريمة، لماذا لا تسلك الولايات المتحدة هذا السبيل؟ هل أن السبب أنهم لا يريدون منح المصداقية لوسيلة قد تستخدم لاحقاً ضد أعمالنا الإرهابية، أم أن الأمر يتعلق بشئ آخر؟**

● تشومسكى: لقد طلب الكثير فى عالمنا من الولايات المتحدة تقديم أدلة تثبت علاقة بن لادن بالجريمة، ولو أمكن تقديم هذه الأدلة فليس صعباً الحصول على إسناد قوى لجهود عالمى، ضمن إطار الأمم المتحدة، لإلقاء القبض عليه وعلى معاونيه ومحاكمتهم.

وليس من المستبعد أن يتم ذلك من خلال الطرق الدبلوماسية، التى أوضحتها طالبان بطرق مختلفة، لكن جرى بكل سخرية رفض تلك الطرق لصالح استخدام القوة. إن تقديم دليل موثوق ليس بالأمر السهل. فحتى لو كان بن لادن وشبكته مشتركين فى جرائم ١١ سبتمبر، فإنه من الصعب تقديم أدلة على هذا. وحسب علمنا فإن أكثر المشتركين أصلاً قد فجّروا أنفسهم فى خضم تلك المهمة المريعة.

وقد أميط اللثام عن مدى صعوبة تقديم أدلة يوم ٥ أكتوبر، حينما أعلن تونى بلير متبجحاً بأنه «لا يوجد شك مطلقاً» فى مسئولية بن لادن وطالبا، ثم قدم الوثيقة المبنية على أساس ما يمكن اعتباره أكثر جهود التحقيق تكثيفاً فى التاريخ، والتى اشتركت فيها المخابرات الغربية وغيرها. ورغم كون الاتهامات تبدو عقلانية فى الظاهر، ورغم المحاولات النادرة لإثباتها، فقد كانت الوثائق قليلة بشكل لا يُصدق. فلم يكن سوى جزء قليل منها له علاقة بـ ١١ سبتمبر، ولن يجرى أخذ هذا القليل على محمل الجد لو جرى تقديمه كدليل لاتهام

مجرمين محددين أو من يسير فى ركبهم. وقد كانت وول ستريت جورنال محقة فى وصفها الوثيقة بكونها «أقرب إلى الاتهام منها إلى الدليل التفصيلى» وهو مقال ورد فى الصفحات الأخيرة من الجريدة. وتؤكد الجريدة أيضاً، وهى لا تجانب الصواب فى ذلك، بأن ذلك لن يلعب أى دور. ثم تورد تصريحاً لأحد كبار موظفى الدولة يقول «إن الأدلة الجرمية غير عقلانية. والمقصود من المخطط هو تحطيم بن لادن ومنظمته» ويهدف تقديم الوثائق تمكين بلير وسكرتير حلف الناتو والآخرين من التأكيد للعالم بأن الأدلة «واضحة ومقنعة».

من غير المحتمل أبداً أن تعتبر القضية التى قُدمت مقبولة بصفتها أدلة أكيدة أمام الناس فى الشرق الأوسط - وهو موضوع كتب عنه روبرت فسك تقريراً مباشراً - أو أمام الذين يقرأون ما بين السطور. ومن جهة أخرى فإن الحكومات والمنظمات التابعة لها تملك أسبابها الخاصة للالتحاق بالطابور. وقد نتساءل لماذا اختار اخصائيو الدعاية تونى بلير لتقديم الأدلة: لربما لتعزيز الانطباع بكون الولايات المتحدة تحتفظ «لأسباب أمنية» بأدلة على درجة عالية من الإقناع، أو أملاً بكونه سيتقمص شخصية تُذكِّر بتشرشل.

وتوجد فى خلفية الوضع حقول ألغام يجب على المخططين المرور خلالها بحذر. وثانية نذكر قولاً لأروندهاتى روى: «لقد كان جواب طالبان عقلانياً حين أرادت الولايات المتحدة منها تسليم بن لادن: قدموا الأدلة ونسلمه لكم. بينما كان جواب بوش إن هذا شرط نرفض التفاوض عليه». وتذكر هى أيضاً من مجموعة من الأسباب سبباً يجعل واشنطن لا تقبل سلوك هذا الطريق «حين يجرى الحديث عن تسليم مدير تنفيذى، فهل يمكن للهند تقديم طلب للولايات المتحدة لتسليم وارن أندرسون؟ فقد كان هو رئيساً للجنة التنفيذية فى كاربيد يونيون، وهو المسئول عن تسرب الغاز فى بوبال Bhopal والذى أدى إلى قتل ١٦ ألف إنسان عام ١٩٨٤. لقد قمنا بتقديم كل الأدلة الضرورية، ويوجد فى الملفات كل شئ، هل تسلمونا إياه، شكراً؟».

وتوجد أمثلة كثيرة أخرى. لقد طلبت الحكومة الهايتييه من الولايات المتحدة تسليم عمانوئيل كونستانت، أحد أكثر قادة الميليشيات قسوة خلال الفترة التى دعمت فيها إدارة بوش الأب وإدارة كلنتون سرياً الطغمة الحاكمة والفئات الغنية التى تسندها. ولقد جرت محاكمة كونستانت غيابياً وجرى الحكم عليه بالسجن مدى الحياة لكونه كان مشتركاً فى المذابح. هل جرى تسليمه؟ وهل خلقت المسألة أية ردود أفعال فى إعلام التيار السائد؟

الجواب هو النفى فى كلتا الحالتين وهو مبنى على أسس صحيحة. فتسليمه سيؤدى إلى كشف العلاقة مما سيكون أمراً مريراً بالنسبة لواشنطن. وبعد كل هذا، فإنه هو الذى لعب الدور الرئيسى فى المذابح التى أدت إلى قتل ٥٠٠٠ شخص وهو رقم لو قارناه بنفوس الولايات المتحدة تناسبياً لكان يعادل مئات الآلاف وتخلق ملاحظات كهذه نوبات غضب مسعورة فى الجهات المتطرفة فى الرأى العام الغربى، ومن بينها بعض الجهات التى تسمى «باليسار» بينما تبدو للغربيين الذين احتفظوا بالرأى السليم واستقامة الأخلاق، حالهم حال الضحايا، مسألة تعطى الكثير من الدروس وهو أمر يفهمه، على الأكثر، الجالسون على سدة الحكم.

كان المثال الوحيد الذى ذكرته روى مجرد بداية، وهو واحد من أمثلة أقل أهمية، ليس بسبب أعداء الضحايا القليل بل لأن الجريمة لم ترتكبها دولة. لنفترض أن إيران طلبت تسليم موظفين كبار فى إدارتى كارتر وريجان، فى الوقت نفسه الذى رفضت فيه تقديم أدلة كافية على الجريمة التى ارتكبوها - فى حين أن الأدلة موجودة فعلاً، أو أن نيكاراغوا طلبت تسليم السفير الأمريكى الجديد فى الأمم المتحدة، وهو شخص يختصر سجله الوظيفى فى كونه «برو قنصل» (كما يسنى عادةً) من خلال الإقطاعات التى أنشأتها عملياً الهندوراس، هناك حيث كان يعلم حتماً مدى الأعمال الوحشية التى مارسها إرهاب الدولة التى يدعمها هو، والتى - وهذا أهم، تشمل واجبه كمراقب محلى للحرب الإرهابية ضد نيكاراغوا، والتى انطلقت من قواعد فى الهندوراس. فهل توافق

الولايات على تسليمه، وهل أن طلباً كهذا سيشير سخرية من نوع ما؟

هذه ليست سوى البداية. والأفضل ترك الأبواب موصدة، بالضبط مثلما فضل الصمت المطلق حين تم تعيين أحد كبار الواقفين وراء العمليات التى جرت إدانتها بكونها إرهابية من قبل أعلى الهيئات الدولية، ليقود «حرباً ضد الإرهاب»، وهنا يصمت حتى جوناثان سويفت.

وقد يوضح هذا لماذا فضل خبراء الدعاية فى الإدارة الأمريكية التعبير الغامض «حرب» بدلاً من التعبير الواضح «جريمة». «جريمة ضد الإنسانية» كما أسماها كل من روبرت فسك ومارى روبنسون وآخرين.

■ س: لو تم إسقاط طالبان وتم أسر أو قتل بن لادن والذين يعتقد أنهم المنفذون، ماذا سيحدث بعد ذلك؟ ماذا سيحدث لأفغانستان؟ ماذا سيحدث على نطاق أوسع فى أماكن أخرى؟

● تشومسكى: إن المسألة الأكثر عقلانية باعتقاد الحكومة الأمريكية هى إكمال عملية قتل الشعب التى لازالت مستمرة بصمت وإقرانها بإيماءات إنسانية لاستثارة تصفيق الجوفة التى يجرى استدعاؤها بشكل متكرر لإطراء القادة الشرفاء المنهمكين فى الدفاع عن «القيم والمبادئ» للمرة الأولى فى التاريخ والذين سيقودون العالم نحو «عصر جديد» من المثالية والمساهمة فى «وقف الأعمال الوحشية» فى كل مكان. وتبدو تركيا الآن فى غاية الرضى للانضمام إلى «حرب واشنطن ضد الإرهاب»، وليس هذا فحسب بل تريد أيضاً بعث قوات برية. والسبب، كما قال رئيس الوزراء أجاويد، هو كون تركيا تقف فى حالة «امتنان خاص» للولايات المتحدة التى، على العكس من البلدان الأوروبية، دعمت حرب تركيا ضد الإرهاب. وهو يعنى هنا الخمسة عشر عاماً من الحرب

التى وصلت قمتها فى نهاية التسعينيات والتى تساوق معها الدعم الأمريكى، حيث قتل عشرات الآلاف من البشر، وأجبر ٢. ٣ مليون على الهروب، ودمرت ٣٥٠٠ قرية ومدينة (٧ أضعاف مساحة كوسوفو تحت قصف الناتو). وانهال الثناء أيضاً على تركيا كما انهالت المكافآت السخية بسبب مساهمتها الإنسانية فى كوسوفو، حيث استخدمت طائرات اف - ١٦ الأمريكية التى جرى استخدامها ببراعة فى العمليات الواسعة للتطهير العرقى وإرهاب الدولة. ويمكن للولايات المتحدة أن تحول تحالف الشمال إلى قوة يحسب لها حاسب، مع محاولة ضم قادة آخرين يبغضون أصلاً تحالف الشمال مثل قلب الدين حكمتيار الذى كان فى السابق مُفضّلاً لدى واشنطن والموجود الآن فى إيران. وستقوم على الأرجح قوات الكوماندوز الأمريكية والبريطانية بمهمات داخل أفغانستان، وإقرانها بعمليات قصف منتخبة ولكن بشكل محدود لتجنب انضمام أناس جدد إلى قضية الراديكاليين الإسلاميين.

ولا يمكن ببساطة مقارنة الحملة الأمريكية بالاجتياح الروسى فى الثمانينيات. فقد واجه الروسَ جيش كبير يصل إلى ١٠٠ ألف رجل أو يزيد، جرى تنظيمه وتدريبه وتسليحه من قبل السى. آى. إيه. ومعاونيها. أما الآن فتقف الولايات المتحدة بمواجهة قوة غير منظمة فى بلد هو أصلاً مدمر بعد عشرين سنة من الرعب نتحمل نحن مسئوليته. أما طالبان بشكلها الحالى فستنهار بسرعة باستثناء النواة الداخلية الصلبة.

ونتوقع أن الجزء المتبقى على قيد الحياة من الأفغان سيرحب بجيش التدخل بشرط ألاّ يكون مرتبطاً جهاراً بالعصابات المتعطشة للدمار التى دمرت البلاد قبل استيلاء طالبان على السلطة وإلاّ فإن الناس سيكونون فرحين بمجئ جنكيز خان.

ماذا سيحدث بعد ذلك؟ طلب الأفغان المنفيون فى الخارج، وعلى الأرجح بعض العناصر من طالبان التى لا تنتمى إلى النواة الداخلية، مساهمة الأمم المتحدة

فى تثبيت حكومة انتقالية من نوع ما، وهى عملية ستقود إلى نجاح إعادة لتشكيل شئ ما قابل للتطبيق فى خضم الدمار، شريطة أن يجرى مد البلاد بمساعدات ضخمة من خلال مصادر محايدة مثل الأمم المتحدة أو منظمة طوعية موثوقة. وهذا فى الحقيقة هو الحد الأدنى من المسئولية التى يتحملها الذين حولوا هذا المجتمع الفقير حد الادقاع إلى بلاد رعب وبؤس، بلاد من الجثث والضحايا المشوهين. ويمكن فعل ذلك ولكن من خلال مجهودات كبرى من شعوب العالم الغنى والقوى. وقد جرى رفض هذه الخطط حتى الآن من قبل بوش وإدارته، التى أعلنت أنها لا تفكر فى التدخل فى مسألة «البناء الوطنى». ولا حتى - وهذا ما رأيناه حتى الآن على أية حال (٣٠ سبتمبر) - القيام بجهود ستكون أكثر نبلاً وإنسانية: مساعدات ضخمة دون التدخل فى مسألة «البناء الوطنى» من قبل الذين سينجحون حقاً فى القيام بإنجازات فى مشروع كهذا. لكن الرفض الحالى للتفكير فى موقف نبيل كهذا ليس مطلقاً البتة. أما عما سيحدث فى مناطق أخرى فيعتمد على عوامل داخلية، وعلى السياسة التى تستخدمها القوى الخارجية (بدرجة رئيسية الولايات المتحدة ولأسباب مفهومة»، ويعتمد كذلك على سير الأحداث مستقبلاً فى أفغانستان. ولا يمكن الحديث بدقة أكثر عن موضوع كهذا، ولكن فيما يخص الاحتمالات المتعلقة بسير الأحداث يمكن إجراء استنتاجات عن النتيجة المحتملة - توجد فى الحقيقة العديد من الاحتمالات التى لا يمكن استيعابها فى تعليقات مقتضبة.

■ **س: غيرت الولايات المتحدة موقفها الرامى إلى إنشاء تحالف عالمى آخذه بعين الاعتبار مجموعة من الدول فى الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا، واقترح جملة من الإجراءات على الصعيدين السياسى والعسكرى مقابل تقديم دعم بأشكال مختلفة.**

■ س: كيف يمكن لتقلبات سياسية كهذه، أن تؤثر الديناميكية السياسية فى هذه المناطق؟

● تشومسكى: تتقدم واشنطن بخطى حذرة إلى الأمام. يجب أن نعرف على ماذا تجرى المقامرة: توجد احتياطيات النفط العالمى الكبرى فى السعودية بشكل أساس، وأيضاً فى المنطقة المحيطة بالخليج العربى، كما أن هناك احتياطيات ثانوية فى آسيا الوسطى. وبالرغم من كون المنطقة الأخيرة ثانوية، إلا أنه جرى على مدى سنوات الحديث عن مد خطوط الأنابيب فى هذه المنطقة عن طريق أفغانستان، الأمر الذى يساعد الولايات المتحدة فى هذه المناورات المعقدة للسيطرة على موارد آسيا الوسطى. أما الدول التى تجاور أفغانستان فهى ضعيفة وتنوء تحت كاهل العنف. وأهم تلك الدول هى أوزبكستان التى جرى اتهامها من قبل لجنة حقوق الإنسان HRY بكونها مارست أعمالاً وحشية كثيرة كما أنها تصارع انتفاضة إسلامية داخلية. كما أن الوضع مشابه فى طاجاكستان، بالإضافة إلى كون البلد معبراً مهماً للمخدرات إلى أوروبا، الأمر الذى تمتد جذوره إلى فترة وجود تحالف الشمال الذى يسيطر على قسم كبير من الحدود الطاجيكية ـ الأفغانية. وهو كما يبدو الممول الأول للمخدرات بعد أن أتلفت طالبان عمليات زراعة الخشخاش بشكل كامل. وستقود موجات اللاجئين الأفغان المندفعين نحو الحدود إلى الكثير من المشاكل الداخلية وتوجد فى الباكستان، التى تعتبر السند الرئيسى لطالبان، حركة راديكالية إسلامية قوية. ولا يمكن التنبؤ برد فعل تلك البلاد. وسيفاقم الخطر نوعياً لو جرى استخدامها كقاعدة للعمليات الأمريكية فى أفغانستان، خصوصاً أن هناك قلقا له أساس منطقى وهو كون الباكستان تملك سلاحاً نووياً. ويلح الجيش الباكستانى على الحصول على أسلحة من الولايات المتحدة (وقد حصلت على وعود بذلك لكن هناك الكثير من عدم الثقة مبنى على العلاقات المتقلبة سابقاً، وأن تتحالف أفغانستان مع العدو اللدود لباكستان الهند فى المستقبل. كما أن

باكستان غير مرتاحة من قيادة تحالف الشمال من قبل الطاجيك والأزبك والأقليات الأخرى فى أفغانستان، التى تعادى الباكستان وتُدعم من قبل الهند وإيران وروسيا والآن الولايات المتحدة.

كما أن العلمانيين والزعماء فى منطقة الخليج العربى يشعرون بالمرارة من سياسة الولايات المتحدة، ويعبرون مع الخلفاء عن دعمهم لـ بن لادن بالرغم من كونهم يمقتون كونه أصبح ـ لدى البعض ـ «يمثّل الإسلام» (نيويورك تايمز، ٥ أكتوبر، أكتوبر، العبارة مقتبسة من تقرير لمحام يعمل فى شركة متعددة الجنسيات، ذرس فى الولايات المتحدة). ويجرى الدعم بالخفاء لكون الأمر يتعلق بدول مؤيدة للولايات وهو يوضح مدى المرارة من دعم الولايات المتحدة لها ويمكن بسهولة نشر الصراعات فى العالم، الأمر الذى سيقود إلى عواقب وخيمة، فيما إذا تم تهديد السيطرة الأمريكية على المصادر الضخمة للثروة فى المنطقة. وتوجد المشكلة ذاتها فى شمال أفريقيا وجنوب شرقى آسيا خصوصاً أندونيسيا. وحتى إذا وضعنا جانباً للصراعات الداخلية، فإن زيادة تصدير الأسلحة إلى بلدان المنطقة سيؤدى إلى زيادة احتمال نشوء صراعات مسلحة وزيادة تدفق الأسلحة إلى المنظمات الإرهابية ومهربى المخدرات. وتتلهف حكومات المنطقة إلى الانضواء تحت لواء الولايات المتحدة فى «حربها ضد الإرهاب» كى تحصل على دعم لما تمارسه من إرهاب دولة، والذى يجرى تنفيذه غالباً بمستويات مرعبة (ولو أردنا ضرب أمثلة فإن روسيا وتركيا هى الأمثلة الناصعة، بالرغم من أن تركيا كانت دائماً مستفيدة من الدعم الأمريكى).

■ **س: وقفت الباكستان والهند، الدولتان المتجاورتان والمالكتان للأسلحة النووية، وجهاً لوجه فى صراع خطير ولسنوات عديدة. كيف يمكن للضغوط الأمريكية المفاجئة والمكثفة ان تؤثر على علاقتهما القلقة أصلاً؟**

● تشومسكى: الصراع الرئيسى هو حول كشمير، الذى تدعى الهند فيه أنها تقاوم الإرهاب الإسلامى، والباكستان من جانبها تدعى أن الهند لا تمنح هذا الشعب حق تقرير المصير، فى حين تقوم هى نفسها بأعمال إرهابية واسعة النطاق، كل هذه الادعاءات للأسف صحيحة. لقد جرى خوض الكثير من الحروب من أجل كشمير، وكانت الأخيرة منها عام ١٩٩٩، حينما حصلت كلتا الدولتين على السلاح النووى، ولحسن الحظ أنه لم يستخدم، بيد أنه توجد بالكاد ضمانات لأن لا يستخدم. وسيتصاعد خطر قيام حروب نووية إن استمرت الولايات المتحدة فى مخططاتها لتسليح الفضاء (التى يستخدم لتسميتها تعبير محسّن هو «الدرع المضاد للصواريخ»). وبتساوى مع هذه المخططات يجرى دعم بناء القدرة النووية الصينية للحصول على الموافقة الصينية على السياسة الأمريكية، وسترد الهند حتماً على التسلح الصينى ثم تتبعها الباكستان ثم بلدان أخرى من ضمنها إسرائيل. وتوصف القدرة النووية من قبل المدير السابق للقيادة الاستراتيجية الأمريكية، بكونها «خطيرة فوق العادة» وإنها واحدة من أكبر الأخطار فى المنطقة. ويعتبر تعبيرا «غير مستقرة» التعبير الصحيح رغم كون الأمر أسوأ من ذلك.

■ **س: قبل احداث ١١ سبتمبر انتُقدت إدارة بوش بشدة، حتى من قبل حلفائها، حول السياسة أحادية الجانب، حول رفضها التوقيع على اتفاقية كيوتو المتعلقة بانبعاث غازات الانحباس الحرارى، وحول خططها لمقاطعة اتفاقية آى. بى. أم بهدف تسليح الفضاء من خلال برنامج «الدرع المضاد للصواريخ، وحول كونها قاطعت المؤتمر حول العنصرية فى دوربان فى جنوب أفريقيا، وهذه بعض الأمثلة فحسب، هل تتمكن الجهود المفاجئة**

للولايات المتحدة لبناء تحالف يصبح نواة ،لتعدد اقطاب، جديد ضمن إطار تطور إيجابى مفاجئ. مثلاً تقدم يخص الفلسطينيين. يمكن أن يحدث؟

● تشومسكى: يجب ألا يغيب عن الذاكرة أن الولايات المتحدة قامت من خلال السياسة «الأحادية الجانب» بتمديد العمل بُعرف سائد. ففى عام ١٩٩٣ أخبر كلنتون الأمم المتحدة أن الولايات المتحدة - كما فى السابق - ستتصرف بشكل «متعدد الأطراف إذا كان ذلك ممكناً ومن طرف واحد إذا كان ذلك ضرورياً». ثم بدأت فعلاً بتطبيق ذلك، وقد جرى تكرار وجهة النظر تلك من قبل سفيرة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة مادلين أولبريت ثم من قبل وزير الدفاع وليم كوهين عام ١٩٩٩، الذى أعلن أن الولايات المتحدة تحتفظ «بحق التصرف من طرف واحد بخصوص استخدام القوة العسكرية» للدفاع عن مصالحها الحيوية والتى تشمل «تأمين الوصول المستمر إلى الأسواق المهمة ومصادر الطاقةوالمصادر الاستراتيجية)، وفى الحقيقة حتى أى شئ ترى واشنطن كونه يخضع لسلطاتها القانونية. لكن بوش مضى فى الحقيقة إلى ما هو أبعد من المستوى الطبيعى مما أثار قلقاً كبيراً لدى الدول الحليفة. بيد أن الحاجة الحالية لتشكيل تحالف قد تؤدى إلى تخفيف لهجة الخطاب السياسى لكنها لن تغير شيئاً فى جوهر السياسة. ويتوقع أن يكون أعضاء التحالف أنصاراً صامتين ومطيعين بدلاً من أن يكونوا أعضاء مشاركين. ويبدو أن الولايات المتحدة ستحتفظ بحقها فى التصرف حسب رغبتها وتحاول تجنب أى شكل معقول من الاستعانة بالمؤسسات الدولية، الأمر الذى يتطلبه القانون. وتوجد علامات توحى بأمر معاكس، لكنها لا تحمل مصداقية، على الرغم من أن الحكومات الأخرى ستتقبل ذلك على الأرجح، لأنها تخضع بشكل متكرر للقوة لأسبابها الخاصة. ويحتمل ألاّ يريح الفلسطينيون أى شئ. وعلى العكس فإن الهجمات الإرهابية يوم ١١ سبتمبر كانت ضربة مميتة لهم، وقد فهموا هم والإسرائيليون ذلك مباشرة.

■ س: بعد أحداث ١١ سبتمبر ألمح كولن باول إلى أن الولايات المتحدة ستغير موقفها من الوضع الصعب للفلسطينيين. كيف تفسر ذلك؟

● تشومسكى: أفسر ذلك بالطريقة نفسها تماماً التى يتبعها موظفو الدولة وأطراف أخرى والذين تنتشر مقالاتهم فى أسفل الصفحة الأولى لنيويورك تايمز. فهم يؤكدون بأن بوش - باول لا يذهبان حتى إلى الحد الذى ذهب إليه كلنتون فى اقتراحاته فى كامب ديڤيد، والذى جرى الاحتفاء به فى صحافة التيار السائد لكنه لم يكن مقبولاً أبداً، لأسباب تمَّت مناقشتها بطريقة صحيحة فى إسرائيل وأماكن أخرى، وهو أمر يمكن لكل إنسان فهمه من خلال إلقاء نظرة على الخارطة وذلك كان السبب كما أعتقد فى صعوبة الحصول على خرائط هنا، بينما أمكن ذلك فى أماكن أخرى من بينها إسرائيل. ويمكن الحصول على معلومات بخصوص الموضوع فى مقالات كتبت فى زمن انعقاد لقاء كامب ديفيد، ومن بينها مقالات لى فى المنتخبات (الأنطولوجيا) التى حررها روان كاريى Roane Carey بعنوان الانتفاضة الجديدة.

■ س: لقد كان التدفق الحر للمعلومات هو الضحية الأولى للحرب هل يشكل الوضع الحالى استثناءً من نوع ما؟ هل يمكنك ضرب أمثلة على ذلك؟

● تشومسكى: إن وضع العراقيل أمام التدفق الحر للمعلومات فى بلد مثل الولايات المتحدة نادراً ما يكون نتيجة لإجراءات حكومية، بل على العكس فالأمر يتعلق برقابة ذاتية من النوع المألوف. ولا يشكل الوضع الحالى نوعاً من الاستثناء - هو فى الحقيقة أفضل من المستوى المتعارف عليه حسب تصورى.

بيد أن هناك أمثلة مروعة على الجهود التى بذلتها الولايات المتحدة لمنع التدفق الحر للمعلومات من الخارج. لقد كان فى العالم العربى مصدر حر ومفتوح للأخبار ألا وهو قناة الجزيرة الفضائية فى قطر، وهى قناة اتخذت البى. بى. سى. كمثل أعلى لها، وهى تصل إلى جمهور ضخم فى العالم الناطق بالعربية. وقد كانت القناة الوحيدة التى لم تخضع لرقيب. وهى تبث الكثير من الأخبار المهمة وحتى نقاشات بالبث المباشر، كما تعرض طيفاً واسعاً من وجهات النظر بحيث يشمل كولن باول، وإيهود باراك (كما شملنى أيضاً كى أوضح فى أية جهة أقف). والجزيرة هى أيضاً «المؤسسة الإخبارية الوحيدة فى العالم التى تملك صحفيين لازالوا موجودين فى المناطق التى تسيطر عليها طالبان فى أفغانستان» «وول ستريت جورنال». فقد كانت القناة مسئولة عن بث الصور التى احتفظت هى بحق بثها عن تدمير تماثيل بوذا، الأمر الذى أثار حقاً حفيظة العالم. فقد بثت مقابلات مطولة مع بن لادن، جرى كما اعتقد تمحيصها بدقة من قبل المخابرات الغربية، لكنها لم تكن ذات قيمة للذين يريدون معرفة طريقة تفكيره. وقد جرى بث تلك المقابلات من قبل البى. بى. سى. مع ترجمة إنكليزية بعد ١١ سبتمبر.

لقد أصبحت الجزيرة رمزاً مثيراً للكراهية والاحتقار والرعب من قبل أكثر الحكومات فى المنطقة، وحسب البى. بى. سى. فإنه ليست الولايات المتحدة لوحدها من يشعر بالغبن من خلال تقارير الجزيرة، فقد أدت تقارير القناة قبل ذلك إلى حدوث ردود فعل غاضبة فى عدد من الدول العربية من خلال منحها بعض الوقت للمعارضين السياسيين فى تلك البلدان». وقد أكد أمير قطر أن «واشنطن طلبت من قطر ممارسة ضغوط على القناة التليفزيونية». هذا ما نقلته البى. بى. سى. وقد أخبر الأمير، بصفته الرئيس الحالى لمنظمة المؤتمر الإسلامى الذى يضم ٥٦ دولة، الدوائر الإعلامية فى واشنطن بأن كولن باول مارس ضغطاً عليه ليجبره على إقناع الجزيرة «بتخفيف حدة تقاريرها». هذا ما ذكرته الجزيرة. وحين سُئل عن التقارير المتعلقة بمسألة الرقابة أجاب «هذا

صحيح. اتصلت بنا الإدارة الأمريكية، تماماً مثلما فعلت الإدارة السابقة» (بى. بى. سى. ٤ أكتوبر، مقتبسة من رويترز).

التقارير الجدية الوحيدة التى عثرت عليها عن ذلك الخبر المهم وردت فى وول ستريت جورنال (٥ أكتوبر)، والتى تصف أيضاً ردود فعل المثقفين الأكاديميين فى جميع أنحاء العالم العربى («ردود فعل فظيعة حقاً».. إلخ). ويضيف كاتب المقالة، مثلما فعلت قبله الوول ستريت جورنال، بأن «الكثير من الخبراء العرب أكدوا أن الاستنتاج النهائى هو أن الولايات المتحدة لا تحترم حقوق الإنسان فى بلدان مؤيدة لها رسمياً، الأمر الذى يثير أشد أنواع العداء لأمريكا». وقد جرى وبشكل يثير التساؤل تقليل عرض المقابلات مع بن لادن وغيرها من المقابلات الصحفية التى وفرتها الجزيرة. وبعد أن بثت الجزيرة تسجيلاً بالفيديو للمقابلة مع بن لادن، جرى استخدام ذلك بشكل مكثف من قبل الدعاية الغربية، وأصبح ضمن أخبار الصفحة الأولى، حينها انهال المديح على القناة. فقد صدرت فى نيويورك تايمز مقالة بعنوان «محطة عربية تقدم تغطية فائقة للحدود» (إيلين سويلينو Elaine Sciolino أكتوبر). وقد أثنت المقالة على القناة ووصفتها بأنها سى. إن. إن. العرب، التى تبث على مدار اليوم أخباراً تتفرد هى بنشرها، بالإضافة إلى البرامج الاجتماعية التى تصل إلى الملايين من المشاهدين». «خلقت القناة شهرة لنفسها من خلال التقارير غير العادية التى تقف على النقيض تماماً مما يبث فى القنوات العربية الأخرى»، وقد تم فى المقالة الإشارة إلى «أن السياسيين الأمريكان انزعجوا من بث الجزيرة لمقابلات مع بن لادن ومن الخطاب السياسى المعادى لأمريكا» الذى يظهره الخبراء وضيوف القناة و «الأشخاص الذين يتصلون بالبث المباشر». ولم يذكر الباقون، لكن المقال الافتتاحى تضمن فى اليوم التالى توبيخاً خفيف اللهجة.

من هذا نستنتج أن هناك عوائق أمام التدفق الحر للمعلومات، ولكن يجب ألاّ نلقى اللوم على الرقابة الحكومية أو الضغوط الحكومية التى لا تمثل سوى هامشاً صغير فى الولايات المتحدة.

■ **س: مـــا هو فى رأيك الدور الذى يجب على الناشطين الاجتماعيين المنهمكين فى مسائل العدالة ان يلعبوه؟ وما هى مهمتهم الأولى فى الوضع الحالى؟ هل يجب أن نلجم انتقاداتنا، التى جرى تأكيد صحتها من قبل البعض، ام ان هذا هو وقت جهود التجديد والتوسيع، ليس فقط لأن هناك ازمة يجب أن ندفعها بقوة بالاتجاه الصحيح، بل أيضاً لأن قطاعات كبيرة من قطاعات الشعب أصبحت فى وضع يجعلها تتقبل كثيراً النقاشات والبحوث، رغم ان القطاعات الأخرى معادية على طول الخط؟**

● تشومسكى: يعتمد كل شئ على الهدف الذى يريد الناشطون الاجتماعيون تحقيقه. فإذا كان هدفهم تصعيد دورة العنف وزيادة احتمالات حدوث الأعمال الوحشية المشابهة لما حدث يوم ١١ سبتمبر. وأعمال وحشية أكثر فظاعة تعرفها أجزاء عديدة من العالم. فى تلك الحالة يجب عليهم بكل تأكيد كبح تحاليلهم وانتقاداتهم وتجميد تفكيرهم وتقليل نشاطاتهم فى المسائل الأكثر أهمية التى كانوا يساهمون فيها سابقاً.

والنصيحة ذاتها تقدم فى حالة رغبتهم فى دعم العناصر الأكثر رجعية وانكفاءاً فى النظام السلطوى السياسى والاقتصادى، لإنجاز خططها التى ستعود بالضرر الكبير على السكان هنا وفى أجزاء كبيرة من العالم، والتى قد تهدد حتى مصير الجنس البشرى. أما إذا كان هدفهم تقليل إمكانيات حدوث الأعمال الوحشية ودعم الأمل فى الحرية وحقوق الإنسان والديمقراطية فإن عليهم فى تلك الحالة العمل بالعكس. يجب عليهم تكثيف جهودهم لمعرفة الأسباب الدفينة لهذه الجريمة وغيرها، وأن يحاولوا بذل طاقة إضافية فى مجال المسائل المهمة، التى كانوا أصلاً نشطين فيها، ويجب عليهم الإصغاء لما قاله أسقف مدينة سان كريستوبال دى لاس كاساس فى جنوب المكسيك، والذى

رأى بأم عينيه ما يكفى من الشقاء والظلم، ولذا طلب من الأمريكان «أن يفكروا لماذا هم يكرهوننا لهذا الحد» بعد أن «سببت الولايات المتحدة الكثير من العنف للدفاع عن مصالحها الاقتصادية» (ماسيون لويد، مكسيكو سيتى، بوسطن غلوب، ٣٠ سبتمبر). ويوجد إحساس بأنهم يشعرون بأمان أكثر حين يصغون إلى معلقين ليبراليين يطمئنوننا بأن «كرههم لنا متأتٍ من كوننا ندافع عن «نظام عالمى جديد» مبنى على أساس الرأسمالية والفردية والعلمانية والديمقراطية الأمر الذى يجب أن يكون الوضع الطبيعى فى كل مكان» (رونالد ستيل، نيويورك تايمز، ١٤ سبتمبر). أو أنتونى لويس الذى يؤكد بأن السياسة التى انتهجناها تعتبر مناسبة فقط من خلال كونها «تؤثر بشكل سلبى على المزاج العام فى العالم العربى تجاه جهود التحالف ضد الإرهاب» (نيويورك تايمز، ٦ أكتوبر). ويوضح واثقاً أن ما فعلناه لم يكن بإمكانه التأثير على الأهداف التى رسمها الإرهابيون، وأن ما يقوله الإرهابيون غير عقلانى بحيث لا يستحق التوقف عنده. كما أنه يمكننا نفى التطابق بين أقوالهم وأفعالهم خلال ٢٠ سنة من النشاط الإرهابى، الأمر الذى لا يخفى على الجميع، والذى جرت تغطيته بدقة من قبل صحفيين لامعين.

إنها لحقيقة مطلقة، لا تحتاج إلى برهان أو حجة، كون الإرهابيون يسعون إلى «تغيير العالم الكافر المليء بالظلم بشكل لا يمكن تصوره، من خلال القوة» ويهدفون فقط إلى إحداث «نهاية عديمة» للعالم (يقتبس هنا بمسارات ميكائيل إيجاتيف). فليس هناك فرقاً بين أهدافهم وأفعالهم المعلنة وتصرفاتهم المحسوبة بين الناس فى المنطقة - ومن ضمنهم الكويتيون المؤيدون جداً لأمريكا.

إنه حقاً رأى مريح لكنه ليس سديداً لو أخذنا بعين الاعتبار حسابات المستقبل توجد هناك بكل تأكيد إمكانيات. فالهزة التى أحدثتها الجرائم البشعة فى نخبة المجتمع أفسحت المجال لتأثيرات من النوع الذى لا يمكن تصوره حتى قبل فترة قريبة، أما بين عامة الناس فكانت تلك التأثيرات أكثر فظاعة، وأورد هنا مثالاً من تجربتى الخاصة: فإذا استثنينا المقابلات المستمرة تقريباً التى أجرتها

معى محطات الإذاعة والتليفزيون والصحافة فى أوروبا وفى مناطق أخرى، فإنه أجريت مقابلات معى أكثر من أى وقت مضى حتى من قبل وسائل إعلام التيار السائد فى الولايات المتحدة، كما أخبرنى آخرون بأمور مشابهة.

سيكون هناك بالتأكيد البعض ممن يطلبون بالطاعة العمياء، ويتوقع أن يأتى ذلك من اليمين المتطرف، وسيأتى الشئ نفسه من بعض المثقفين اليساريين وهو أمر واضح لكل من يعرف تاريخ هذا اليسار، وقد يتطرفون أكثر. بيد أنه مهم جداً عدم السماح للرعب أن يسيطر علينا بسبب هذه الجعجعات والكذب الهستيريين وأن نتمسك قدر الإمكان بالحقيقة والشرف ونتحمل المسئولية تجاه العواقب التى يتحملها الناس فى حين أن سببها هو أفعالنا نحن، وإلاّ فلنسمح للآخرين بفعلها. كل هذه الحقائق بديهية لكنها تستحق التذكر بها.

وبعيداً عن المسائل البديهية نوجه انتباهنا إلى مواضيع محددة كى نبعثها ونضع لها الحلول.

مبعوث الأمم المتحدة الخاص والمسئول عن الإغاثة الغذائية ناشدا الولايات المتحدة إيقاف القصف لمحاولة إنقاذ ملايين الضحايا. ولم يتم نشر هذه المناشدة فى أية صحيفة حسب علمى. لقد حدث ذلك يوم الاثنين. أما البارحة فقد انضمت منظمتا أو كسفام وكريستيان أيد وآخرون إلى هذه المناشدة، لكن ذلك لم يتم ذكره فى نيويورك تايمز. لكن الموضوع ذُكر ضمن مقالة تخص موضوعاً آخر الا وهو كشمير.

ويمكن بكل بساطة الاستمرار فى ضرب الأمثلة، الأمر الذى سيجعل صورة ما سيحدث أكثر وضوحاً. ويبدو أن ما يجرى الآن هو إبادة جماعية لشعب كامل، كما أن يعطينا صورة عن ثقافة النخبة التى نحن جزء منها. ويظهر هذا أن هناك خططاً وإجراءات مبنية على أساس توقع موت الملايين من الناس خلال الأسابيع المقبلة. ويجرى الاستهانة بذلك وتجاهله تماماً وعدم التعليق عليه أو التفكير بأدنى قدر من الجدية. وتسير الأمور هنا وفى أجزاء كثيرة من أوروبا

بشكل طبيعى، ولكن ليس فى بقية مناطق العالم، وفى الحقيقة ليس حتى فى أجزاء كثيرة من أوروبا. فحتى فى أماكن أقرب إلينا ـ مثلاً الصحافة الإيرلندية والسكوتلندية ـ يبدو الأمر مختلفاً. نعم، هذا ما يحدث الآن. فنحن، بشكل رئيسى، من يوجه الأمور. ولدينا القدرة على فعل الكثير الذى يمكننا من التأثير فى سير الأحداث. وهذا عموماً كل شئ.

■ س: ٢ . لماذا يعتبر هذا الحدث تاريخياً:

لنوجه أنظارنا إلى موضوع أكثر تجريداً، ولننسى ولو للحظة أننا فى الطريق إلى قتل ٣ أو ٤ ملايين إنسان، ليس من طالبان حتماً ولكن من ضحاياهم. لنرجع إلى الماضى ونكرس أنفسنا للمسألة التاريخية التى حدثت يوم ١١ سبتمبر. وللأسف فالأمر لا يتعلق بحجم الجريمة، مع أن ذلك مرعب لو فكرنا به، فحجمها بكل حال ليس من النوع غير الطبيعى. فلقد قلت بأن عدد القتلى المباشرين قد يكون الأكبر بين الجرائم المرتكبة، وقد يكون ذلك صحيح تماماً. بيد أن هناك جرائما إرهابية ذات فعل طويل الأمد هى للأسف أكثر إيغالاً فى القتل.

وليس أقل أهمية، وفى إعطاء الجريمة بعداً تاريخياً، أن شيئاً ما قد تغير، فالذى تغير هو اتجاه فوهة البندقية. وهذا شئ جديد فى تاريخ الولايات المتحدة. فالمرة الأخيرة التى جرت فيها مهاجمة البلاد ـ أو حتى تهديدها ـ كانت حين أحرق البريطانيون واشنطن منذ عهد بعيد جداً. وغالباً ما يضرب مثال بيرل هاربر، لكننى أعتقد أنها مقارنة سيئة. فاليابانيون ـ بغض النظر عن شعورنا تجاه ذلك ـ قصفوا قواعد عسكرية فى مستعمرتين أمريكيتين لا تقعان داخل حدود البلاد، تم احتلالهما عنوة من سكانهما الأصليين. هذه المرة جرت مهاجمة البلاد بشكل واسع، وقد توجد أمثلة هامشية بسيطة، لكن هذا المثال فريد من نوعه.

وخلال هذه المائتى سنة، قمنا نحن بإجلاء أو - وهو الأغلب - باستئصال السكان الأصليين وهم عدة ملايين. فقد قمنا باحتلال نصف المكسيك، وقمنا بتدمير كامل لمنطقة البحر الكاريبى وأمريكا الوسطى، وفى بعض الحالات حتى أماكن أبعد. كما قمنا باحتلال هاواى والفليبين، التى قتلنا فيها، بالارتباط بعملية الاحتلال، مئات الآلاف من الفيليبينيين، ومنذ الحرب العالمية الثانية قامت الولايات المتحدة بتوسيع مدى نشاطها فى جميع أنحاء العالم بشكل لا أجد حاجة للخوض فيه، بيد أن ذلك كان دائماً مرتبطاً بقتل أناس آخرين فالمعارك كانت تجرى فى مكان آخر، والذين كانوا يذبحون هم الآخرون. فذلك لم يحدث على أرضنا.

وفيما يخص أوروبا فإن التغيير كان أكثر دراماتيكية، لأن تاريخ القارة هو أكثر رعباً من تاريخنا، فنحن بشكل عام مجرد فرع من أوروبا. فخلال مئات السنين قامت أوروبا وبلا خجل بذبح البشر فى جميع أنحاء العالم، وبهذه الطريقة احتلوا العالم وليس من خلال توزيع قطع الحلوى على الأطفال. وخلال تلك الفترة تعرضت أوروبا إلى حروب دموية، بيد أن الأمر كان يتعلق بقتلة أوروبيين يذبحون بعضهم. فالرياضة الرئيسية فى أوروبا كانت، خلال قرون طويلة، أن يذبح بعضهم بعضاً، وإن توقف الذبح عام ١٩٤٥ لم يتعلق بأى حال من الأحوال بالديمقراطية أو فكرة ألا تحارب تلك الشعوب بعضها بعضاً، بل إن السبب الوحيد كان هو أنهم اقتنعوا أن أية لعبة جديدة من النوع ذاته تعنى إفناء العالم، لأن الأوروبيين، ونحن من ضمنهم، هم الذين اخترعوا أسلحة الدمار الشامل، ولذا كان على هذه اللعبة أن تتوقف. ويمتد هذا الأمر مئات السنين إلى الوراء. ففى القرن السابع عشر أُفنى ٤٠٪ من سكان ألمانيا فى حرب واحدة. لكن الأمر كان دائماً يتعلق بأن الأوروبيين كانوا يذبحون بعضهم بعضاً أو يذبحون شعوباً أخرى. فالكونغو لم تهاجم بلجيكا، ولا الهند هاجمت بريطانيا، كما أن الجزائر لم تهاجم فرنسا. وهذا النموذج كان عاماً منطبقاً فى كل الأحوال. ثانية أقول إنه توجد استثناءات قليلة لكنها على نطاق ضيق جداً، بحيث لا

يمكن، حقاً، رؤيتها بالمقارنة بالأمثلة الكبرى على ما فعلته أوروبا وفعلناه نحن تجاه بقية العالم. هذا هو التغيير الأول، هذه هى المرة الأولى التى توجه فيها فوهة البندقية بالاتجاه المعاكس. وحسب رأيى فإن هناك سبباً مشابهاً لردود الفعل المختلفة لجوانب الصراع على ساحلى البحر الأيرلندى الأمر الذى لاحظته من خلال المقابلات التى أجريت معى فى إذاعات الجانبين. فالذى تتهال عليه السياط طوال مئات السنين يشعر بالألم بشكل مغاير تماماً عمن يقوم بالجلد. وهكذا ينقسم الناس إلى طائفتين. ولذا فإنى أرى أن الصدمة والذهول أمر مفهوم فى أوروبا وتوابعها، مثل حالتنا. فهذا الحدث تاريخى ولكن عذراً فالأمر لا يتعلق بعدد الضحايا بل بمسألة أخرى. وهذا هو السبب فى أن جزءاً كبيراً من العالم يرى الأمر بشكل مغاير، ليس لكونهم لا يتعاطفون مع الضحايا أو لكونهم لا يشعرون بالمقت لما حدث، فالكل يشعر حقيقة بذلك، بل لأنهم يرونها من زاوية أخرى، وهو شئ نريد نحن معرفته.

■ س: ٣. ماذا يقصد بالحرب ضد الإرهاب؟

لندخل الآن فى السؤال الثالث وسؤال آخر جانبى «ما هو الإرهاب؟».

جرى وصف الحرب ضد الإرهاب على مستويات عليا بكونها كفاحاً ضد طاعون أو سرطان ينشرهما برابرة و «معارضون للحضارة نفسها». وأنا فى الحقيقة أقاسمهم الشعور ذاته بيد أن ما أقتبسه من كلمات هى للرئيس ريجان ووزير خارجيته. جاءت إدارة ريجان إلى السلطة قبل عشرين عاماً، وأعلنت بأن الحرب ضد الإرهاب العالمى هى حجر الزاوية فى سياستنا الخارجية ووصفت الإرهاب بتعابير من بينها تلك التى ذكرتها للتو. لقد كان ذلك حجر الزاوية فى سياستنا الخارجية. لقد ردت إدارة ريجان على السرطان الذى نشر معارضين فاسقين للحضارة من سابقاتها، اللواتى قمن بارتكاب أفظع الأعمال الوحشية فى جميع أنحاء العالم، قسم منها فى مناطق قريبة منا جغرافياً، وليس هنا

فقط. وسوف لن أدخل فى تفاصيل القائمة مستعيناً بأمثلة، فأنتم جميعاً ذوو تعليم عال، وقد مرت هذه الأمور عليكم فى الثانوية.

سأورد الآن مثالاً لا يختلف عليه اثنان، ولذا فلا حاجة للتشاجر حول ذلك. وهو على أية حال ليس المثال الأكثر سطوعاً، لكنه مثال لا خلاف عليه بسبب الأحكام التى من سلطات عالمية، هى محكمة العدل الدولية ومجلس الأمن. ولذا فهو لا خلاف عليه لدى الناس الذين يهمهم القانون الدولى وحقوق الإنسان والعدالة وما شابه. وسأعطيكم الآن واجباً. يمكنكم تقدير حجم هذه الفئة من الناس ببساطة من خلال السؤال عن مدى تكرار ذكر تلك الحالة أو المثال المتفق عليه فى التعليقات على الأخبار خلال الأشهر الأخيرة. وهذه الحالة مناسبة جداً، ليس فقط لكونها لا خلاف عليها بل لكونها تمثل سابقة تُظهر كيف رد بلد يلتزم القانون، فى الواقع العلمى، على الإرهاب العالمى، وهو أمر يتفق الجميع ماذا يخص. وهذه الحالة تتعلق بإرهاب ١١ سبتمبر. أقصد هنا حرب ريجان والولايات المتحدة ضد نيكاراغوا التى أدت إلى قتل عشرات الآلاف من الناس، وتدمير بلد من أساسه بحيث أنه يصعب عليه أن يعود إلى حاله الطبيعى.

وقد ردت نيكاراغوا ليس من خلال تفجير قنابل فى واشنطن بل من خلال نقل القضية إلى محكمة العدل الدولية، ولم يكن لديهم أية صعوبة فى جمع الأدلة. وقد وافقت محكمة العدل الدولية على طلبهم برفع الدعوى وأصدرت حكماً لصالحهم. لقد أدين ما دعى «بالاستخدام غير الشرعى للقوة»، وهو فى الحقيقة اسم آخر للإرهاب العالمى، من جانب الولايات. وقد جرى الطلب من الولايات المتحدة الكف عن نشاطها الإجرامى ودفع تعويض ضخم. وقد ضربت الولايات المتحدة طبعاً، عرض الحائط وباحتقار قرار محكمة العدل الدولية وأعلنت أنها لن توافق مستقبلاً على قرار محكمة العدل الدولية. وقد حدى هذا الأمر بنيكاراغوا إلى التوجه نحو مجلس الأمن الدولى الذى ناقش قراراً يدعو جميع الدول للانصياع للقانون الدولى. وقد استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو. من هذا نستنتج أن الولايات المتحدة هى البلد الوحيد الذى جرت

إدانته من قبل محكمة العدل الدولية، وهى البلد الوحيد الذى استخدم حق الفيتو ضد قرار لمجلس الأمن يدعو الدول للانصياع للقانون الدولى. بعدها توجهت نيكاراغوا إلى الجمعية العامة، هناك حيث لا يوجد فيتو، لكن تصويتاً بالرفض من قبل الولايات المتحدة يعنى فيتو. وقد اتخذت الجمعية العامة قراراً مشابهاً صوتت ضده الولايات المتحدة وإسرائيل والسلفادور. ثم أعيدت الكرة ثانية لاستصدار قرار مشابه ولم تستطع الولايات المتحدة أن تضم إلى جانبها هذه المرة سوى إسرائيل. وهكذا كان هناك صوتان ضد تطبيق القانون الدولى. ولم يبق بعد ذلك لدى نيكاراغوا أى سبيل قانونى لتسلكه، فقد استنفذت هى كل السبل القانونية فى عالم تسوده القوة. وكما قلنا فإن تلك الحالة لا يختلف عليها اثنان، لكنها بكل الأحوال ليست المثال الأفضل فنحن نتعلم شيئاً عن ثقافتنا ومجتمعنا وما يحدث الآن من خلال الاستفسار عن مدى معرفتنا بهذا الموضوع. فكم نناقش نحن هذا الموضوع؟ كم يكتب عنه فى الصفحات الأولى للجرائد؟ وهذه فقط البداية. فقد ردت الولايات المتحدة على محكمة العدل الدولية ومجلس الأمن بتصعيد الحرب بسرعة، وبالمناسبة فإن الجمهوريين والديمقراطيين كانوا متفقين عليه. وقد تغيرت أيضاً ظروف الحرب. فقد جرى لأول مرة إعطاء أوامر إلى الكونترا (الجيش الإرهابى) لمهاجمة ما يسمى بالأهداف الخفيفة، والتى تعنى الأهداف المدنية غير المحمية وتجنب الصدام مع الجيش النيكاراغوى، ولكون جيش المرتزقة كان مجهزاً بأجهزة أتصال متطورة. فلم يكن هذا الجيش جيش عصابات بالمعنى المتعارف عليه. وقد حصل على معلومات عن أماكن تواجد الجيش النيكاراغوى، بحيث استطاع مهاجمة المزارع الجماعية ومراكز العناية الصحية وغيرها، كما أنه كان معفياً من العقوبات. هكذا كانت الأوامر الرسمية.

ماذا كان رد الفعل؟ رد الفعل كان معروفاً جيداً. اعتبر الرأى العام اليسارى الليبرالى هذه السياسة عقلانية، ما يكل كنسلى مثلاً الذى يمثل اليسار فى مناظرات صحافة التيار السائد كتب قائلاً فى إحدى مقالاته: لا يجب علينا التسرع فى نقد هذه السياسة كما فعلت لجنة حقوق الإنسان HRW. ثم كتب يقول إن «السياسة المتعلقة» يجب أن «تكون قادرة على حساب التكاليف

والأرباح» ـ بمعنى آخر حساب «كمية الدم والشقاء المهدورين من جهة وإمكانية إقامة الديمقراطية من جانب آخر». والديمقراطية هنا تعنى المفهوم الأمريكى للمصطلح، وهو أمر ينعكس فى البلدان المجاورة. لاحظوا أن هناك أمراً بديهياً لدى النخبة السلطوية الأمريكية وهو أنها تملك الحق فى القيام بحساب كهذا وفى تنفيذ المشاريع التى تنجح فى اجتياز اختيارها هى، وقد نجح ذلك. فحين خضعت نيكاراغوا فى النهاية لهجوم القوة العظمى، أطرى المعلقون بشكل مفتوح وبفرح على الطريق المستخدمة ووضعوها بشكل صحيح، وسأقتبس الان من تايم ماغازين شيئاً للمثال فقط، فقد امتدحوا نجاح الطرق المستخدمة «فى تدمير الاقتصاد والقيام بحرب طويلة ومدمرة من خلال وكلائهم إلى الحد الذى يجعل الأهالى المتعبين أنفسهم يطيحون بالحكومة التى لا يرغبون فيها»، وبثمن هو بالنسبة لنا «بخس» بينما يعنى للضحية «جسوراً مهدمة، ومحطات طاقة مدمرة، ومزارع مخربة» ومن خلال ذلك تستطيع الولايات المتحدة دعم مرشح الرئاسة «بمسألة يمكن من خلالها ربح الانتخابات». «إنهاء فقر الشعب النيكاراغوى». كان أحد العناوين الكبرى فى نيويورك تايمز ما يلى «نحن متحدون فى السراء» بفضل هذه النتيجة. هذه هى الثقافة التى نعيش نحن تحت كنفها، وهى تفضح كل شئ. فهى تكشف أولاً أن الإرهاب أسلوب ناجح، والقوة أسلوب ناجح بشكل عام. وهكذا يبدو تاريخ العالم. ثانياً: إنه لخطأ فادح حين نحلل قائلين ـ وهو أمر يفعله الكثير ـ إن الإرهاب هو سلاح الأقوياء، بل فى الحقيقة سلاحهم الهائل. وهو يعتبر سلاح الضعفاء بسبب كون الأقوياء يسيطرون على الأيديولوجية التى تجعل إرهابهم لا يعتبر إرهاباً. وهذا الأمر يصلح على الدوام، ولا أستطيع فى الحقيقة أن أعثر على مثال يستثنى من القاعدة، فالعالم ينظر حتى إلى أعتى السفاحين بهذه الطريقة. خذ النازيين مثلاً، فهم لم يقوموا بممارسة الإرهاب حين احتلوا عدة بلدان أوروبية بل إنهم دافعوا عن السكان المحليين ضد إرهاب الأنصار. كذلك اعتبرت أفعال منظمات المقاومة الأخرى أعمالاً إرهابية. لقد قام النازيون بفعل مضاد للإرهاب وقد وافقت الولايات المتحدة على هذا الرأى. فبعد الحرب درس

الجيش الأمريكى بدقة عمليات الجيش النازى المضادة للإرهاب فى أوروبا. ويجدر بنا القول إن الولايات المتحدة حاربت غالباً حركات المقاومة ذاتها التى حاربها النازيون. وقد درس الجيش طرق النازيين ونشر دراسات مهمة انتقدت العمليات لكونها أُنجزت بشكل غير فعال، أى أن التحليل كان تحليلاً نقدياً: هنا لم تفعلوا الصواب. وقد أصبحت هذه الطرق، التى جُلبت مع الجنود النازيين، كتباً تعليمية لمكافحة الانتفاضات والإرهاب والصراعات الخفيفة، كما أسموها، ولازالت هذه الكتب التعليمية والطرق تستخدم حتى الآن. ولذا فإنه ليس النازيون وحدهم من قام بذلك. فالإرهاب ليس سلاح الضعفاء، بل إنه سلاح من يقف «ضدنا» بغض النظر عن من «نحن». وإذا اهتديتم إلى استثناء تاريخى فإنى أريد بكل سرور رؤيته. إن من الشواهد المثيرة للانتباه حول الكيفية المبنية عليها ثقافتنا هى الطريقة التى تنظر بها للأشياء. إنها طريقة نصمت فيها على كل شئ. فأنا لم أسمع أحداً تحدث عن ذلك. كما أن ماكنة الدعاية الأمريكية والسلطة الأيديولوجية من القوة بحيث أن الأمر معروف دائماً حتى لدى الضحايا. أقصد أنه حين نذكر الأرجنتينيين بذلك يقولون «أجل، بالضبط، لقد حدث ذلك لكننا نسينا». فيا للكبح العميق. فالتأثيرات المباشرة لاحتكار القوة قد تكون مؤثرة إلى درجة أنها تؤثر عميقاً فى المجال الأيديولوجى وفى مجالات أخرى. هناك جانب واضح من موقفنا من الإرهاب ألا وهو رد الفعل تجاه فكرة إمكانية نيكاراغوا فى استخدام حقها فى الدفاع عن نفسها. ولقد بحثت فى الحقيقة هذا الموضوع بشكل مفصل من خلال المعلومات الكومبيوترية وغيرها. ففكرة حق نيكاراغوا فى الدفاع عن نفسها تبدو وكأنها جريمة كبرى. فلا يوجد أى شئ فى تعليقات صحافة التيار السائد يشير إلى كون نيكاراغوا تملك الحق فى الدفاع عن نفسها. واستغل هذا الأمر من قبل إدارة ريجان وآلة دعايتها بشكل يثير الانتباه. فالذين عاصروا تلك الحقبة يتذكرون بأن الإدارة كانت بين آونة وأخرى تبث شائعات عن أن نيكاراغوا بدأت بالحصول على طائرات ميج من روسيا. وقد حدث ماذا بعد... فى...

الفصل الثامن

محاضرة ألقيت فى منتدى التكنولوجيا والثقافة
يوم ١٨ أكتوبر ٢٠٠١ م
ملاحظة: هذا الفصل غير موجود فى النسخة الإنكليزية من الكاتب. المترجم.

الحرب الجديدة ضد الإرهاب

المحاضرة السابقة التى ألقيتها فى هذا المنتدى تناولتُ فيها موضوعاً سائغاً ولطيفاً. فقد بحثت فيها كون الجنس البشرى مهدداً بالانقراض. فلو أخذنا بعين الاعتبار طبيعة المؤسسات البشرية لاستنتجنا احتمال قيام البشر بإفناء أنفسهم فى مستقبل قريب نوعاً ما. ألا وهو الحرب الجديدة ضد الإرهاب. وللأسف تطفو طوال الوقت أشياء جديدة على سطح العالم تجعله مرعباً أكثر وأكثر. سأطرح فكرتين فى هذه المحاضرة. الأولى أعتبرها بكل بساطة تأكيداً لحقيقة، ألا وهى أن أحداث ١١ سبتمبر كانت أعمالاً وحشيةً قاسية، لربما الجريمة الأولى فى التاريخ التى سقطت فيها أعداد هائلة من الضحايا المباشرين إذا استثنينا الحروب. الفكرة الثانية تتعلق بالهدف. فأنا أستنتج أن هدفها هو توجيه الاهتمام إلى تقليل إمكانية حدوث جرائم كهذه فى المستقبل، بغض النظر عن كونها تتعلق بنا أو بآخرين. فإذا لم نقبل هذين الطرحين، فإن ما سأقوله لن يكون موجهاً إليكم، وفى حالة تسليمنا بهذين الطرحين فإن

سلسلة من التساؤلات تبرز، وهى مرتبطة بعضها ببعض وتستحق وقفة ما.

والسؤال الأكثر وضوحاً هو: ماذا يجرى الآن؟ والسؤال الذى يعقبه مباشرة: ما الذى باستطاعتنا فعله؟

ويتعلق السؤال الثانى بالفكرة العادية التى تقول إن ما حدث يوم ١١ سبتمبر كان حدثاً تاريخياً سيؤدى إلى تغيير التاريخ، وأنا مضطر للاقناع بذلك لأننى أعتقد أن الرأى صحيح. لقد كان ما جرى حدثاً تاريخياً، والسؤال الذى يجب علينا طرحه هو: ما الذى يجعله بالضبط حدثاً تاريخياً؟

السؤال الثالث يتعلق بالعنوان «الحرب الجديدة ضد الإرهاب»، ماذا تعنى بالضبط؟ ثم يبرز سؤال رابع يتعلق بالموضوع ألا وهو: ماذا يُقصد بالإرهاب؟ السؤال الرابع ذو بعد محدود بيد أنه مهم، وهو يتعلق بخلفية أحداث ١١ سبتمبر.

أما السؤال الخامس. والذى أريد مناقشته بشكل ما: ما هى الخيارات السياسية التى يمكن فعلها فيما يتعلق بشن هذه الحرب ضد الإرهاب ومعالجة المواقف التى أدت إلى ذلك.

سأحاول الإجابة بشكل مقتضب عن كل سؤال على حدة. وسأكون ممتناً لو انتقلنا بعيداً عن هذه الأسئلة وناقشنا مواضيع أخرى. هذه هى الأسئلة التى اعتبرها مهمة، ولكنكم قد تختارون أسئلة أخرى.

■ س: ١. ما الذى يحدث الآن؟

لنبدأ بالوضع الحالى. سأتكلم عن الوضع فى أفغانستان. وسأستشهد فقط بمصادر لا خلاف عليها مثل نيويورك تايمز. فطبقاً لما أوردته هى يوجد فى أفغانستان ٧ أو ٨ ملايين من البشر ممن تتهددهم المجاعة. وهذه الحقيقة كانت موجودة حتى قبل ١١ سبتمبر. لقد استطاع هؤلاء الناس البقاء على قيد

الحيـاة بفـضل المعونات الدوليـة. وفى تقـرير فى نيـويورك تايمـز من يوم ١٦ سبتمبر فإن الولايات المتحدة طلبت من باكستـان إيقاف قوافل الشـاحنات التى تجهز المدنيين الأفغان بالغذاء والأشيـاء الضرورية الأخرى. وحسب علمى فإنه لم يحدث رد فعل على هذا لا فى الولايات المتحدة ولا فى أوروبا. فلقد أجريت معى مقابلات فى الإذاعـات المختلفـة فى أوروبا فى اليوم الذى تلا الأحداث، يعطى انطباعاً بأنه لم يكن هناك أى رد فعل على ذلك الطلب الذى سيؤدى إلى تعريض الملايين من الناس لخطر المجاعة واستفحالها. وقد أجبر التهديد بالهجوم العسكرى عمال الإغاثة الدولية لترك البلاد، الأمر الذى شلَّ جهود الإغاثة. وهنا أستشهد ثانية بنيويورك تايمز. يصف اللاجئون الذين وصلوا إلى الباكستان بعد جهود مضنية، مشاهد اليأس والرعب فى بلادهم، بعد أن حول تهديد التحالف الذى تقوده الولايات المتحدة بؤسهم الدائم إلى كارثة حقيقية. وقد قال أحد عمال الإغاثة الذى جرى إخلاؤه لنيويورك تايمز ماغازين «تشبثت هذه البلاد بحبل النجاة فقمنا نحن بقطعه».

لقد نجح برنامج الغذاء التابع للأمم المتحدة ـ الذى يقوم بالعبء الأكبر من جهود الإغاثة ـ بعد ثلاثة أشهر بإعادة إرسال مواد الإغاثة الغذائية فى بداية أكتوبر، ولكن بكمية أقل مما قبل. ولا يوجد فى البلاد عمال إغاثة مما يصعب توزيع مواد الإغاثة. وقد توقفت جهود الإغاثة ـ التى جرى استعادتها بعد التوقف ـ بعد أن بدأ القصف، ثم عادت للعمل ولكن بسرعة أبطأ، فى الوقت نفسه الذى وجهت منظمات الإغاثة نقداً لاذعاً لإسقاط الغذاء من الجو من قبل الولايات المتحدة، وإدانتها بصفتها آلات للدعاية سيكون على الأرجح ضررها أكثر من نفعها، هذا بالضبط ما تم اقتباسه من الفايننشال تايمز فى لندن بيد أن الأمثلة كثيرة. بعد الأسبوع الأول من القصف ورد تقرير فى نيويورك تايمز فى إحدى الصفحات الداخلية ـ فى ضمن مقال يعالج موضوعاً آخراً ـ بأنه حسب إحصاءات الأمم المتحدة فإن ٥ و ٧ مليون من الأفغان قريباً ما يكونون فى حاجة ماسة إلى القدر الأدنى من الطعام قد يصل إلى حد

الرغيف، ولم يبق سوى بضعة أسابيع كى يحل الشتاء القارس الذى سيؤدى إلى جعل وصول الإمدادات إلى الكثير من المناطق غير ممكن، لكن الإمدادات قلَّت إلى النصف بسبب القصف. وقد تم التعليق على هذا مسبقاً. من هذا نستنتج أن الحضارة الغربية قد أحصت عدد الذين سيذهبون فى المذبحة بحوالى ٣ - ٤ ملايين. وفى اليوم نفسه رفض قادة الحضارة الغربية باحتقار، وللمرة الثانية، الدعوة لمفاوضات لتسليم المشتبه بهم - أسامة بن لادن - كما رفضوا الطلب بتقديم أدلة كدعم لشروط الاستسلام الكامل. وقد تم رفض ذلك أيضاً. وفى اليوم نفسه فإن مبعوث الأمم المتحدة الخاص والمسئول عن الإغاثة الغذائية ناشدا الولايات المتحدة إيقاف القصف لمحاولة إنقاذ ملايين الضحايا. ولم يتم نشر هذه المناشدة فى أية صحيفة حسب علمى. لقد حدث ذلك يوم الاثنين. أما البارحة فقد انضمت منظمتا أو كسفام وكريستيان أيد وآخرون إلى هذه المناشدة، لكن ذلك لم يتم ذكره فى نيويورك تايمز. لكن الموضوع ذُكر ضمن مقالة تخص موضوعاً آخر ألا وهو كشمير.

ويمكن بكل بساطة الاستمرار فى ضرب الأمثلة، الأمر الذى سيجعل صورة ما سيحدث أكثر وضوحاً. ويبدو أن ما يجرى الآن هو إبادة جماعية لشعب كامل، كما أن يعطينا صورة عن ثقافة النخبة التى نحن جزء منها. ويظهر هذا أن هناك خططاً وإجراءات مبنية على أساس توقع موت الملايين من الناس خلال الأسابيع المقبلة. ويجرى الاستهانة بذلك وتجاهله تماماً وعدم التعليق عليه أو التفكير بأدنى قدر من الجدية. وتسير الأمور هنا وفى أجزاء كثيرة من أوروبا بشكل طبيعى، ولكن ليس فى بقية مناطق العالم، وفى الحقيقة ليس حتى فى أجزاء كثيرة من أوروبا. فحتى فى أماكن أقرب إلينا - مثلاً الصحافة الإيرلندية والسكوتلندية - يبدو الأمر مختلفاً. نعم، هذا ما يحدث الآن. فنحن، بشكل رئيسى، من يوجه الأمور. ولدينا القدرة على فعل الكثير الذى يمكننا من التأثير فى سير الأحداث. وهذا عموماً كل شئ.

■ س ٢ . لماذا يعتبر هذا الحدث تاريخياً؟

لنوجه أنظارنا إلى موضوع أكثر تجريداً، ولننسى ولو للحظة أننا فى الطريق إلى قتل ٣ أو ٤ ملايين إنسان، ليس من طالبان حتماً ولكن من ضحاياهم. لنرجع إلى الماضى ونكرس أنفسنا للمسألة التاريخية التى حدثت يوم ١١ سبتمبر. وللأسف فالأمر لا يتعلق بحجم الجريمة، مع أن ذلك مرعب لو فكرنا به، فحجمها بكل حال ليس من النوع غير الطبيعى. فلقد قلت بأن عدد القتلى المباشرين قد يكون الأكبر بين الجرائم المرتكبة، وقد يكون ذلك صحيح تماماً. بيد أن هنالك جرائم إرهابية ذات فعل طويل الأمد هى للأسف أكثر إيغالاً فى القتل.

وليس أقل أهمية، وفى إعطاء الجريمة بعداً تاريخياً، أن شيئاً ما قد تغير، فالذى تغير هو اتجاه فوهة البندقية. وهذا شئ جديد فى تاريخ الولايات المتحدة. فالمرة الأخيرة التى جرت فيها مهاجمة البلاد ـ أو حتى تهديدها ـ كانت حين أحرق البريطانيون واشنطن منذ عهد بعيد جداً. وغالباً ما يضرب مثال بيرل هاربر، لكننى أعتقد أنها مقارنة سيئة. فاليابانيون ـ بغض النظر عن شعورنا تجاه ذلك ـ قصفوا قواعد عسكرية فى مستعمرتين أمريكيتين لا تقعان داخل حدود البلاد، تم احتلالهما عنوة من سكانهما الأصليين. هذه المرة جرت مهاجمة البلاد بشكل واسع، وقد توجد أمثلة هامشية بسيطة، لكن هذا المثال فريد من نوعه.

وخلال هذه المائة سنة، قمنا نحن بإجلاء أو ـ وهو الأغلب ـ باستئصال السكان الأصليين وهم عدة ملايين. فقد قمنا باحتلال نصف المكسيك، وقمنا بتدمير كامل لمنطقة البحر الكاريبى وأمريكا الوسطى، وفى بعض الحالات حتى أماكن أبعد. كما قمنا باحتلال هاواى والفيليبين، التى قتلنا فيها، بالارتباط بعملية الاحتلال، مئات الآلاف من الفيليبينيين، ومنذ الحرب العالمية الثانية قامت الولايات المتحدة بتوسيع مدى نشاطها فى جميع أنحاء العالم بشكل لا أجد حاجة للخوض فيه، بيد أن ذلك كان دائماً مرتبطاً بقتل أناس آخرين فالمعارك

كانت تجرى فى مكان آخر، والذين كانوا يذبحون هم الآخرون. فذلك لم يحدث على أرضنا.

وفيما يخص أوروبا فإن التغيير كان أكثر دراماتيكية، لأن تاريخ القارة هو أكثر رعباً من تاريخنا، فنحن بشكل عام مجرد فرع من أوروبا. فخلال مئات السنين قامت أوروبا بلا وجل بذبح البشر فى جميع أنحاء العالم، وبهذه الطريقة احتلوا العالم وليس من خلال توزيع قطع الحلوى على الأطفال. وخلال تلك الفترة تعرضت أوروبا إلى حروب دموية، بيد أن الأمر كان يتعلق بقتلة أوروبيين يذبحون بعضهم. فالرياضة الرئيسية فى أوروبا كانت، خلال قرون طويلة، أن يذبح بعضهم بعضاً، وإن توقف الذبح عام ١٩٤٥ لم يتعلق بأى حال من الأحوال بالديمقراطية أو فكرة ألا تحارب تلك الشعوب بعضها بعضاً، بل إن السبب الوحيد كان هو أنهم اقتنعوا أن أية لعبة جديدة من النوع ذاته تعنى إفناء العالم، لأن الأوروبيين، ونحن من ضمنهم، هم الذين اخترعوا أسلحة الدمار الشامل، ولذا كان على هذه اللعبة أن تتوقف. ويمتد هذا الأمر مئات السنين إلى الوراء. ففى القرن السابع عشر أُفنى ٤٠٪ من سكان ألمانيا فى حرب واحدة. لكن الأمر كان دائماً يتعلق بأن الأوروبيين كانوا يذبحون بعضهم بعضاً أو يذبحون شعوباً أخرى. فالكونغو لم تهاجم بلجيكا، ولا الهند هاجمت بريطانيا، كما أن الجزائر لم تهاجم فرنسا. وهذا النموذج كان عاماً منطبقاً فى كل الأحوال. ثانية أقول إنه توجد استثناءات قليلة لكنها على نطاق ضيق جداً، بحيث لا يمكن، حقاً، رؤيتها بالمقارنة بالأمثلة الكبرى على ما فعلته أوروبا وفعلناه نحن تجاه بقية العالم. هذا هو التغيير الأول، هذه هى المرة الأولى التى توجه فيها فوهة البندقية بالاتجاه المعاكس. وحسب رأيى فإن هناك سبباً مشابهاً لردود الفعل المختلفة لجوانب الصراع على ساحلى البحر الأيرلندى الأمر الذى لاحظته من خلال المقابلات التى أجريت معى فى إذاعات الجانبين. فالذى تنهال عليه السياط طوال مئات السنين يشعر بالألم بشكل مغاير تماماً عمن يقوم بالجلد. وهكذا ينقسم الناس إلى طائفتين. ولذا فإنى أرى أن الصدمة

والذهول أمر مفهوم فى أوروبا وتوابعها، مثل حالتنا. فهذا الحدث تاريخى ولكن عذراً فالأمر لا يتعلق بعدد الضحايا بل بمسألة أخرى. وهذا هو السبب فى أن جزءاً كبيراً من العالم يرى الأمر بشكل مغاير، ليس لكونهم لا يتعاطفون مع الضحايا أو لكونهم لا يشعرون بالمقت لما حدث، فالكل يشعر حقيقة بذلك، بل لأنهم يرونها من زاوية أخرى، وهو شئ نريد نحن معرفته.

■ س: ٣. ماذا يقصد بالحرب ضد الإرهاب؟

لندخل الآن فى السؤال الثالث وسؤال آخر جانبى «ما هو الإرهاب؟».

جرى وصف الحرب ضد الإرهاب على مستويات عليا بكونها كفاحاً ضد طاعون أو سرطان ينشرهما برابرة و «معارضون للحضارة نفسها». وأنا فى الحقيقة أقاسمهم الشعور ذاته بيد أن ما أقتبسه من كلمات هى للرئيس ريغان ووزير خارجيته. جاءت إدارة ريجان إلى السلطة قبل عشرين عاماً، وأعلنت بأن الحرب ضد الإرهاب العالمى هى حجر الزاوية فى سياستنا الخارجية ووصفت الإرهاب بتعابير من بينها تلك التى ذكرتها للتو. لقد كان ذلك حجر الزاوية فى سياستنا الخارجية. لقد ردت إدارة ريجان على السرطان الذى نشر معارضين فاسقين للحضارة من سابقاتها، اللواتى قمن بإرتكاب أفظع الأعمال الوحشية فى جميع أنحاء العالم، قسم منها فى مناطق قريبة منا جغرافياً، وليس هنا فقط. وسوف لن أدخل فى تفاصيل القائمة مستعيناً بأمثلة، فأنتم جميعاً ذوو تعليم عال، وقد مرت هذه الأمور عليكم فى الثانوية.

سأورد الآن مثالاً لا يختلف عليه اثنان، ولذا فلا حاجة للتشاجر حول ذلك. وهو على أية حال ليس المثال الأكثر سطوعاً، لكنه مثال لا خلاف عليه بسبب الأحكام التى من سلطات عالمية، هى محكمة العدل الدولية ومجلس الأمن. ولذا فهو لا خلاف عليه لدى الناس الذين يهمهم القانون الدولى وحقوق

الإنسان والعدالة وما شابه. وسأعطيكم الآن واجباً. يمكنكم تقدير حجم هذه الفئة من الناس ببساطة من خلال السؤال عن مدى تكرار ذكر تلك الحالة أو المثال المتفق عليه في التعليقات على الأخبار خلال الأشهر الأخيرة. وهذه الحالة مناسبة جداً، ليس فقط لكونها لا خلاف عليها بل لكونها تمثل سابقة تُظهر كيف رد بلد يلتزم القانون، في الواقع العلمي، على الإرهاب العالمي، وهو أمر يتفق الجميع ماذا يخص. وهذه الحالة تتعلق بإرهاب ١١ سبتمبر. أقصد هنا حرب ريجان والولايات المتحدة ضد نيكاراغوا التي أدت إلى قتل عشرات الآلاف من الناس، وتدمير بلد من أساسه بحيث أنه يصعب عليه أن يعود إلى حاله الطبيعي.

وقد ردت نيكاراغوا ليس من خلال تفجير قنابل في واشنطن بل من خلال نقل القضية إلى محكمة العدل الدولية، ولم يكن لديهم أية صعوبة في جمع الأدلة. وقد وافقت محكمة العدل الدولية على طلبهم برفع الدعوى وأصدرت حكماً لصالحهم. لقد أدين ما دعي «بالاستخدام غير الشرعي للقوة»، وهو في الحقيقة اسم آخر للإرهاب العالمي، من جانب الولايات. وقد جرى الطلب من الولايات المتحدة الكف عن نشاطها الإجرامي ودفع تعويض ضخم. وقد ضربت الولايات المتحدة طبعاً، عرض الحائط وباحتقار قرار محكمة العدل الدولية وأعلنت أنها لن توافق مستقبلاً على قرار محكمة العدل الدولية. وقد حدى هذا الأمر بنيكاراغوا إلى التوجه نحو مجلس الأمن الدولي الذي ناقش قراراً يدعو جميع الدول للانصياع للقانون الدولي. وقد استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو. من هذا نستنتج أن الولايات المتحدة هي البلد الوحيد الذي جرت إدانته من قبل محكمة العدل الدولية، وهي البلد الوحيد الذي استخدم حق الفيتو ضد قرار لمجلس الأمن يدعو الدول للانصياع للقانون الدولي. بعدها توجهت نيكاراغوا إلى الجمعية العامة، هناك حيث لا يوجد فيتو، لكن تصويتاً بالرفض من قبل الولايات المتحدة يعني فيتو. وقد اتخذت الجمعية العامة قراراً مشابهاً صوتت ضده الولايات المتحدة وإسرائيل والسلفادور. ثم أعيدت الكرة

ثانية لاستصدار قرار مشابه ولم تستطع الولايات المتحدة أن تضم إلى جانبها هذه المرة سوى إسرائيل. وهكذا كان هنالك صوتان ضد تطبيق القانون الدولى. ولم يبق بعد ذلك لدى نيكاراغوا أى سبيل قانونى لتسلكه، فقد استنفذت هى كل السبل القانونية فى عالم تسوده القوة. وكما قلنا فإن تلك الحالة لا يختلف عليها اثنان، لكنها بكل الأحوال ليست المثال الأفضل فنحن نتعلم شيئاً عن ثقافتنا ومجتمعنا وما يحدث الآن من خلال الاستفسار عن مدى معرفتنا بهذا الموضوع. فكم نناقش نحن هذا الموضوع؟ كم يكتب عنه فى الصفحات الأولى للجرائد؟ وهذه فقط البداية. فقد ردت الولايات المتحدة على محكمة العدل الدولية ومجلس الأمن بتصعيد الحرب بسرعة، وبالمناسبة فإن الجمهوريين والديمقراطيين كانوا متفقين عليه. وقد تغيرت أيضاً ظروف الحرب. فقد جرى لأول مرة إعطاء أوامر إلى الكونترا (الجيش الإرهابى) لمهاجمة ما يسمى بالأهداف الخفيفة، والتى تعنى الأهداف المدنية غير المحمية وتجنب الصدام مع الجيش النيكاراغوى، ولكون جيش المرتزقة كان مجهزاً بأجهزة اتصال متطورة. فلم يكن هذا الجيش جيش عصابات بالمعنى المتعارف عليه. وقد حصل على معلومات عن أماكن تواجد الجيش النيكاراغوى، بحيث استطاع مهاجمة المزارع الجماعية ومراكز العناية الصحية وغيرها، كما أنه كان معفياً من العقوبات. هكذا كانت الأوامر الرسمية.

ماذا كان رد الفعل؟ رد الفعل كان معروفاً جيداً. اعتبر الرأى العام اليسارى الليبرالى هذه السياسة عقلانية، ما يكل كنسلى مثلاً الذى يمثل اليسار فى مناظرات صحافة التيار السائد كتب قائلاً فى إحدى مقالاته: لا يجب علينا التسرع فى نقد هذه السياسة كما فعلت لجنة حقوق الإنسان HRW. ثم كتب يقول إن «السياسة المتعلقة» يجب أن «تكون قادرة على حساب التكاليف والأرباح». بمعنى آخر حساب «كمية الدم والشقاء المهدورين من جهة وإمكانية إقامة الديمقراطية من جانب آخر». والديمقراطية هنا تعنى المفهوم الأمريكى للمصطلح، وهو أمر ينعكس فى البلدان المجاورة. لاحظوا أن هناك أمراً بديهياً

لدى النخبة السلطوية الأمريكية وهو أنها تملك الحق فى القيام بحساب كهذا وفى تنفيذ المشاريع التى تنجح فى اجتياز اختيارها هى، وقد نجح ذلك. فحين خضعت نيكاراغوا فى النهاية لهجوم القوة العظمى، أطرى المعلقون بشكل مفتوح وبفرح على الطريق المستخدمة ووضعوها بشكل صحيح، وسأقتبس الان من تايم ماغازين شيئاً للمثال فقط، فقد امتدحوا نجاح الطرق المستخدمة «فى تدمير الاقتصاد والقيام بحرب طويلة ومدمرة من خلال وكلائهم إلى الحد الذى يجعل الأهالى المتعبين أنفسهم يطيحون بالحكومة التى لا يرغبون فيها»، وبثمن هو بالنسبة لنا «بخس» بينما يعنى للضحية «جسوراً مهدمة، ومحطات طاقة مدمرة، ومزارع مخربة» ومن خلال ذلك تستطيع الولايات المتحدة دعم مرشح الرئاسة «بمسألة يمكن من خلالها ربح الانتخابات». «إنهاء فقر الشعب النيكاراغوى». كان أحد العناوين الكبرى فى نيويورك تايمز ما يلى «نحن متحدون فى السراء» بفضل هذه النتيجة. هذه هى الثقافة التى نعيش نحن تحت كنفها، وهى تفضح كل شئ. فهى تكشف أولاً أن الإرهاب أسلوب ناجح، والقوة أسلوب ناجح بشكل عام. وهكذا يبدو تاريخ العالم. ثانياً: إنه لخطأ فادح حين نحلل قائلين - وهو أمر يفعله الكثير - إن الإرهاب هو سلاح الأقوياء، بل فى الحقيقة سلاحهم الهائل. وهو يعتبر سلاح الضعفاء بسبب كون الأقوياء يسيطرون على الأيديولوجية التى تجعل إرهابهم لا يعتبر إرهاباً. وهذا الأمر يصلح على الدوام، ولا أستطيع فى الحقيقة أن أعثر على مثال يستثنى من القاعدة، فالعالم ينظر حتى إلى أعتى السفاحين بهذه الطريقة. خذ النازيين مثلاً، فهم لم يقوموا بممارسة الإرهاب حين احتلوا عدة بلدان أوروبية بل إنهم دافعوا عن السكان المحليين ضد إرهاب الأنصار. كذلك اعتبرت أفعال منظمات المقاومة الأخرى أعمالاً إرهابية. لقد قام النازيون بفعل مضاد للإرهاب وقد وافقت الولايات المتحدة على هذا الرأى. فبعد الحرب درس الجيش الأمريكى بدقة عمليات الجيش النازى المضادة للإرهاب فى أوروبا. ويجدر بنا القول إن الولايات المتحدة حاربت غالباً حركات المقاومة ذاتها التى

حاربها النازيون. وقد درس الجيش طرق النازيين ونشر دراسات مهمة انتقدت العمليات لكونها أُنجزت بشكل غير فعال، أى أن التحليل كان تحليلاً نقدياً: هنا لم تفعلوا الصواب. وقد أصبحت هذه الطرق، التى جُلبت مع الجنود النازيين، كتباً تعليمية لمكافحة الانتفاضات والإرهاب والصراعات الخفيفة، كما أسموها، ولازالت هذه الكتب التعليمية والطرق تستخدم حتى الآن. ولذا فإنه ليس النازيون وحدهم من قام بذلك. فالإرهاب ليس سلاح الضعفاء، بل إنه سلاح من يقف «ضدنا» بغض النظر عن من «نحن». وإذا اهتديتم إلى استثناء تاريخى فإنى أريد بكل سرور رؤيته. إن من الشواهد المثيرة للانتباه حول الكيفية المبنية عليها ثقافتنا هى الطريقة التى تنظر بها للأشياء. إنها طريقة نصمت فيها على كل شئ. فأنا لم أسمع أحداً تحدث عن ذلك. كما أن ماكنة الدعاية الأمريكية والسلطة الأيديولوجية من القوة بحيث أن الأمر معروف دائماً حتى لدى الضحايا. أقصد أنه حين نذكر الأرجنتينيين بذلك يقولون «أجل، بالضبط، لقد حدث ذلك لكننا نسينا». فيا للكبح العميق. فالتأثيرات المباشرة لاحتكار القوة قد تكون مؤثرة إلى درجة أنها تؤثر عميقاً فى المجال الأيديولوجى وفى مجالات أخرى. هناك جانب واضح من موقفنا من الإرهاب ألا وهو رد الفعل تجاه فكرة إمكانية نيكاراغوا فى استخدام حقها فى الدفاع عن نفسها. ولقد بحثت فى الحقيقة هذا الموضوع بشكل مفصل من خلال المعلومات الكومبيوترية وغيرها. ففكرة حق نيكاراغوا فى الدفاع عن نفسها تبدو وكأنها جريمة كبرى. فلا يوجد أى شئ فى تعليقات صحافة التيار السائد يشير إلى كون نيكاراغوا تملك الحق فى الدفاع عن نفسها. واستغل هذا الأمر من قبل إدارة ريجان وآلة دعايتها بشكل يثير الانتباه. فالذين عاصروا تلك الحقبة يتذكرون بأن الإدارة كانت بين آونة وأخرى تبث شائعات عن أن نيكاراغوا بدأت بالحصول على طائرات ميج من روسيا. وقد حدث فى تلك الفترة انشقاق بين الصقور والحمائم فالصقور قالوا «حسناً لنقصفهم إذن»، بينما قالت الحمائم «انتظروا لنرى ما إذا كانت الشائعات صحيحة، فإذا صدقت الشائعات نقوم

حينها بقصفهم، لأنهم يشكلون تهديداً للولايات المتحدة». لماذا بالمناسبة جهزت نيكاراغوا نفسها بطائرات الميج؟ نعم. لقد حاولوا شراء طائرات من بلدان أوروبية، لكن الولايات المتحدة مارست ضغوطاً على هذه البلدان الحليفة كى لا تبيع تجهيزات تدافع نيكاراغوا بها عن نفسها. وفى الحقيقة فإن الولايات المتحدة أرادت منهم الالتجاء إلى الروس، وهو أمر يسند الدعاية، إذ يصبح حينها خطراً يتهددنا. فلا تنسوا أنهم يبعدون مسيرة يومين عن هارلنغين Har-lingen فى تكساس. وقد أعلنّا فى الحقيقة حالة الطوارئ فى البلاد عام ١٩٨٥ لحماية البلاد من التهديد الذى مثلته حينها نيكاراغوا، وقد تم تطبيق ذلك. ولذا فقد كان الأمر سيصبح أفضل بكثير لو حصلوا على أسلحة روسية. لماذا كانوا يريدون الحصول على طائرات نفاثة؟ للأسباب نفسها التى ذكرتها. فالولايات المتحدة كانت تسيطر على المجال الجوى النيكاراغوى ومن خلال ذلك كانت تجهز جيش الإرهاب بالمعلومات مما مكنهم من تنفيذ هجماتهم على الأهداف الخفيفة، دون أن يصطدموا بالجيش الذى كان يدافع عنها. فالكل كان يعرف أن ذلك هو السبب، فهم لم يريدوا استخدامها لأسباب أخرى. لكن فكرة السماح لنيكاراغوا بالدفاع عن مجالها الجوى ضد القوة العظمى المهاجمة التى توجه القوات الإرهابية لمهاجمة الأهداف غير المحمية، يعتبر فى الولايات المتحدة أمراً مخز، وفى هذه النقطة بالذات لا يختلف اثنان. أما الاستثناءات فقليلة جداً بحيث يمكن تعدادها على أطراف الأصابع. وأنا لا أريد منكم أن تقتنعوا فقط بما أقوله، بل يمكنكم أنتم البت فى الموضوع بأنفسكم. فقد دخل فى الموضوع، بالمناسبة، سيناتورات من هنا فى ماسوشيتس.

يوجد مثال آخر جلى على الطريقة التى ننظر بها إلى الإرهاب، ألا وهو ما يحدث الآن. فقد عينت الولايات المتحدة قبل أسبوعين سفيراً فى الأمم المتحدة مهمته قيادة الحرب ضد الإرهاب . من هو؟ اسمه جون نيغرو بونته. لقد كان سفيراً للولايات المتحدة فى الإقطاعات الأمريكية التى هى عملياً الهندوراس. وذلك فى بداية الثمانينيات. لقد حدثت ضجة ما حول كونه يعلم حتماً . وهو

حتماً يعرف - بعمليات القتل الواسعة وغيرها من الأعمال الوحشية التى قامت بها قوات الأمن الهندوراسية والتى كنا ندعمها. بيد أن ذلك كان جزءاً بسيطاً من الموضوع كله. فبصفته قنصل فى الهندوراس - وهذا كان اسمع فعلاً - كان هو المراقب المحلى للحرب الإرهابية التى كانت تُشن من قواعد فى الهندوراس ضد نيكاراغوا، وبخصوصها جرت إدانة حكومته من قبل محكمة العدل الدولية ثم من قبل مجلس الأمن فى قرار أوقفت الولايات المتحدة تنفيذه. والآن جرى تعيينه سفيراً فى الأمم المتحدة ليقود الحرب ضد الإرهاب.

ويمكنكم إجراء تجربة لمعرفة ردود الفعل على هذا الحدث. ويمكننى أن أخبركم بما ستكتشفونه، لكن جربوا على أية حال بأنفسكم، فهذا الأمر سيكشف جزءاً عما يخص الحرب ضد الإرهاب وجزءاً عما يخصنا نحن.

لقد دُمِّرت نيكاراغوا بشكل كبير فى الثمانينيات، لكن منذ أن سيطرت الولايات المتحدة على البلد بالشروط التى جرى تزويقها من قبل الصحافة، فإن البلد انهار من مختلف الجوانب. فمن الناحية الاقتصادية تراجعت نيكاراغوا منذ أن سيطرت عليها الولايات المتحدة، بل حتى من ناحية الديمقراطية ومن نواح أخرى. وهى الآن البلد الثانى من ناحية الفقر فى النصف الثانى من الكرة الأرضية. وسوف لن أتحدث عن هذا الموضوع لكن أضرب نيكاراغوا كمثال بسبب كونها حالة لا خلاف عليها. ولو ألقينا نظرة على الدول الأخرى فى المنطقة، فإن إرهاب الدولة كان أشد فظاعة وتقود خيوطه إلى واشنطن وهى مسألة لم تنته بعد.

وتحدث أشياء مشابهة فى أجزاء أخرى من العالم مثل أفريقيا. فتحت إدارة ريجان فقط قادت جنوب أفريقيا هجمات ضد البلدان المجاورة لها، مدعومة من الولايات المتحدة وبريطانيا مما أدى إلى قتل مليون ونصف المليون من البشر. كما أدى ذلك إلى حدوث تدمير قيمته ٦٠ مليار دولار وتدمير للبلدان التى جرت مهاجمتها. كما أننا نجد أمثلة مشابهة فى أجزاء أخرى من العالم.

لقد كانت هذه الحرب هى الأولى على الإرهاب التى ضربتُ أمثلة عليها. فهل هنالك من معنى أن نكرس اهتمامنا بها؟ أم هل هناك اعتقاد بكون ذلك مناسباً؟ فحين ندرس الأمر فى واقعه نجد أنه يتعلق بالماضى. لا، لن نفعل ذلك بالتأكيد، وهو أمر مفهوم من خلال النقاش الحالى حول الحرب على الإرهاب، والذى كان المادة الرئيسية خلال الأشهر الأخيرة.

لقد ذكرت أن نيكاراغوا أصبحت الآن البلد الثانى فى مستوى الفقر فى نصف الكرة الغربى. من هو البلد الأكثر فقراً؟ إنه هاييتى بالتأكيد. فهى كانت ضحية للاجتياح الأمريكى الأكبر على الإطلاق فى القرن العشرين. لقد تركنا بلداً مخرباً تماماً. وهى الآن البلد الأكثر فقراً. وتتنازع هى ونيكاراغوا على هذا الموقع، فهما يتبادلان المواقع كل سنة أو سنتين فى مسألة من هو أكثر فقراً. كما أنهما تتسابقان فى مسألة من هو الهدف الأول للاجتياح العسكرى الأمريكى. والهدف هو جعلنا نعتقد أن ذلك مجرد مصادفة، أى أن ما حدث ليس له علاقة بالأحداث التاريخية.

تعتبر كولومبيا البلد الذى ارتكب أفظع الانتهاكات لحقوق الإنسان فى التسعينيات وباختلاف نوعى عن الدول الأخرى. كما أن هذا البلد هو الأكبر فى استلام المعونات العسكرية فى المنطقة خلال العقد نفسه الأمر الذى أدى إلى استمرار الانتهاكات ضد حقوق الإنسان واستمرار الإرهاب. وفى سنة ١٩٩٩ احتلت تركيا موقع كولومبيا كونها المستلم الأكبر للأسلحة الأمريكية فى العالم كله، لو استثنينا إسرائيل التى تمثل فئة مستقلة. ومن هذا نستنتج الكثير عن الحرب القائمة الآن على الإرهاب.

لماذا حصلت تركيا على هذا الكم الهائل من الأسلحة الأمريكية؟ كانت تركيا دائماً فى موقع متقدم من ناحية استلام كميات كبيرة من الأسلحة الأمريكية. فالبلد يملك موقعاً استراتيجياً كما أنه عضو فى الناتو وغير ذلك من الأسباب. لكن شحنات الأسلحة إلى تركيا ازدادت بشكل هائل منذ عام ١٩٨٤، فى ذلك

حيث بدأت بوادر الانهيار على الاتحاد السوفيتى. ما الذى حدث بين عامى ١٩٨٤ و ١٩٩٩؟ بدأت تركيا عام ١٩٨٤ حرباً إرهابية شاملة ضد الأكراد فى جنوب شرقى تركيا. وفى ذلك الوقت بالذات ازدادت مساهمة الولايات المتحدة العسكرية. ولم تكن تلك المساعدات على مستوى المسدسات بل الطائرات المقاتلة والعربات المدرعة والتدريب العسكرى وغيرها. وكلما ازدادت الأعمال الوحشية فى التسعينيات ازدادت معها المساعدات إلى أن وصلت الحرب الإرهابية إلى قمتها عام ١٩٩٧. فخلال عام ١٩٩٧. فخلال عام ١٩٩٧ كانت المساعدات بين ١٩٥٠ ـ ١٩٨٣ ـ أى حقبة الحرب الباردة ـ مما يظهر مدى أهمية الحرب الباردة للسياسة المتبعة. وهكذا كانت النتيجة مرعبة. لقد أدى ذلك إلى تهجير ٢ ـ ٣ ملايين إنسان فى أكبر عملية تطهير عرقى خلال نهاية التسعينيات. وقد قتل عشرات الآلاف من الناس ودمرت ٣٥٠٠ مدينة وقرية، وهو عدد أكبر بكثير مما فى كوسوفو تحت قصف الناتو. وقد جاء ٨٠٪ من مجموع الأسلحة المصدرة من الولايات المتحدة، وإزداد ذلك التصدير كلما تصاعدت الأعمال الوحشية حتى وصل قمته عام ١٩٩٧. وقد انخفض تصدير الأسلحة لأن الإرهاب فعل إذ جرى تنفيذه من قبل أكبر الإرهابيين أى الأقوياء.

رقد بدا واضحاً أن الإرهاب التركى ـ والذى جرت تسميته طبعاً بالحرب على الإرهاب، كما هو الحال دائماً ـ فعل فعله عام ١٩٩٧. ولذا تمت الاستعاضة عن تركيا بكلومبيا التى لم تكن قد وفقت بعد فى حربها الإرهابية، ولذا كان ضرورياً أن تحتل الموقع الأول فى حجم الإمدادات من الأسلحة الأمريكية.

أما ما يجعل هذه المسألة ملفته للنظر بشكل غير طبيعى، فهو كون كل ذلك حدث متزامناً مع موجات عارمة من الغرور لدى المثقفين الغربيين قد لا نجد مثيلاً لها فى التاريخ. وأنتم جميعاً تتذكرون ذلك، لأنه حدث قبل سنتين فقط، هذا الإعجاب بالذات تجسد فى مسألة كوننا أمة عظيمة ـ لأول مرة فى التاريخ ـ تدافع عن المبادئ والقيم، وإننا مصممون على وضع حد للأعمال الوحشية فى أى مكان من العالم فى هذه الحقبة الجديدة إلخ. ويبدو أننا لا

نطيق فى الحقيقة أعمالاً وحشية على حدود الناتو. وقد جرى تكرار ذلك مرات ومرات. ونحن ليس فقط لا يمكننا أن نطيق أعمالاً وحشية فى داخل حدود الناتو، بل إننا أنفسنا نصعدها.

والأمر الذى يعطينا ثانية انطباعاً عن الحضارة الغربية وحضارتنا هو السؤال التالى: كم مرة جرى طرح هذا الموضوع؟ ابحثوا فى الأمر فإننى لن أكرره ثانية، فهو يعلمنا الكثير. ويا لها من إدارة بارعة للدعاية تجعل هذه الأشياء تمر على الناس فى مجتمعات حرة، إنه حقاً لأمر مذهل. فأنا لا أعتقد أن الأمر سيحالفه النجاح فى أنظمة شمولية. أما تركيا فإنها تشعر بالامتنان. فقبل بضعة أيام فقط أعلن رئيس الوزراء بولند أجاويد أن تركيا ستنضم إلى التحالف المعادى للإرهاب بحماس هو أكثر مما لدى أى بلد آخر. لقد قال هو فى الحقيقة إن تركيا ستقدم دعمها من خلال إرسال جيش، الأمر الذى لم تكن البلدان الأخرى موافقة على فعله. وقد أوضح هو السبب حين قال: نحن نقف فى موقف الامتنان للولايات المتحدة، إذ أنها البلد الوحيد الذى كان دائماً راغباً فى مدّنا بالمعونات الضخمة فى ما سماه هو حربنا «ضد الإرهاب»، أى التطهير العرقى الشامل والأعمال الوحشية والإرهاب الذى قمنا به نحن. لقد قدمت البلدان الأخرى القليل من الدعم لكنها بقيت مختبئة خلف الكواليس. دعمت الولايات المتحدة من جانبها وبحماس وبشكل حاسم، وقد أمكن تنفيذ ذلك بفضل الصمت - أو لربما بتعبير أفضل الخنوع - الذى أبدته الفئات المثقفة، التى كان بإستطاعتها بسهولة معرفة ما يجرى، كونها تعيش فى بلاد تسودها الحرية على أية حال. ويمكنكم قراءة التقارير المتعلقة بحقوق الإنسان، بل يمكن قراءة الكثير من الأشياء، لكننا اخترنا دعم الأعمال الوحشية ولهذا كانت تركيا ممتنة لنا، ولذلك تُكافئنا الآن ببعث قوات، تماماً كما فعلت فى الحرب ضد صربيا. لقد انهال المديح على تركيا كونها استعملت طائرات اف - ١٦ التى جهزناها نحن بها، كى تقصف صربيا بالطريقة نفسها التى استخدمتها فى قصف مواطنيها، إلى الحد الذى مكّنها أخيراً من سحق ما سمته هى الإرهاب

الداخلى. وكما هو الحال عادة ودائماً فإن المقاومة تضم فى داخلها إرهابيين. هكذا كان الحال خلال الثورة الأمريكية، وهكذا كان الأمر فى جميع الأمثلة التى أعرفها. وبالضبط كما هو الحال دائماً فإن من يحتكرون القوة يسمون الإرهاب الذى يقومون به بحرب ضد الإرهاب. وهذا الأمر مثير للدهشة وله علاقة بما يجرى تشكيله الآن من تحالف ضد الإرهاب. وإنه لمن المثير معرفة كيف سيجرى وصف هذا التحالف. اقرأوا مثلاً عدد اليوم من كرستيان ساينس مونيتور، والتى تعتبر جريدة جيدة، فهى واحدة من أفضل الصحف فى العالم، وهى تراقب بشكل منقطع النظير الأحداث العالمية. فالموضوع الرئيسى فيها والذى تصدّر الصفحة الأولى يتحدث عن الفرح الغامر لدى الناس عن الطريقة التى تقود فيها الولايات المتحدة الحرب ضد الإرهاب. فقد تعودوا على كره الولايات المتحدة لكنهم بدأوا الآن يحترمونها. والمثل الأفضل - وهو فى الحقيقة المثال الوحيد الجدير بالاحترام (فالأمثلة الأخرى مضحكة ليس إلا) - هو الجزائر. يبدو أن الجزائر متحمسة لحرب الولايات المتحدة ضد الإرهاب. كاتب المقال هو خبير فى الشئون الأفريقية، ولذا فإنه يعرف بلا شك أن النظام فى الجزائر هو من أشد الأنظمة وأكثرها تحفظا فى العالم . وقد جرى التستر على ذلك لفترة، بيد أنه تم كشفه فى النهاية فى فرنسا بواسطة أحد الذين هربوا من الجيش الجزائرى. ويُكتب الآن عن ذلك الكثير فى انكلترا وغيرها. أما نحن فإننا فخورون لكون إحدى أعتى الدول فى ممارسة إرهاب الدولة ترحب بحماس بحرب الولايات المتحدة ضد الإرهاب، بل وحتّى تشجع الولايات المتحدة على بدء الحرب. وهذا يظهر كيف يتصاعد رصيدنا الجماهيرى.

ولو نظرنا إلى التحالف الذى فى طريقه إلى التشكُّل لتعلمنا الكثير. فإحدى الدول التى تتبوأ مكاناً مهماً فى التحالف هى روسيا التى يغمرها الإعجاب كونها تحصل على دعم أمريكى لحربها الدموية فى الشيشان، بدلاً من أن يوجه إليها النقد بين الحين والآخر. وتتحمس الصين كذلك ويغمرها الإعجاب كونها تحصل على دعم لأعمالها الوحشية فى مقاطعاتها الغربية ضد ما تسميهم

الانفصاليين الإسلاميين. وتنظر تركيا، كما ذكرت، بعين الرضا إلى الحرب ضد الإرهاب، فكلهم متمرسون فى المسألة. أندونيسيا أيضاً تنظر بعين الإعجاب إلى الدعم الأمريكى لما تمارسه من فظاعات فى آشية وفى أماكن أخرى. ويمكننا تناول القائمة الكاملة للدول التى انضمت إلى التحالف المعادى للإرهاب فهى قائمة مثيرة جداً.

الجميع يملكون سمة مشتركة ألا وهى أنهم جميعاً بلا شك الأول فى أننا نفهم ذلك. فما هو إذن؟ توجد بالتأكيد أجوبة بسيطة على السؤال. يوجد تعريف رسمى فى القانون الأمريكى أو فى كتب التعليمات العسكرية Manual. هناك تعريف مختصر مأخوذ من إحدى كتب التعليمات العسكرية وهو معقول بما فيه الكفاية. يُعرّف الإرهاب بكونه الاستخدام المتعمد للقوة أو التهديد باستخدامها بهدف تحقيق أهداف سياسية أو دينية أو أيديولوجية من خلال التهديد أو الإكراه أو الإخافة. هذا هو الإرهاب. وهو تعريف معقول. وأنا فى الحقيقة أعتبره معقولاً بحيث أننى أقتنع به. لكن المشكلة أنه لا يمكن الاقتناع به دون أن يترتب على ذلك نتائج سلبية. وتبذل الآن جهود كبيرة لصياغة اتفاقية شاملة حول الإرهاب. فقد لاحظتم حتماً أن تقارير ذكرت أن كوفى أنان قال، إبان تسلمه جائزة نوبل للسلام، بأننا يجب أن نكف عن إضاعة الوقت فى هذه المسألة دون أن نرتب الأمور لإكمالها.

بيد أن هنالك مشكلة. فلو استخدمنا التعريف الرسمى ضمن اتفاقية شاملة لوصلنا إلى نتيجة خاطئة، وهذا هو السبب الذى لا يخرجها إلى حيز الواقع. وفى حقيقة الأمر فإن المسألة أسوأ من ذلك. فإذا دققنا فى تعريف مصطلح الحرب الخفيفة، والذى يعتبر خطاً سياسياً رسمياً للحكومة الأمريكية، لاكتشفنا أنه يتضمن المحتوى ذاته الذى يحمله ما قرأته أمامكم الآن، أى أنه فى الحقيقة ليس سوى تعبير آخر للإرهاب. وهذا هو السبب، على ما أعتقد، فى أن جميع الدول تسمى عملياتها المروعة بالعمليات المضادة للإرهاب، أما نحن فنسميها «مكافحة الانتفاضات» أو «الصراعات الخفيفة». ولا يمكن

استخدام التعريفات الحقيقية، لأنه يجب البحث عن تعريف لا يؤدى إلى نتائج خاطئة. توجد بالإضافة إلى ذلك، مشاكل أخرى، برز قسم منها عام ١٩٨٧ حيث وصلت الحرب الأولى ضد الإرهاب ذروتها، حين وصل الهياج حول هذا الوباء قمته. وقد اتخذت الجمعية العامة قرار حاد اللهجة ضد الإرهاب أدان بحدة هذا الوباء وأهاب بجميع الدول مكافحته بكل الطرق المتاحة. وقد تم اتخاذ قرار بالإجماع، بينما امتنعت الهندوراس عن التصويت، وصوتت ضده دولتان هما بكل تأكيد الولايات المتحدة وإسرائيل. ما الذى يدعو إسرائيل والولايات المتحدة إلى التصويت ضد قرار بهذه الشمولية، يدين الإرهاب بعبارات قوية، بالقوة نفسها التى استخدمتها إدارة ريجان لإدانة الإرهاب؟ يوجد تفسير لذلك. توجد فى هذا القرار الشامل فقرة مفادها أن القرار لا يسلب حق الاستعانة بقوى خارجية ودول أخرى من قبل الذين يناضلون من أجل نيل حقوقهم من الأنظمة العنصرية أو الاستعمارية أو الاحتلال العسكرى الأجنبى. وهذا أمر لا تقبله الولايات المتحدة وإسرائيل. وقد كان السبب الرئيس حينها جنوب أفريقيا، التى كانت متحالفة معهما. وهى تملك قوة إرهابية: الاتحاد الوطنى الأفريقى، الذى سموه علناً بالقوة الإرهابية، ومن ناحية أخرى كانت جنوب أفريقيا متحالفة معنا، ولم يكن بإمكاننا دعم عمليات تقوم بها مجموعة إرهابية ضد نظام عنصرى، فهذا الأمر غير ممكن.

توجد بالتأكيد أسباب أخرى ألا وهى المناطق المحتلة من قبل إسرائيل، وهو احتلال دام ٣٥ عاماً. ويجرى دعم هذا الاحتلال من قبل الولايات المتحدة التى وضعت العصى فى عجلة أى حل دبلوماسى خلال ثلاثين عام، ولازالت مستمرة فى ذلك. ويوجد سبب آخر وهو أن إسرائيل احتلت جنوب لبنان. وقد جرت مقاومتها من قبل ما سمته الولايات المتحدة بالقوة الإرهابية ألا وهو حزب الله الذى نجح أخيراً فى طرد إسرائيل من لبنان. فنحن لا نسمح لأحد أن يقاتل احتلالا حين يكون هذا الاحتلال مدعوماً من قبلنا. هذه هى الأسباب التى دعت الولايات المتحدة وإسرائيل لأن تصوت ضد القرار الذى يدين الإرهاب

والصادر من قبل الأمم المتحدة. وكما ذكرت مسبقاً فإن رفض الولايات المتحدة، فى ظرف كهذا، التصويت على القرار هو بمثابة الفيتو. وهذا هو نصف القصة فمحاولة ذكر هذا الموضوع فى كتب التاريخ ستواجه فيتو. فلم يُكتب عن هذا الموضوع فى أى مكان ولا أية صحيفة، ولم يُذكر فى الكتب التى تعالج تاريخ الإرهاب. فلو راجعنا الكتب الأكاديمية المتخصصة فى تاريخ الإرهاب فلن نجد حرفاً واحداً عما ذكرت. وتوضيح ذلك يكمن فى أن أشخاصاً غير مناسبين يمسكون بالأسلحة. فيجب تعديل التعريفات حتى أصغر وتصحيح المعلومات التاريخية فى الكتب الأكاديمية وغيرها كى يمكن الوصول إلى استنتاجات صحيحة، وإلا فإن عالم البحوث والصحافة سيفقدان هيبتهما واحترامهما. هذه مجموعة من المشاكل التى تعيق الجهود المضنية لصياغة اتفاقية شاملة بصدد الإرهاب. فقد يكون لزاماً علينا عقد مؤتمر أكاديميا أو ما شابه لنعرف إذا ما كان بمقدورنا الوصول إلى تعريف للإرهاب يقود إلى جوانب صحيحة. وهذه مهمة شاقة.

■ س: ٤ . ما هى خلفيات الجريمة التى حدثت يوم ١١ سبتمبر؟

لنترك الموضوع ونعرج إلى السؤال الرابع. هنا يجب عدم الخلط بين فئتين الأولى هى المنفذون الحقيقيون للجريمة، والثانية هى المصادر التى ينطلق منها التعاطف أو الدعم حتى بين الناس الذين يعارضون بشدة المجرمين وأفعالهم. ويتعلق هذا الأمر بمسألتين مختلفتين.

فيما يخص المنفذين فإننا لا نعرف بالضبط من هم. فالولايات المتحدة لربما لا تعرف أو لا تريد تقديم أدلة قاطعة حول ذلك. وقد حدث ما يشبه الحركة الاستعراضية قبل أسبوعين حين دُعى تونى بلير لمحاولة تقديم أدلة. ولا أعرف

بالحقيقة ماذا كان المقصود من كل ذلك. فلربما كان المقصود أن الولايات المتحدة تملك أدلة لا يمكنهم الكشف عنها، أو أنه أريد لتونى بلير الظهور بهيئة تذكر بتشرشل أو لهدف آخر، وبغض النظر عن أهداف الدعاية فإن ما فعله كان يعتبر أمراً غريبا بين الناس الجديين، بحيث أنه لا يستحق الذكر. ففى الوول ستريت جورنال، التى تعتبر جريدة محترمة، ورد فى صفحة ما مقالة صغيرة أكدت أنه لا توجد فى الحقيقة الكثير من الأدلة. ثم اقتبست قولاً لأحد كبار المسئولين الأمريكان قال فيه إنه لا يهم إن كانت توجد أدلة أم لا، لأنهم سيقومون بالهجوم بكل الأحوال. لماذا إذن هذا الاهتمام بالأدلة؟ تصدرت صفحات الجرائد الموجهة بشكل أيديولوجى كنيويورك تايمز وغيرها، عناوين كبيرة بينما كان رد فعل الوول ستريت جورنال عقلانياً، لأنه لو محصنا فيما يسمى بالأدلة لفهمنا لماذا كان موقفها كذلك. أنا أستغرب فى الحقيقة لماذا كانت الأدلة ضعيفة إلى هذا الحد. فقد كنت أعتقد أنه كان بالإمكان العثور على أدلة أكثر مما جرى تقديمه، دون الحاجة إلى مجهود مخابراتى. ولا تنسوا أن هذه الأدلة قدمت بعد عدة أسابيع وبعد تحقيقات مكثفة هى الأكبر من نوعها فى تاريخ المخابرات العالمية التى عملت ليلاً ونهاراً كى تجمع هذه الأدلة، وكانت كلها من النوع البديهى أو أدلة الدرجة الأولى. فقد كانت هناك أدلة قوية جداً حتى قبل جمع أى شئ. وهكذا انتهى كل شئ كما بدأ، أى بأدلة الدرجة الأولى. لنفترض كما قلنا أن الأدلة صحيحة. ولنفترض - وقد كان ذلك واضحاً منذ اليوم الأول، ولازال كذلك - أن المنفذين يتحدرون من الراديكاليين الإسلاميين، أو الذين يسمون هنا بالأصوليين، وهى شبكات، تشكل شبكة بن لادن بلا شك قسماً مهماً منها. ولا يعرف أحد مدى اشتراكهم، كما أن ذلك لا يلعب دوراً مهماً. هذه هى الخلفية. تلك الشبكات. كيف نشأت؟ نحن نعرف كل شئ عن ذلك. فلا أحد يعرف أكثر من السى. آى. إيه ومعاونيها لأنها هى التى ساعدت فى تنظيمهم ودعمهم خلال فترة طويلة، وقد جرى تجميعهم من قبل السى. آى. إيه. فى الثمانينيات وساعدها فى ذلك الباكستان وبريطانيا

وفرنسا وبعض الدول العربية والصين التى قد تكون لها يد فى ذلك قبل تلك الفترة لربما منذ ١٩٧٨ فصاعداً. وقد كان الهدف أزعاج الروس، العدو المشترك. وطبقاً لما قاله مستشار الرئيس كارتر بريجنسكى فإن الولايات المتحدة كانت لها يد فى الأمر منذ منتصف عام ١٩٧٩. فكما تذكرون، وكى لا نختلف على التواريخ، فإن الإتحاد السوفييتى اجتاح أفغانستان فى ديسمبر ١٩٧٩ وحسب بريجنسكى فإن الدعم الأمريكى للمجاهدين الذين قاتلوا الحكومة بدأ قبل ستة أشهر من ذلك التاريخ. ويفتخر هو بذلك، حيث يقول لقد خدعنا الروس وأوقعناهم فى المصيدة الأفغانية. وهكذا طورنا هذا الجيش الرائع من المرتزقة وهو ليس جيشاً صغيراً بل ما يقارب المئة ألف رجل. وقد كانوا يسمون «بالأفغان»، لكن أكثرهم، وبن لادن واحد منهم، لم يكونوا أفغاناً. لقد جلبوا من قبل السى. آى. إيه. وأصدقائها فى البلدان الأخرى. ولا أعرف مدى صحة أقوال بريجنسكى. فقد يكون قد قال ذلك متفاخراً، فهو فخور بما فعله وكان يعرف ما هى النتائج المستقبلية. فقد يكون ذلك صحيحاً، لكن ستعرف الحقيقة حين يجرى إعلان الوثائق يوما ما. هذا على أية حال مفهومه عن الموضوع. ولا يوجد شك فى أن الولايات المتحدة إبتداء من يناير ١٩٨٠ بدأت بتنظيم «الأفغان»، وهذه القوة الضاربة بهدف خلق أكبر قدر من المشاكل للروس. لقد كانت مقاومة الأفغان للروس مسألة مشروعة، لكن التدخل الأمريكى لم يساعد الأفغان فهو ساهم فى الحقيقة فى تدمير البلاد وغير ذلك من المشاكل. لقد تم فى النهاية إجبار الروس وقد وضعت القوات المناوئة، التى نظمتها ودربتها وسلحتها السى. آى. إيه، جدولها الخاص منذ الوهلة الأولى. ولم يكن هذا سراً، فقد كان المهمة الأولى على جدول أعمالهم والتى جرى تنفيذها هى اغتيال الرئيس السادات عام ١٩٨١، وهو كان أحد المتحمسين لتأسيسهم. وفى عام ١٩٨٣ طرد أحد الإنتحاريين. الذى قد يكون له علاقة بهم، ولربما لا، فهذا الأمر مبهم حتى الآن ولا أحد يعرف. الجيش الأمريكى من لبنان. ولازال الحبل على الغارب فهم يسيرون على جدول

يخصهم. ولقد أرادت الولايات المتحدة من خلال تأسيسهم أن تستخدمهم لصالح أهدافها الخاصة لكنهم فى الوقت نفسه نفذوا أهدافهم هم. فبعد ١٩٨٩ حين انسحب السوفييت توجهوا هم إلى أماكن أخرى. فقد قاتلوا فى الشيشان وغرب الصين والبوسنة وكشمير وجنوب شرقى آسيا وشمال أفريقيا وفى أى مكان يرد على البال. وهم يتحدثون بشكل لا لبس فيه عن مخططاتهم.

بيد أنه من المهم سماع ما يقوله بن لادن فهناك وفرة من المقابلات، وهناك مقابلات أجريت من قبل صحفيين أوروبيين لامعين، إذا لم يرغب البعض بسماع آرائه هو، ومن هؤلاء الصحفيين روبرت فسك وغيره. وقد كانت تصريحاته متماسكة خلال فترة طويلة، وقد لا يكون وحيداً فى ذلك، بيد أنه لربما الأبلغ بين متحدثيهم. ولا تتصف أقواله بالتماسك المنطقى فقط بل إنها مقرونة بالأفعال، ولذا فيجب أخذها بكل جدية. فعدوهم الأول كما يقولون هو الأنظمة العربية،

وحين يعلنون ذلك يأتيهم الجواب مباشرة من المنطقة. وهم يريدون استبدال هذه الأنظمة بأنظمة إسلامية، وحينها يفقدون تأييد الناس فى المنطقة، فحسب وجهة نظرهم هم يريدون الدفاع عن المسلمين فى كل مكان. فهم يمقتون الروس كما يمقتون الطاعون، ولكن حين انسحب الروس من أفغانستان أوقفوا هم عملياتهم داخل الأراضى الروسية، الأمر الذى فعلوه مسبقاً مدعومين من قبل السى. آى. إيه. وليس فقط فى أفغانستان. فقد انتقلوا حقاً إلى الشيشان هناك حيث دافعوا عن المسلمين ضد الاجتياح الروسى. كذلك الحال بالنسبة لجميع الأماكن التى ذكرتها. وحسب وجهة نظرهم فإنهم كانوا يدافعون عن المسلمين ضد الكفار، وهم يتكلمون بصراحة عن هذا الموضوع، وذلك تماماً ما فعلوه.

ماذا دفعهم إذن إلى توجيه حرب بنادقهم صوب الولايات المتحدة؟ يتعلق الأمر بما يسمونه الإجتياح الأمريكى للخليج. فقد أقامت الولايات المتحدة عام ١٩٩١

قواعد عسكرية ثابتة فى بعض الدول العربية، وذلك حسب وجهة نظرهم يشابه الاحتلال السوفيتى لأفغانستان، عند ذلك الوقت بدأوا بتوجيه أنشطتهم ضد الولايات المتحدة. وتذكروا جيداً أنهم حاولوا عام ١٩٩٣ تفجير مركز التجارة العالمى، وقد نجحوا بشكل جزئى ولكن ليس تماماً، وكان ذلك جزءاً من الخطة التى كان الهدف منها تفجير مقر الأمم المتحدة ونفقى هولندا ولنكولن وكذلك مقر مكتب التحقيقات الفيدرالى. وحسب اعتقادى فإنه توجد أهداف أخرى فى القائمة. وقد نجحوا بشكل جزئى. ومن بين الذين يرزحون فى السجون الآن، وهو واحد من مجموعة ممن سجنوا، رجل دين مصرى أدخل إلى الولايات المتحدة بمساعدة السى. آى. إيه، التى أرادت مساعدة صديقها، رغم الاحتجاجات التى أبدتها سلطات الهجرة الأمريكية. وبعد سنتين من ذلك كرس هو جهوده لتفجير مركز التجارة العالمى. وقد حدثت أمور مشابهة فى كل مكان، فأنا لا أريد هنا المرور على القائمة كلها، ولكن إذا أراد أحد أن يفهم ذلك فإن الصورة واضحة ومعبر عنها بالكلمات. ولا يوجد سبب يمنع أخذ الأمر بجدية. هذه كانت الفئة الأولى، فئة المشتبه بكونهم المنفذين.

ماذا يمكننا قوله عن الدعم؟ ليس هناك صعوبة فى معرفة طبيعية الدعم. فأحد الفوائد التى جنيناها بعد ١١ سبتمبر، هى أن قسم من الصحافة ومن المناظرة العامة بدأت تتفتح على جزء من هذه الأشياء. والمثل الأفضل الذى أقدمه هو الوول ستريت جورنال التى بدأت مباشرة وخلال يومين بنشر مقالات جدية وتحقيقات صحفية رصنية تبحث فى الأسباب التى تجعل شعوب المنطقة، برغم كونها تمقت بن لادن وتكره كل ما يفعله، تدعمه بطرق عديدة بل وحتى تعتبره الإسلام، كما عبر عن ذلك أحدهم. ويبدو الوضع الحالى بالشكل التالى: فجريدة الوول ستريت جورنال لا تقوم باستطلاع للرأى العام، بل تقوم باستطلاع للرأى بين أصدقائها: مدراء البنوك وذوى التحصيل العالى والحقوقيين الدوليين ورجال الأعمال ذوى الارتباطات الأمريكية، والناس الذين

يلبسون على الطريقة الأمريكية، وتجرى مقابلتهم فى مطاعم الماكدونالدز، الذى يعتبر هناك مطعماً من النوع الممتاز. هؤلاء هم الناس الذين يقابلونهم كى يعرفوا موقفهم. وهو موقف واضح وجلى ويتطابق فى أوجه كثيرة مع الرسالة التى يوجهها بن لادن وغيره. فهم غاضبون جداً على الولايات المتحدة بسبب دعمها للأنظمة الفردية والقاسية، وبسبب التدخلات الأمريكية التى تقطع الطريق على أى شكل من أشكال التطور الديمقراطى، وأى نوع من أنواع التقدم الاقتصادى. هذه السياسة هى نفسها التى تدمر المجتمع المدنى فى العراق وفى الوقت نفسه تثبت صدام حسين، وهم يتذكرون، حتى لو نسينا نحن ذلك، أن الولايات المتحدة وبريطانيا دعمتها صدام حسين طوال الوقت الذى كان يقوم فيه بأفظع الأعمال الإجرامية ومن ضمنها خنق الأكراد بالغازات. ويطرح بن لادن ذلك طوال الوقت، وهم يعرفون ذلك حتى لو أردنا نحن أن ننساه. ويأتى موضوع دعم الولايات المتحدة للاحتلال العسكرى الإسرائيلى الذى يتميز بالعنف والقسوة، وهو الآن فى عامه الخامس والثلاثين. لقد دعمت الولايات المتحدة هذا الاحتلال بشكل هائل من الناحية الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية ومازالت مستمرة على ذلك. وهم يعرفون ذلك ويكرهونه، خصوصاً حين يجرى مقارنة دعم إسرائيل بموقف الولايات المتحدة من العراق، أى موقفها من المجتمع المدنى فى العراق الذى فى طريقه إلى الانهيار. هذه بشكل عام هى الأسباب. وحين يحدد بن لادن تلك الأسباب فإن الناس يحسون بذلك ويدعمونه.

وهذه ليست هى الطريقة التى يفكر بها الناس هنا بالأمر، على الأقل ليس الرأى العام الليبرالى المتعلم. فهم معجبون بالآراء التى وردت فى كل مكان فى الصحافة وهى بالمناسبة مصاغة من قبل اليسار الليبرالى. وأنا فى الحقيقة لم أدقق فيها كثيراً لكننى أرى أن الرأى العام اليمينى أكثر بصراحة. لكن يمكننا أن نقرأ مثلاً مقالة فى نيويورك تايمز كتبها رونالد ستيل وهو مثقف يسارى ليبرالى مهم، يوجه فيها سؤالاً: لماذا يكرهوننا؟ وقد نشرت تلك المقالة، حسب

ما أعتقد، فى اليوم نفسه الذى نشرت فيه الوول ستريت جورنال المقالة الاستطلاعية عن سبب كرههم لنا. يكتب هو: «هم يكرهوننا لأننا نناضل من أجل نظام عالمى جديد مبنى على الرأسمالية والفردية والعلمانية والديمقراطية، الأمر الذى يجب أن يكون طبيعياً فى كل مكان». لهذا السبب يكرهوننا. وفى اليوم ذاته تقوم الوول ستريت جورنال باستطلاع لآراء مدراء البنوك وذوى التحصيل العالى والحقوقيين العالميين الذين يقولون: «إننا نكرهكم لأنكم تضعون العراقيل فى وجه الديمقراطية وتمنعون التطور الاقتصادى، وتدعمون الأنظمة المستبدة والإرهابية، كما أنكم تقومون بأمور رهيبة فى المنطقة». وبعد يومين يعلن أنتونى لويس من أقصى اليسار بأن الإرهابيين يكافحون من أجل«نهاية عدمية للعالم» ولا شئ غير ذلك، فهم يعتبرون كل ما نفعله شيئاً غير ذى قيمة. والنتيجة الوحيدة السلبية لما نفعله، هى أنهم يخلقون صعوبة أمام عملية دخول العرب فى المجهود الذى يبذله التحالف العالمى المعادى للإرهاب. أما إذا استثنينا ذلك فإن كل ما نفعله غير عقلانى.

النقطة الإيجابية فى هذا الطرح هى كونه واثقاً من نفسه. فهو يجعل الإنسان يشعر بمدى شجاعته وروعته. كما أنه يمنحنا إمكانية ترك التفكير فى عواقب أفعالنا. بيد أن لذلك سلبياته. فهو أولاً يتناقض تماماً مع كل ما تعلمناه، وثانياً كونه طريقة مثالية لجعل العنف يتصاعد، فإذا أردنا أن نعيش ورؤوسنا مدفونة فى الرمال، متوهمين أنهم يكرهوننا لكونهم يعارضون العولمة، ومن ذلك تستنتج أيضاً أنهم للسبب ذاته قتلوا السادات قبل عشرين عاماً وللسبب ذاته حاربوا وحاولوا تفجير مركز التجارة العالمى عام ١٩٩٣ - وكل هذه الأحداث لها علاقة بالعولمة الاقتصادية، فإذا كان ذلك ما يريد الإنسان أن يقنع نفسه به، ثم ينام بهدوء، هذه بالتأكيد طريقة رائعة لجعل العنف يتصاعد، وستكون المسألة مركزة حينها فى الانتقام عن طريق القتل - لقد آذيتنى بشكل ما ولذا فإننى سأرد الصاع صاعين، ضارباً عرض الحائط بعاقبة ما أفعل. المهم هو

الاستمرار بالسير إلى الأمام وبالاتجاه نفسه، وهذه إحدى السبل لفعل ذلك. هذه بشكل عام فكرة اليسار الليبرالى.

■ س: ٥ . ما هى الخيارات السياسية الممكنة؟

ما هى الخيارات السياسية الممكنة؟ توجد مجموعة من الخيارات. من الخيارات المحدودة منذ البداية كانت اتباع النصائح التى قدمتها راديكالى متطرف كالبابا. فالفاتيكان صرحت منذ البداية أن ما حدث كان جريمة إرهابية مروعة. وفيما يخص الجرائم فإنه يجرى دوماً محاولة القبض على الفاعلين وتقديمهم للمحاكمة، ولكن لا يجرى قتل المدنيين الأبرياء. وتماماً مثلما يحدث حين يقوم لص باقتحام بيتى ثم أشك فى كونه قد هرب وتواجد فى المنطقة السكنية فى الجانب الثانى من الشارع، فلا أخرج فى تلك الحالة ممسكاً ببندقية رشاشة وأقتل كل من يعيش فى هذه المنطقة السكنية. وهكذا يجرى التعامل مع الجرائم، بغض النظر عن كون الجريمة صغيرة أو كبيرة كالحرب الأمريكية ضد نيكاراجوا، ولا حتى الجرائم الأكبر أو بين البينين. وفى هذه النقطة توجد الكثير من السوابق Precedents. لقد ذكرت حالة سابقة، نيكاراغوا وهى دولة قائمة على الشرع وتتبع القانون - ولهذا السبب لربما كنا مجبرين على تحطيمها - وقد تصرفت طبقاً لما تمليه القواعد المرعبة. لكن نيكاراغوا وصلت بإجراءاتها تلك إلى طريق مسدود لكونها واجهت قوة عظمى لا تسمح لأحد أن يتبع الطرق القانونية، لكنها لو أرادت لجرى التصفيق لها. وباستطاعتى ضرب أمثلة عديدة على سوابق مماثلة.

حين قام الجيش الجمهورى الأيرلندى بتفجيرات فى لندن، وهو أمر خطير جداً، كان بإستطاعة بريطانيا - لو استثنينا إمكانية تحقيق الأمر - أن تدمر بوسطن التى تعتبر الممول الرئيس للجيش الجمهورى الأيرلندى، كما كان

باستطاعتها تدمير نصف بلفاست. ولكن بغض النظر عن كون الأمر ممكن التحقيق أم لا، فإن تنفيذه كان سيصبح جريمة خرقاء. وقد جرى التعامل مع الأمر بالشكل المفترض فعله، أى العثور على المنفذين وتقديمهم للمحاكمة والتحقيق فى الأسباب. فهذه الأشياء لا تأتى من الفراغ بل إن لها أسبابها، سواء كان الأمر يتعلق بجريمة فى شارع أو جريمة إرهابية بشعة أو أى شئ آخر. ودائماً توجد بواعث، وغالباً حين يتم التحرى فيها يظهر أن بعضها منطقى يتطلب إجراءات، بغض النظر عن الجريمة. كما توجد أمثلة أخرى. بيد أن هذا الطريق تعتريه بعض المشاكل. أحدها أن الولايات المتحدة لا تعترف بالتشريعات الصادرة عن الهيئات الدولية ولذا فلا يمكنها أن تلتجئ إليها. فقد رفضت هى قرارات محكمة العدل الدولية. وهى - أى الولايات المتحدة - قوية بحيث يمكنها تشكيل محكمة خاصة بها لو أرادت، فلا شئ يمنعها من ذلك. بيد أنه لو أراد أحد ما الالتجاء إلى محكمة ما فإنه يجب أن يقدم أدلة ما، فلا يكفى أن يتكلم تونى بلير عن ذلك فى التليفزيون. وقد يكون من الصعب الحصول على تلك الأدلة. فقد يكون المنفذون قد قُتلوا فى العملية، وهو أمر لا يعرفه أحد سوى السى. آى. إيه. فتلك الشبكة غير مركزية وغير هرمية وتخضع لمبدأ «مقاومة بلا قائد وهو مبدأ طوره إرهابيو اليمين المسيحى الأمريكى، فهم يتكونون من مجاميع صغيرة تنفذ عملياتها بشكل منفرد. وهم يلتقون على أساس عام لفعل مشترك ثم ينطلقون ويفعلون ما يفعلونه. ويعرف ذلك جيداً الذين ينتمون إلى الحركة المضادة للحرب. ونطلق نحن عادة على تلك المجموعات بالمجموعات ذات الاهتمام المشترك. فإذا كان أحدهم مقتنعاً بتسرب عناصر من مكتب التحقيقات الفيدرالى إلى مجموعته، فيكف هو عن نقاش مواضيع مهمة فى الاجتماعات العامة بل يقوم بذلك بين بعض الناس الذين يعرفهم ويطمئن إليهم، مما يؤدى إلى تشكيل مجموعة جديدة ذات اهتمام مشترك يصعب اختراقها. وهذا هو السبب الذى جعل مكتب التحقيقات الفيدرالى يخفق فى الحصول على معلومات من خلال التجسس على الحركات

الشعبية. وكذلك كان هو الحال بالنسبة إلى أجهزة المخابرات الأخرى. فهذه المجموعات التى على شاكلة «مقاومة بلا قائد» أو مجموعات الاهتمام المشترك أو الشبكات اللامركزية، هى مجموعات يصعب اختراقها. وقد يكونون هم لا يعلمون بما حدث. فحين سُئل بن لادن وقال إنه لا يعرف، قد يكون ذلك صحيحاً. فكيف يمكن حقاً لإنسان يقبع فى مغارة فى أفغانستان بلا راديو ولا تليفون أن يخطط لعملية غاية فى التعقيد كهذه. وهذا ينبئ بما تحدثنا عنه مسبقاً بخصوص الشبكات اللامركزية، تماماً مثل المجاميع الإرهابية الأخرى التى لا تملك قائداً. وهذا الأمر يصعب الحصول على أدلة.

أما الولايات المتحدة فلا تريد تقديم أدلة، لأنها تريد الحصول على فرصة التصرف بلا أدلة. وهذا جزء حاسم من رد فعل الولايات المتحدة. لاحظوا كيف أن الولايات المتحدة تجاوزت مسألة الحصول على تفويض من مجلس الأمن، وهو أمر كان بإمكانها أيضاً، ليس لسبب بل فقط لكون الدول دائمة العضوية فى مجلس الأمن هى أيضاً دول إرهابية. وهم فرحون حتماً بخصوص الانضمام إلى تحالف ضد ما يسمونه هم بالإرهاب. وبمعنى آخر فإن ذلك سيكون عوناً وسنداً لأعمالهم الإرهابية. فروسيا مثلاً سوف لن تستخدم الفيتو لأنهم مولعون بالأمر. وبذا فقد كان بمقدور الولايات المتحدة الحصول على تفويض من مجلس الأمن لكنها لم تكن راغبة فى ذلك. ولم ترغب الولايات المتحدة فى ذلك لأنها تتصرف منذ سنوات طبقاً لمبدأ استخدم من قبل جورج بوش الأب أيضاً، وهو مبدأ جرت صياغته بشكل واضح فى عهد إدارة كلنتون ويمتد حتى قبل هذا التاريخ. وفحوى هذا المبدأ أننا نملك الحق فى اتخاذ القرارات من طرف واحد، فنحن لا نحتاج إلى اعتراف دولى لأننا نتصرف لوحدنا، ونحن لسنا بحاجة إلى تقديم الأدلة ولا بحاجة إلى المداولات أو إبرام الاتفاقيات. نحن نعتبر انتظار الحصول على تفويض مسألة سيئة ولذا يجب علينا تجنبها. حتى إنه يوجد مصطلح يخص ذلك فى العلوم التخصصية يسمى بزرع الثقة. يجب زرع الثقة فهذا العامل مهم فى السياسة التى تنتهج. فقد كان

ذلك هو التفسير الرسمى والموثوق لحرب كوسوفو.

فإذا أردتم معرفة معنى الثقة فاسألوا رجل المافيا الذى تفصل، فهو الذى يتمكن من تفسير ذلك. وينطبق الأمر ذاته على السياسة العالمية مع استثناء واحد هو أنها تدرس فى الجامعات وتستخدم فيها كلمات رنانة. أما المبدأ فهو ذاته. وهذا أمر مفهوم وغالباً ما ينجح ذلك. وأحد كبار المؤرخين الذين كتبوا عن ذلك فى السنين الأخيرة هو تشارلز تيلى Charles Tilly فى كتابه «الإكراه، رأس المال، والدول الأوروبية». ويؤكد الكاتب أن القوة كانت دائماً المبدأ الأساسى لأوروبا لمئات السنين، والسبب هو كونه أسلوباً ناجحاً، وهو أمر معقول ـ فهو ينجح دائماً، حين يكون هناك تفوق هائل فى مسألة وسائل القوة التى تدعمها ثقافة تجيز استخدام القوة. ولذا فمفهوم جداً أن يجرى التصرف على أساس هذا المبدأ، فى حين أنه يصبح مشكلاً حين يجرى اتباع الوسائل القانونية. فلو جرت حقاً محاولة تطبيق ذلك لانفتحت أبواب لمشاكل كبرى. فالولايات المتحدة تطالب حركة طالبان مثلاً بتسليم أسامة بن لادن، وهم بدورهم بطريقة تعتبر فى العالم الغربى غير معقولة تماماً وغريبة جداً، فهم يقولون فى الحقيقة «حسناً، قدموا الأدلة أولاً»، وهو أمر يعتبر فى العالم الغربى مثار سخرية. إنه دليل على كونهم مجرمين. كيف يمكنهم الطلب منا تقديم أدلة؟ فلو طلب منا تسليم شخص ما لسلمناه أصلاً فى الغد، بدون أن نطالب بتقديم أدلة.

ويمكن فى الحقيقة البرهنة على ذلك بسهولة. فنحن لا نحتاج لاختراع أمثلة. فخلال السنين الأخيرة طلبت هاييتى من الولايات المتحدة تسليم عمانوئيل كونستانت. فهو قاتل وواحد من الأشخاص الرئيسيين المسئولين عن ذبح ٤٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ إنسان خلال فترة منتصف عقد التسعين، فى فترة حكم الطغمة العسكرية. وقد حصل على الدعم وبلا تحفظ من إدارة بوش الأب وكلنتون، وعلى العكس مما كان الكثير يتصور. وعلى أية حال يعتبر هذا الشخص أحد أبشع القتلة... وتوجد الكثير من الأدلة، ففى هذه النقطة بالذات لا توجد

مشكلة... وقد حوكم وجرت إدانته فى هاييتى، وهم يطلبون الآن تسليمه. وجرى الكثير من النقاشات حول هذا الموضوع. وقد أعادت هاييتى طلب التسليم للمرة الثانية قبل أسبوعين، الأمر الذى جرى تجاهله تماماً. فلماذا نسلم مجرماً جرت إدانته ويتحمل جزءاً كبيراً من مسئولية جريمة قتل ٤٠٠٠ . ٥٠٠٠ إنسان قبل عدة سنوات؟ فمن يعلم ماذا سيحدث حين يجرى تسليمه. فقد يتحدث عن أنه استلم مبالغاً من المال ودعماً من السى. آى. إيه. وهو أمر صحيح على الأرجح. ولذا فإننا لا نريد فتح هذا الباب. وهذا ليس المثال الوحيد. على مدى ما يقارب الخمسة عشر عاماً حاولت مثلاً كوستاريكا ـ وهى مثال على الديمقراطية ـ إجبار الولايات المتحدة على تسليم شخص باسم جون هل، وهو مالك أرض فى تلك البلاد، وجرى اتهامه باقتراف جرائم إرهابية. فقد استخدم الأراضى التى كان يملكها ـ وهناك أدلة قوية تدعم ذلك ـ كقاعدة لحرب الولايات المتحدة ضد نيكاراغوا، وهو استنتاج غير متناقض كما تتذكرون، حيث تقف وراءه محكمة العدل الدولية ومجلس الأمن. إذن، جرى الطلب من الولايات المتحدة تسليمه. هل سيسمع أحد شيئاً عن ذلك؟ لا.

ولقد صادروا فى الحقيقة أراض يملكها أمريكى آخر اسمه جون هاملتون، ودفعوا على ذلك تعويضاً مالياً أو بالأحرى قدموا اقتراحاً بتعويض مالى. وقد رفضت الولايات المتحدة ذلك. ثم قامت كوستاريكا بتحويل أراضيه إلى منتزه وطنى، لأن هذه الأراضى استخدمت أيضاً من قبل الولايات المتحدة لمهاجمة نيكاراغوا. وقد جرت معاقبة كوستاريكا من خلال سحب المساعدة التى كانت تقدم إليها. فنحن لا نقبل هذا النوع من العصيان الذى يبديه حلفاؤنا. ويمكننا تقديم الكثير من الأمثلة. فلو فتحنا باب المسائل التى تخص تسليم الأشخاص لقادنا ذلك إلى مواضيع لا تحمد عقباها. ولذا فإننا لا نستطيع أن نفعل ذلك. فماذا نقول إذن عن ردود الفعل فى أفغانستان؟ كان الاقتراح الأول، يتضمن خطاباً يطالب منذ البدء بإجراء هجوم عنيف يقتل أكبر عدد من الناس وبشكل يبهر الأنظار، كما يطالب بالهجوم على بلدان أخرى فى المنطقة. بيد أن إدارة

بوش رفضت بتعقل ذلك الاقتراح. فقد سمعوا على ما أعتقد من مختلف قادة الدول الأخرى ومن الخبراء والناتو ورجال مخابراتهم، أن ذلك سيكون أكبر حماقة يمكن ارتكابها بشكل عام. فذلك الأمر كان سيعنى فتح الأبواب على مصاريعها لمكاتب التطوع التابعة لـ بن لادن. وهذه كانت أمنيته الكبرى، مما كان سيؤدى إلى الإضرار بمصالح إدارة بوش. ولذا رفضوا ذلك وكرسوا جهودهم لما وصفته مسبقاً بكونه قتل صامت للشعب. وقد أوضحت رأيى حول ذلك فى مكان آخر ولا أحتاج لأن أقول أشياء جديدة. ويمكن لأى كان الاطلاع على الإحصاءات ليعرف حقيقة الأمر.

وقد طرح دوماً اقتراح عاقل، وكان فى الطريق لأن يقدم للتفكير به، وهو اقتراح أعلن وطرح من قبل أفغان يسكنون بلدان اللجوء، ويتعلق طبقاً لما نقله قادة أفغان محليون بأن يجرى إبعاد روسيا والولايات المتحدة تماماً عن أى حل وأن يُطرح الأمر من قبل الأمم المتحدة. فهذان البلدان هما اللذان دمرا البلاد خلال السنين العشرين الأخيرة. فالواجب هو إبعادهما وإجبارهما على دفع تعويض ضخم، وهو دورهم الوحيد المفترض. وهكذا تصبح الأمم المتحدة هى الخيمة الوحيدة التى تجتمع تحتها الأطراف الأفغانية المختلفة، كى تبنى شيئاً ما فوق الأنقاض. ويفترض بهذا الأمر أن ينجح بدعم كبير ولكن بلا تدخل. أما إذا أصرت الولايات المتحدة على قيادة العملية فالأفضل فى تلك الحالة إلغاء الأمر. فهناك أحداث مدعومة بوثائق فيما يتعلق بذلك. وكما تتذكرون فإنه كان من المفترض بتلك العملية أن تكون حرباً صليبية، ثم أخبرهم مختصو الدعاية أن ذلك لن يكون مكسبا. ثم كان من المفترض أن تصبح عدالة مطلقة لكن المختصين فى الدعاية قالوا: قفوا، تبدون وكأنكم آلهة. ولذا لم تصلح حتى تلك. ثم جرى استبدالها بالحرية الراسخة، ونحن نعرف ماذا يعنى ذلك التعبير. ولحسن الحظ فلم يطلق أحد ملاحظة حول التورية الموجودة فى المصطلح. فالفعل «endure» فى الإنكليزية يعنى «يطيق»، «يكابد»، ويوجد الكثير من الناس فى هذا العالم ممن كابدوا مما نسميه نحن بالحرية. ثانية

أقول إنه لحسن الحظ أننا نملك طبقة متعلمة مهذبة، ولهذا السبب لم يعلق أحد حتى على هذه التورية. ولكن إذا قام أحد ما بفتح الموضوع فقد تواجههم مشكلة جديدة يجب التصدى لها. بيد أننا لو تراجعنا بما فيه الكفاية، بحيث تقوم منظمة محايدة بقيادة العملية، كالأمم المتحدة أو المنظمات محل الثقة، فإننا سنتمكن من بناء شيئ ما على الأنقاض من خلال مساعدات اقتصادية كبيرة. وهذا أمر مدينون نحن لهم به، فقد يؤدى ذلك إلى نتيجة، أما ما عدا ذلك فلا يجلب سوى المشاكل.

نحن نريد بلا شك تقليل حدة الإرهاب وليس تصعيده، وتوجد طريقة بسيطة لفعل ذلك لا تحتاج إلى أى نقاش حولها، ألا وهى عدم الاشتراك فى العملية، وهو أمر سيقود إلى تقليل حدة الإرهاب بشكل كبير. ومع أن هذا الأمر يصعب النقاش حوله، إلا أننا نستطيع جعله قابلاً للنقاش، وبناء على ذلك فإن هذا طريق سهل لتقليل حدة الإرهاب.

وباستثناء ذلك فإن علينا مراجعة سياسة تنظيم الجيوش الإرهابية وتدريبها. فأفغانستان ليست المثال الوحيد على ذلك. فهذه السياسة ذات عواقب قسم منها نشهده الآن، فالحادى عشر من سبتمبر هو إحدى تلك النتائج. أعيدوا النظر فى تلك السياسة، أعيدوا النظر فى السياسة التى تعطى دفعاً للإرهاب. وهذا بالذات ما يقوله مدراء البنوك والحقوقيون وغيرهم فى بعض دول الخليج. فالوضع فى الشارع أكثر مرارة مما نتصور. وهذا أمر يمكن اكتسابه، وهذه ليست سياسة بلا رجعة.

بالإضافة إلى ذلك توجد إمكانيات. فمن الصعب الحصول على بوارق أمل كثيرة فى الأسابيع الأخيرة، لكن واحدة من تلك البوارق هى تصاعد الانفتاح. فحتى بين الدوائر النخبوية، وبشكل أكبر بين العامة، هناك الكثير من الأسئلة المفتوحة للنقاش، والتى لم تكن كذلك قبل أسابيع، وهذا بحد ذاته تغيير دراماتيكى. فحين تقوم جريدة كـ (يو. إس. أى. تودى ـ الولاياة المتحدة اليوم)

بنشر مقالة جيدة جداً، مقالة جدية، عن ظروف الحياة فى قطاع غزة فذلك يعنى أن تغييراً قد حدث. والأشياء التى تحدث فى الوول ستريت جورنال هى أيضاً نوع من التغيير. ويوجد بين العامة على ما أعتقد نوع كبير من الانفتاح وإرادة التفكير بأشياء جرى مسبقاً إخفاؤها. كل هذه الأشياء هى إمكانيات يجب أن نفهمها، على الأقل نحن الذين نؤمن بأن الهدف فى محاولة تقليل العنف والإرهاب، ومن ضمنه التهديد الخطير الذى هو مرعب جداً بحيث يمكن أن يحيل ١١ سبتمبر إلى حدث صغير مقارنة به. شكراً.

ملحق
وزارة الخارجية الأمريكية
تقرير حول المنظمات الإرهابية الأجنبية
جرى نشره علناً من قبل مكتب تخطيط مكافحة الإرهاب
٥ أكتوبر ٢٠٠١ م

خلفية تاريخية

تقوم وزارة الخارجية بوضع قائمة بأسماء المنظمات الإرهابية الأجنبية (FTO) بالتشاور مع وزير العدل ووزير المالية. ويجرى هذا طبقاً لقانون الهجرة والجنسية المعدل على أساس قانون الإرهاب والحكم بالإعدام لعام ١٩٩٦. وتكون القائمة سارية المفعول لمدة سنتين، ثم ينتهى العمل بها بشكل آلى فى حالة عدم ورود اسم المنظمة ثانية فى القائمة، وهو إجراء إيجابى يحدد من خلاله وزير الخارجية ما إذا كانت المنظمات لازالت مستمرة فى نشاطها الإرهابى وإنها مازالت تمارس النشاطات الإرهابية التى حددتها المعايير القانونية.

صادقت الوزيرة السابقة للخارجية مادلين أولبرايت على القانون الذى يرمز إليه بـ (FTO) والذى تضمن ٣٠ مجنوعة.

وقد أكدت وزيرة الخارجية أولبرايت فى أكتوبر ١٩٩٩ بأن ٢٧ من هذه المجموعات كانت لاتزال تعتبر منظمات إرهابية، لكنها أزالت ثلاثة منظمات من القائمة، لكون نشاطها الإرهابى قد توقف ولذا فلم تعد تنطبق عليها المعايير القانونية.

لكن وزيرة الخارجية أولبرايت أشارت إلى منظمة إرهابية جديدة عام ١٩٩٩ (القاعدة) وأخرى عام ٢٠٠٠ (الحركة الإسلامية فى أوزبكستان). بينما أشار وزير الخارجية كولن باول إلى منظمتين جديدتين (الجيش الجمهورى الأيرلندى الحقيقى و (AUC) عام ٢٠٠١ م.

فى أكتوبر ٢٠٠١ أكد وزير الخارجية كولن باول أن ٢٦ من ٢٨ من هذه المنظمات مازالت منظمات إرهابية، فى حين كانت هى فى الطريق لحذفها من القائمة لكنه ضم منظمتين متهمتين مسبقاً هما (كاهانا كاى وكاخ) فى منظمة واحدة.

ادناه قائمة بأسماء المنظمات المتهمة بالإرهاب (٥ أكتوبر ٢٠٠١ م).

١ - منظمة أبو نضال (أى أن أو).

٢ - مجموعة أبو سياف.

٣ - الجماعة الإسلامية المسلحة (جى آى آى).

٤ - أوم شنريكيو.

٥ - منظمة الباسك للوطن والحرية (أى تى أى).

٦ - الجماعة الإسلامية.

٧ - حماس (حركة المقاومة الإسلامية).

٨ - حركة المجاهدين (أج يو أم).

٩ - حزب الله.

١٠ - الحركة الإسلامية فى أوزبكستان.

١١ - الجهاد (الجهاد الإسلامى المصرى).

١٢ - كاهانا جاى - كاخ.

١٣ ـ حزب العمال الكردى (بى كى كى».

١٤ ـ نمور التاميل (ال تى تى أى).

١٥ ـ مجاهدون خلق (أم أى كى).

١٦ ـ الجيش الوطنى للتحرير (أى أل أن).

١٧ ـ الجهاد الإسلامى الفلسطينى (بى آى جى).

١٨ ـ جبهة التحرير الفلسطينية (بى. ال. أف).

١٩ ـ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (بى أف ال بى).

٢٠ ـ الجبهة الشعبية القيادة العامة (بى أف ال بى ـ جى سى).

٢١ ـ القاعدة.

٢٢ ـ الجيش الجمهورى الأيرلندى الحقيقى.

٢٣ ـ القوات المسلحة الثورية فى كولومبيا (أف أى آر سى).

٢٤ ـ النواة الثورية (أى أل أى سابقاً).

٢٥ ـ منظمة ١٧ أكتوبر الثورية.

٢٦ ـ جيش جبهة التحرير الثورية الشعبية (دى أج كى بى/ سى).

٢٧ ـ سنديرو لومينوسو (أس أل).

٢٨ ـ القوات الموحدة للدفاع الذاتى فى كولومبيا (أى يوسى).

ويوجد تفصيل عن هذه المنظمات الإرهابية الأجنبية فى كتاب (نماذج على الإرهاب العالمى ٢٠٠٠).

المعايير القانونية

١ - كون المنظمة أجنبية.

٢ - كون المنظمة تمارس نشاطاً إرهابياً ينطبق عليه التعريف الوارد فى الفقرة ٢١٢ (أ) (٣) (ب) فى قانون الهجرة والجنسية(❖) (أنظر ص ١٠٥).

٣ - كون نشاط المنظمة يهدد أمن الولايات المتحدة ومواطنينها (الدفاع، العلاقات الخارجية والمصالح الاقتصادية).

الآثار

من الناحية القضائية:

١ - يمنع الأشخاص الساكنين فى الولايات المتحدة أو الأشخاص الذين يخضعون للسلطان القضائى الأمريكى مد المنظمات الإرهابية الأجنبية بالمال أو أى دعم مادى آخر.

٢ - قد يجرى رفض منح تأشيرة الدخول إلى الولايات المتحدة للأشخاص الذين يمثلون المنظمات الإرهابية الأجنبية، وبعض من أعضائها.

٣ - تقوم المؤسسات الاقتصادية الأمريكية بتجميد ودائع المنظمات وودائع عملائها، وتقوم برفع التقارير بخصوص تلك الإجراءات إلى المكتب المسئول عند مراقبة الودائع الأجنبية فى وزارة المالية الأمريكية.

الآثار الأخرى:

١ - يجرى تقليص أو حجب التبرعات والمساعدات للمنظمات المذكورة.

٢ - تعريف عامة الناس بطبيعة المنظمات الإرهابية.

٣ - إعلام حكومات الدول الأخرى بمدى القلق الموجود لدى الولايات المتحدة بشأن هذه المنظمات.

٤ - وصم هذه المنظمات وعزلها عالمياً.

الدعوى القضائية

تصدر وزارة الخارجية قراراً بخصوص تصنيف المنظمات الإرهابية الأجنبية حسب القائمة بعد بحث دقيق عن المعلومات لدى مؤسسات حكومية عديدة، حيث يجرى التدقيق فى نشاطات المجاميع المختلفة لدى مصادر سرية وعلنية.

وتقوم وزارة الخارجية، وبالتعاون مع وزارة العدل والمالية ودفاتر الاستخبارات بتهيئة ملفات مفصلة تخص النشاطات الإرهابية المعنية.

وقبل أسبوع من إدراج منظمة إرهابية أجنبية ما فى السجل الفيدرالى، تبعث وزارة الخارجية رسالة سرية Classified إلى الكونغرس.

وتخضع عملية إدراج المنظمة الإرهابية الأجنبية للنظر القضائى. وفى حالة وصول القضية إلى محكمة فيدرالية فإنه يجرى الاستناد إلى الملفات المذكورة أعلاه لدعم قرار وزارة الخارجية، وتحتوى هذه الوثائق على معلومات مخابراتية ولذا فإنها تعتبر من النوع السرى Classified.

تحذف المنظمات الإرهابية الأجنبية من القائمة بعد سنتين، فى حالة عدم دخول اسمها ثانية. ويسمح القانون بإضافة مجموعات أخرى فى أى وقت كان من خلال قرار وزارة الخارجية شطب اسم أية منظمة إرهابية أجنبية من القائمة بعد أن يقرر جازماً بوجود أسس لإصدار قرار كهذا وبعد إبلاغ الكونغرس.

(❖) يعرف قانون الهجرة والجنسية النشاط الإرهابى بكونه كل النشاطات الممنوعة طبقاً للقانون المرعى فى المكان الذى جرت ممارسة النشاط فيه (أو فى حالة ارتكابه فى الولايات المتحدة، أن يكون ممنوعاً طبقاً للقانون الأمريكى وقوانين الدول الأخرى) والذى يشمل النقاط أدناه:

I - اختطاف أو تخريب وسائط النقل (ومن ضمنها الطائرات والبواخر أو العربات).

II - المهاجمة أو الحجز أو الإيذاء أو الاستمرار فى حجز شخص آخر

بهدف إجبار شخص (ومن ضمن ذلك مؤسسة حكومية) لعدم اتخاذ أو لاتخاذ قرار كشرط صريح أو ضمنى لإطلاق سراح الشخص المعين.

III ـ استخدام وسائل القوة لمهاجمة شخص دولياً (طبقاً للتعريف الوارد فى الفقرة ١١١٦ (ب) (٤) فى الباب ١٨، من القانون الأمريكى) أو انتهاك حرية ذلك الشخص.

VI ـ الاغتيال.

V ـ استخدام.

أ) وسائط بايولوجية أو كيمياوية، أو سلاح نووى أو جهاز نووى أو ب) مواد متفجرة أو سلاح نارى (لغرض آخر غير المنفعة الاقتصادية) لغرض تعريض أمن شخص أو عدة أشخاص للخطر أو التسبب فى أضرار كبيرة للملكية.

IV ـ التهديد أو محاولة التآمر لاستخدام واحدة من الوسائل المذكورة أعلاه. ويعنى مصطلح «القيام بنشاط إرهابى» أن شخصاً ما لوحده أو ضمن منظمة يرتكب فعلاً إرهابياً أو فعلاً يعلم الشخص المعنى، أو من المفروض أن يكون على علم، أنه يدعم بشكل ملموس شخصاً أو منظمة أو دولة لقيامها بنشاط إرهابى فى لحظة معينة، ومن بين ذلك:

I ـ التهيئة أو التخطيط لعمل إرهابى.

II ـ جمع المعلومات عن هدف كبير لنشاط إرهابى.

III ـ الدعم المادى بكل أنواعه، مثلاً مأوى آمن، وسائط نقل، مواصلات، وسائل اقتصادية، وثائق شخصية مزورة، أسلحة، مواد متفجرة أو تدريب لأشخاص توجد أسس لدى الشخص المعنى للاعتقاد بكونهم، أو أنه أصلاً يعلم، بأنهم ارتكبوا أو يخططون للقيام بعمل إرهابى.

VI ـ جمع الأموال أو الأشياء ذات القيمة المادية لدعم نشاط إرهابى أو منظمة إرهابية.

V ـ تجنيد الأشخاص للانضمام لمنظمة إرهابية، أو دولة إرهابية أو نشاط إرهابى.

المترجم

سعيد الجعفر

من مواليد قرية الفهود في أهوار الناصرية في جنوب العراق عام ١٩٥٦.

درس العلوم الزراعية في جامعة البصرة وتخرج عام ١٩٨٠.

درس ماجستير ودكتوراه في علم المعاجم النظري في جامعة هيرتزن التربوية في سانت بطرسبورغ (لينيغراد) وتخرج عام ١٩٩٩.

يكتب الشعر والقصة وقد صدر له ديوان واحد عام ١٩٩٣ على نفقة المجلس الحكومي للثقافة في السويد وعنوان الديوان (بين احتفالات الماء والوحشية).

نشر قصائد وقصص وترجمات من السويدية في بعض المجلات العربية.

تنبيه

محتويات هذا الكتاب هى مجموعة من المقابلات أجراها مع نعوم تشومسكى عدد من معدى المقابلات بعد أحداث الحادى عشر من أيلول عام ٢٠٠١. وقد أُجريت معظم المقابلات عبر البريد الالكترونى.

وبعد طباعة الكتاب بدأت دور النشر بترجمته، وفى هذه الأثناء ألقى نعوم تشومسكى محاضرة مهمة، مما حدى ببعض الدور التى لم تكن قد أنجزت الترجمة بعد إلى إضافة هذه المحاضرة إلى الكتاب.

والفصل الثامن من هذه النسخة العربية هو المحاضرة التى ألقاها تشومسكى لاحقا وهى غير موجودة ضمن النسخة الإنكليزية، وقد رأى المترجم إضافتها نظراً لأهميتها الكبرية.

الملحق ب
كتب نوصي بقراءتها

١ ـ نعوم تشومسكي: ثقافة الإرهاب (نشر الحد الجنوبي) ١٩٨٨.

٢ ـ نعوم تشومسكي: أوهام ضرورية (نشر الحد الجنوبي) ١٩٨٩.

٣ ـ نعوم تشومسكي: القراصنة والأباطرة (كلير مونت Claremont ١٩٨٦) أعاد طبعه من قبل (أمانا الوردة السوداء بلوتو).

٤ ـ نعوم تشومسكي و E.S هيرمان الاقتصاد السياسي لحقوق الإنسان.

٥ ـ (South End Presse) ١٩٧٩ (نشر الحد الجنوبي ١٩٧٩)

٦ ـ جون كولي ـ الحروب غير المقدسة: أفغانستان، أميركا والإرهاب الدولي (pluto - 1999 - 2001).

٧ ـ أليكس جورج إرهاب الدولة الغربية (بوليتي بلا كويل Polity - Black-well ١٩٩١)

٨ ـ هيرمان ـ شبكة الإرهاب الحقيقية (نشر الحد الجنوبي ١٩٨٢)

٩ ـ هيرمان وتشومسكي تصنيع أو فبركة القبول (بانيتون ١٩٩٨ ـ ٢٠٠١)

١٠ ـ هيرمان وجيري أو سوليفان ـ صناعة الإرهاب (بانيتون ١٩٩٠)

١١ ـ والتر لاكوير. عصر الإرهاب Little, Bron and co, 1987)

١٢ ـ مايكل ماكلينتوك أساليب الحنكة السياسية (بانيتون ١٩٩٢).

١٣ ـ بول ويليكنسون الإرهاب والدولة الليبرالية NYU press (1986 منشورات جامعة نيويورك)

من بين أعماله

١ ـ حكام وتوقعات ـ نعوم تشوميسكي

٢ ـ أنظمة العالم: قديمها وجديدها ـ نعوم تشومسكي

٣ ـ الديمقراطية الممنوعة أو الزاجرة ـ نعوم تشومسكي

٤ ـ الموافقة المصنّعة مع (هيرمان) ـ نعوم تشومسكي

٥ ـ السنة ٥٠١: استمرار النصر ـ نعوم تشومسكي

٦ ـ ربح علي الشعب ـ نعوم تشومسكي

٧ ـ الأنسنة العسكرية الجديدة ـ نعوم تشومسكي

٨ ـ آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل ـ نعوم تشومسكي

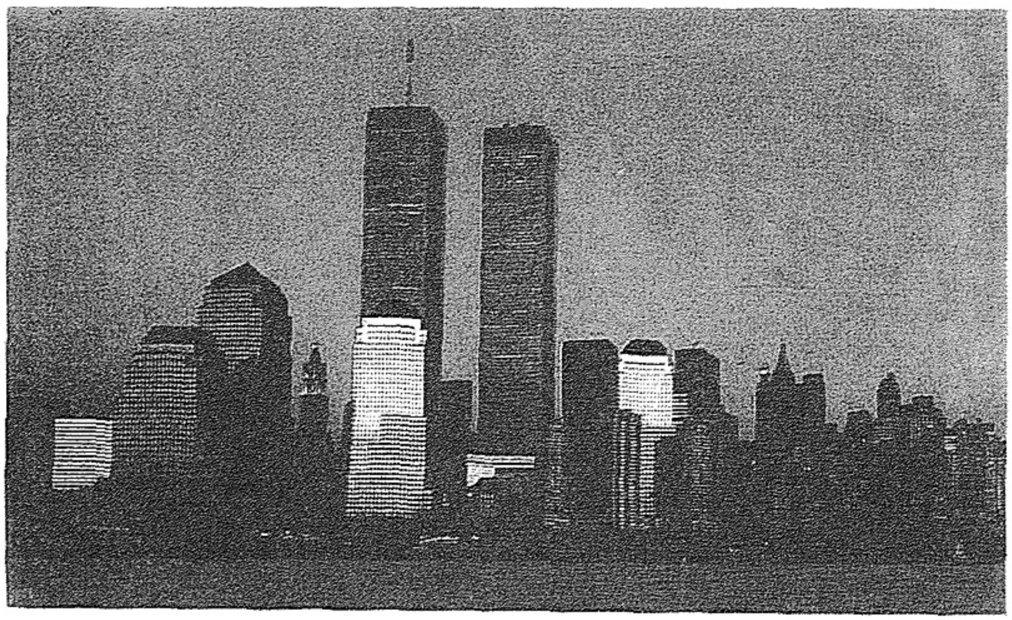
٩ ـ دول الاحتيال ـ نعوم تشومسكي

١٠ ـ جيل جديد يرسم الطريق ـ نعوم تشومسكي

١١ ـ ردع الديمراطية تسعى أيها ـ نعوم تشومسكي

إن جهود تشومسكي من أجل الديمقراطية حركات السلام والعدالة الاجتماعية في العالم أجمع.

ملحق الصور



البرجين قبل الهجوم



في البدء كانت النبوءة
ماكينة النار الطيارة سوف تقلق الزعيم العظيم

سنياريو تخيلي لعملية تدمير مركز التجارة العالمي

١ مجموعة من الخاطفين يصعدون إلى الطائرة في مطار لوجان بمدينة بوسطن.

٢ الإقلاع نحو الساعة الثامنة صباح الثلاثاء بالتوقيت المحلي.

٣ الخاطفون يشهرون السكاكين.

٤ الخاطفون امروا الركاب والطاقم بالتراجع إلى الجزء الخلفي بالطائرة.

٥ الخاطفون بداوا قتل افراد الطاقم والطيار يترك كابينة القيادة.

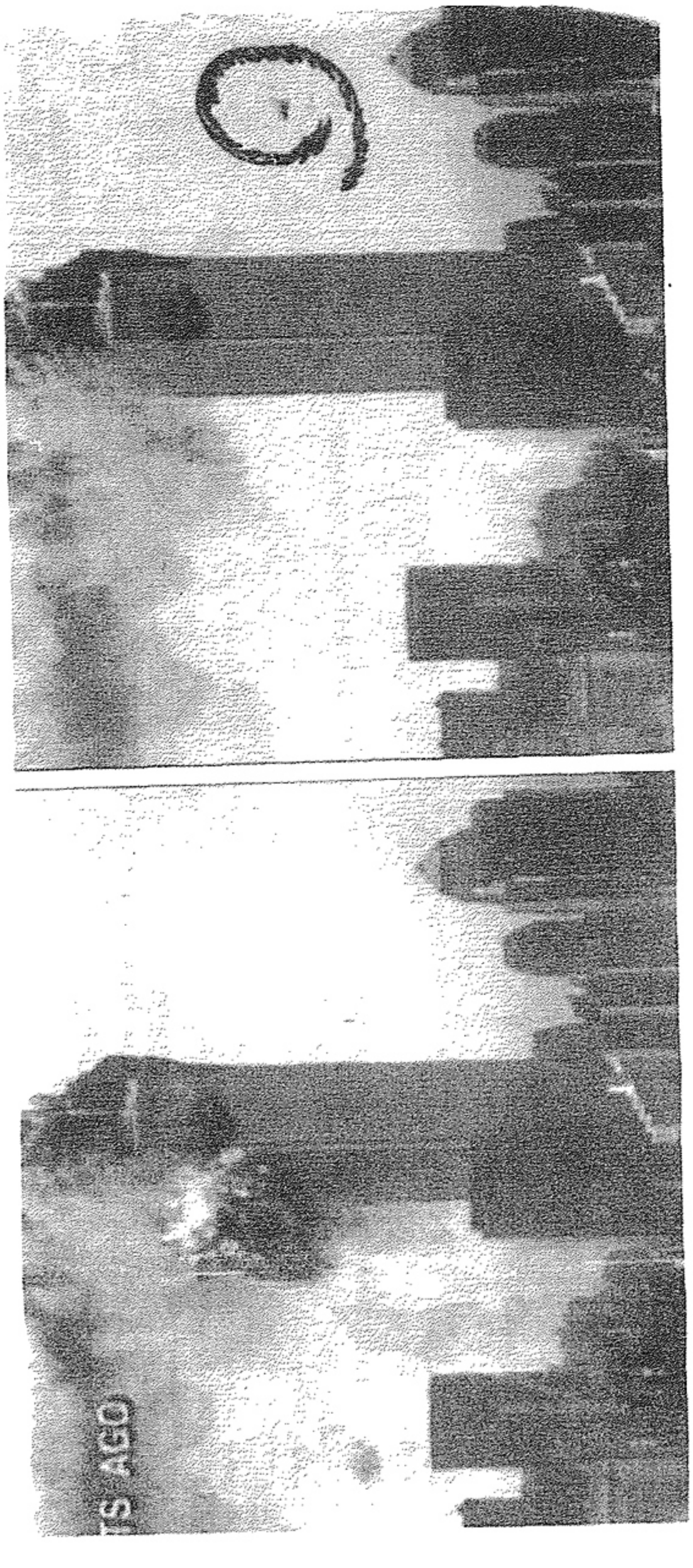
٦ الخاطفون يسيطرون على كابينة القيادة ويتولون قيادة الطائرة نحو الهدف.

٧ الطائرة تصدم احد برجي مركز التجارة العالمي نحو الساعة التاسعة بالتوقيت المحلي، وبعد ١٨ دقيقة طائرة اخرى من نفس الطراز تصدم البرج الثاني بنفس الطريقة.

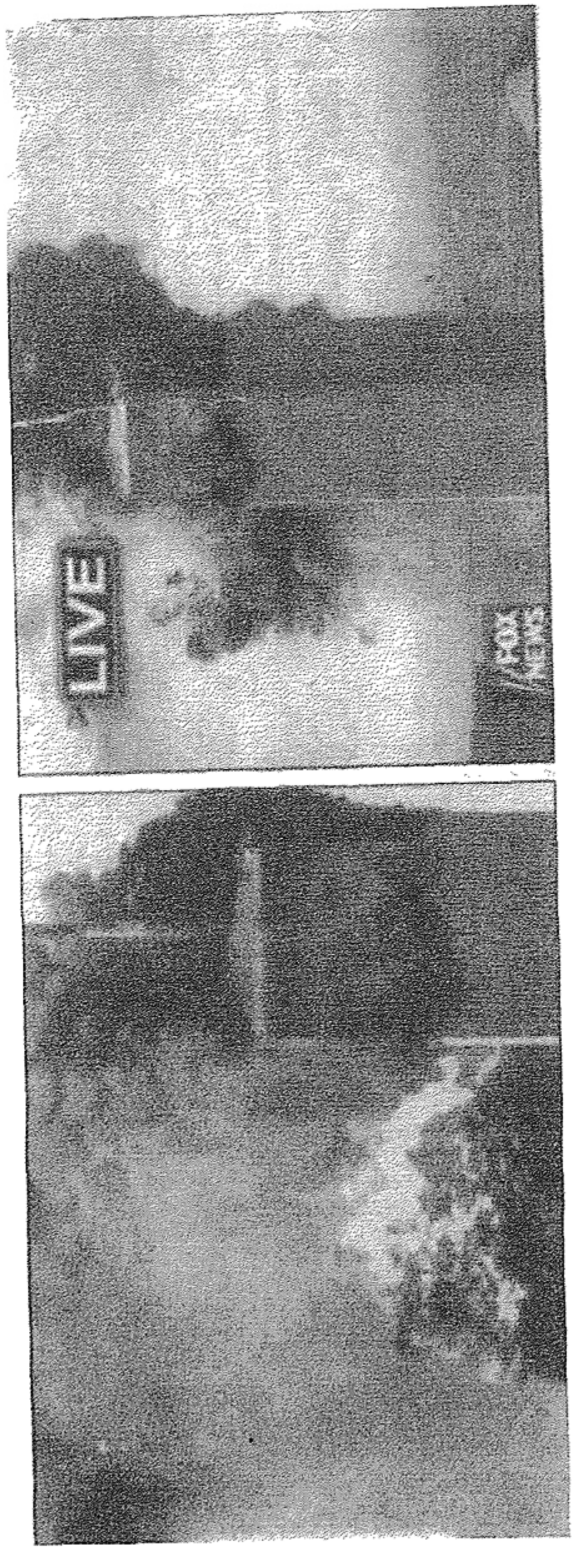
صورة «من ا ف ب»



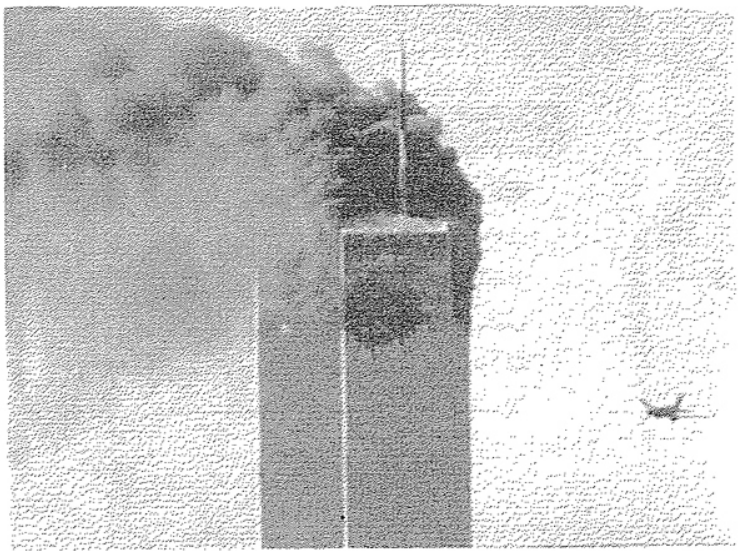
مراحل العملية قبل الإنهيار الكامل



مراحل العملية قبل الإنهيار الكامل



مراحل العملية قبل الإنهيار الكامل

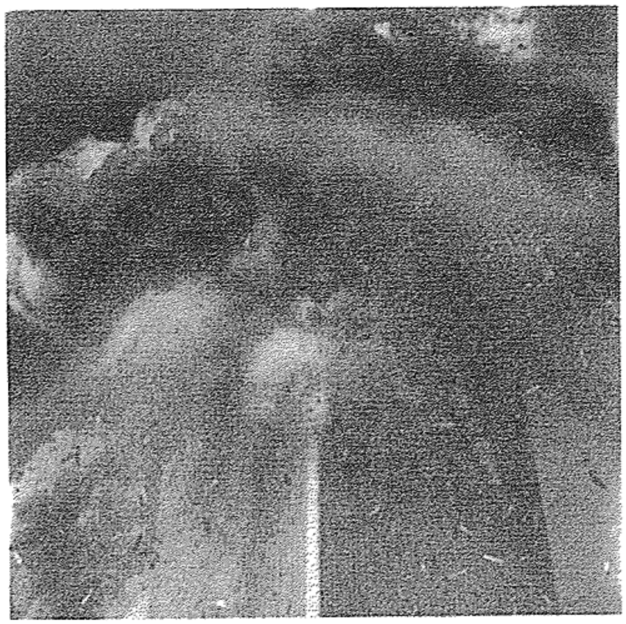




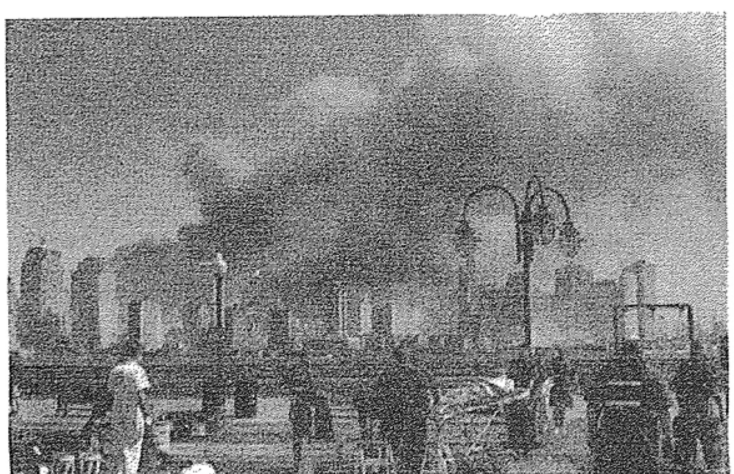
طائرة النار تقترب من رموز الحضارة الأمريكية



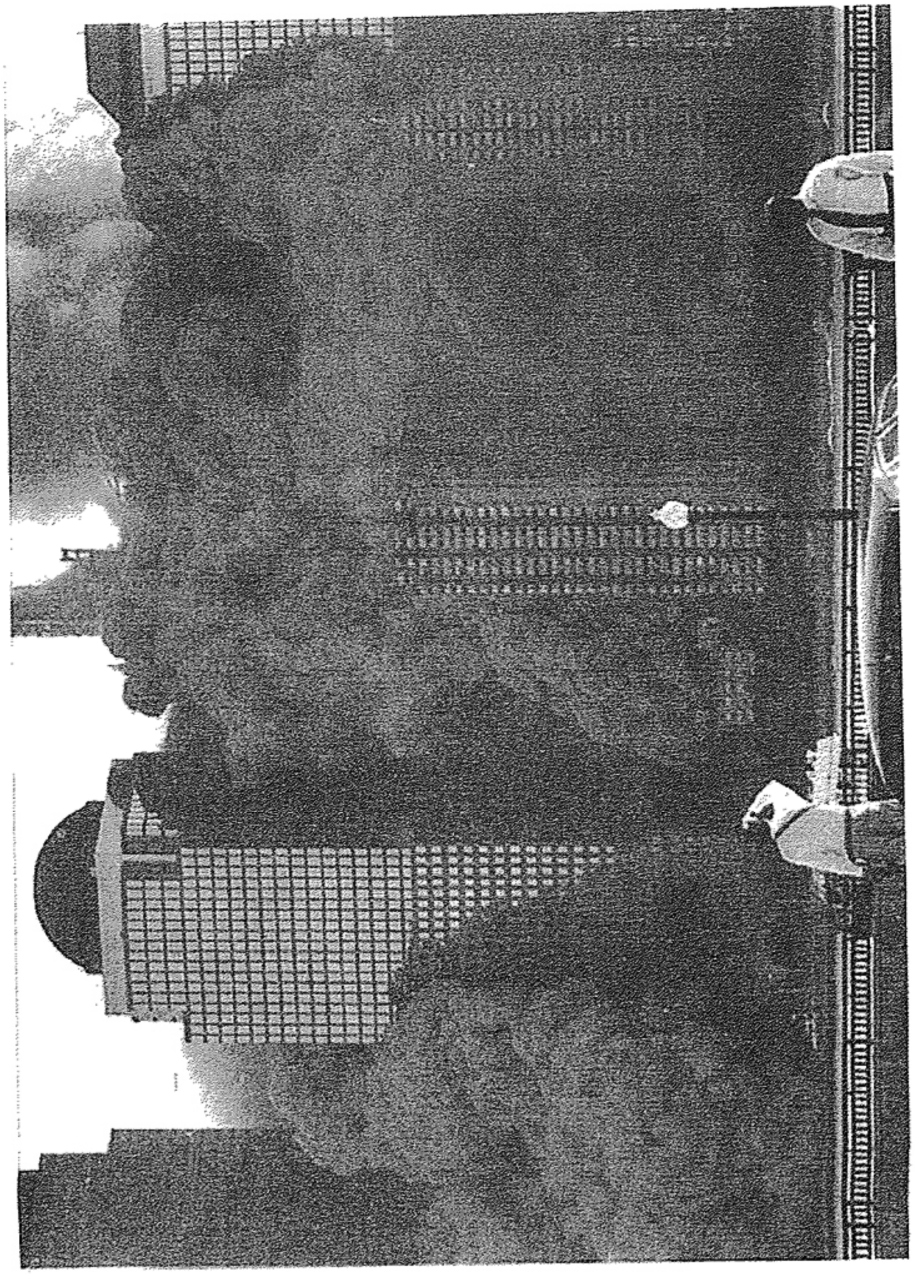
دمار.. دمار.. دمار



النيران تفتك برمز
المال.. مركز التجارة العالمى



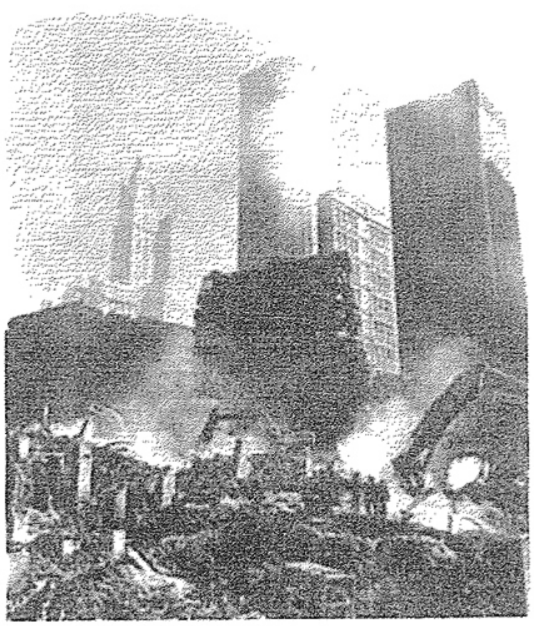
سحب الدخان ترسم مستقبلاً
مبهما جديداً لأمريكا



حتى أمريكا فقدت مناعتها ضد العنف



فى ١١ سبتمبر..
شكل الدخان خلفية المشهد



الأوناش ترفع بعض
أنقاض الحضارة



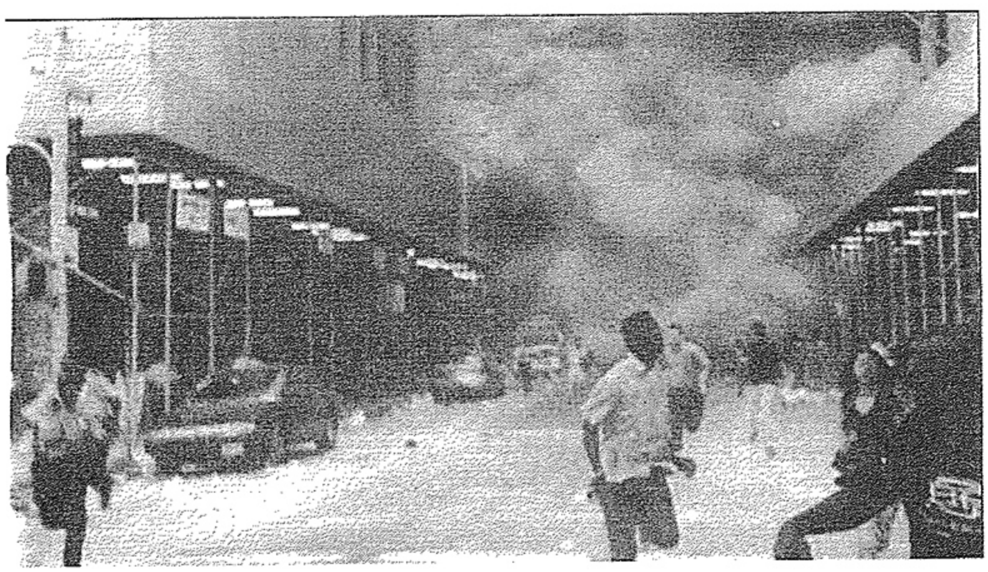
لم يتصور أحد مهما بلغت سعة
خياله أن تهاجم الأمبراطورية فى
عقر دارها وعلي أرضها



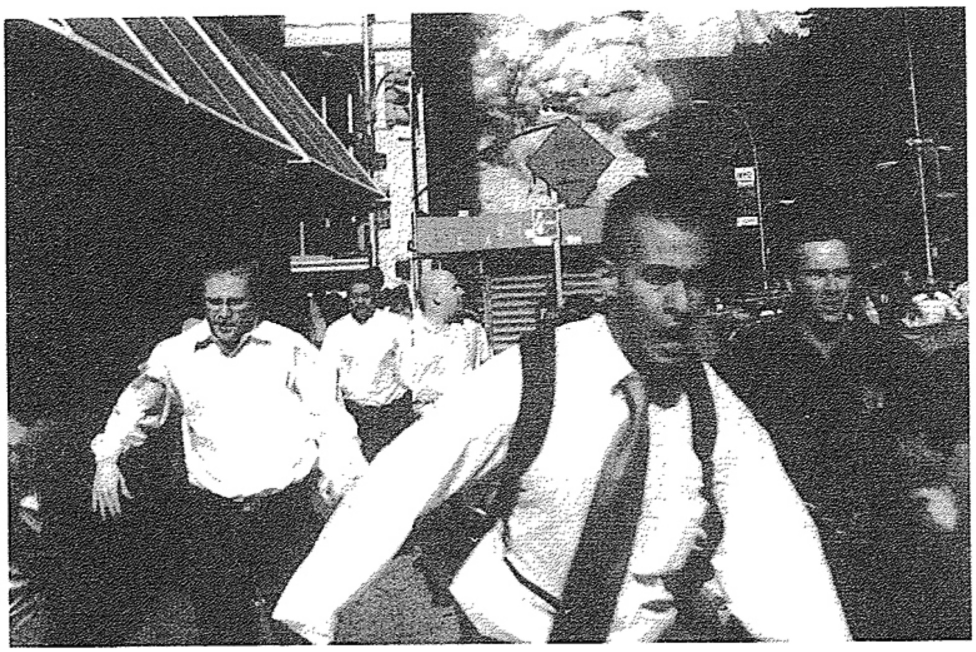
الدخان يغطى عاصمة المال فى العالم
«نيويورك ١١ سبتمبر»



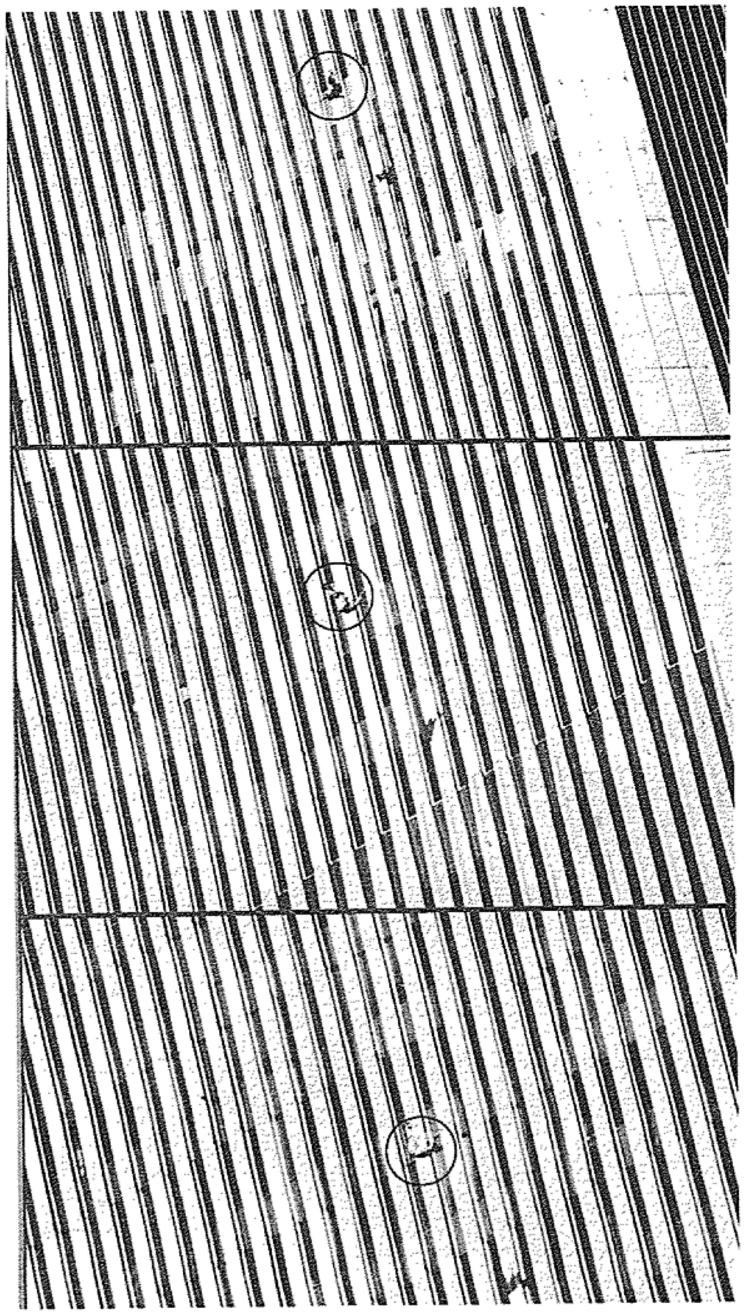
حريق البنتاجون
« حتى قلعة أمريكا الحصينة
لم تسلم من الهجوم »



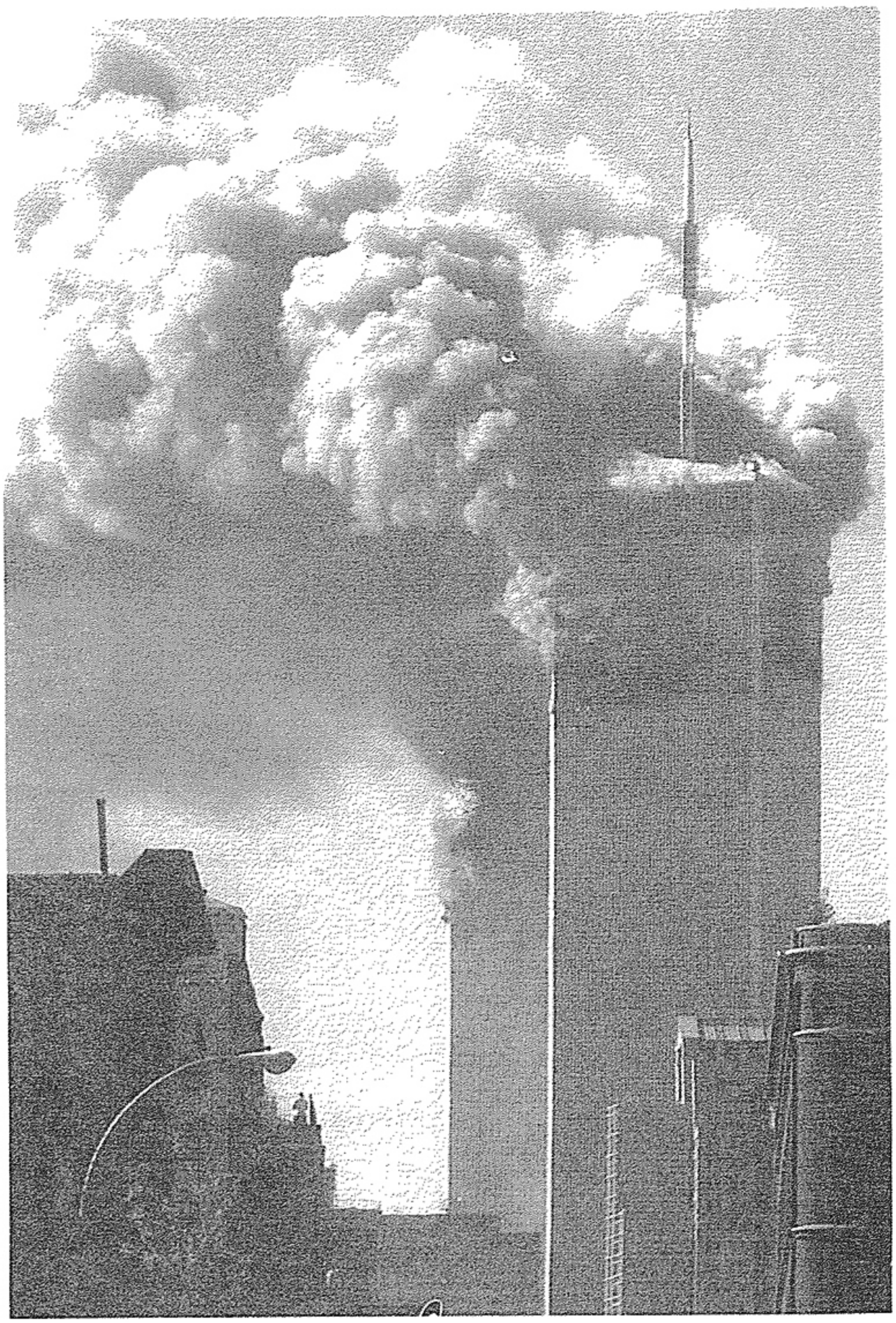
يوم هز العالم



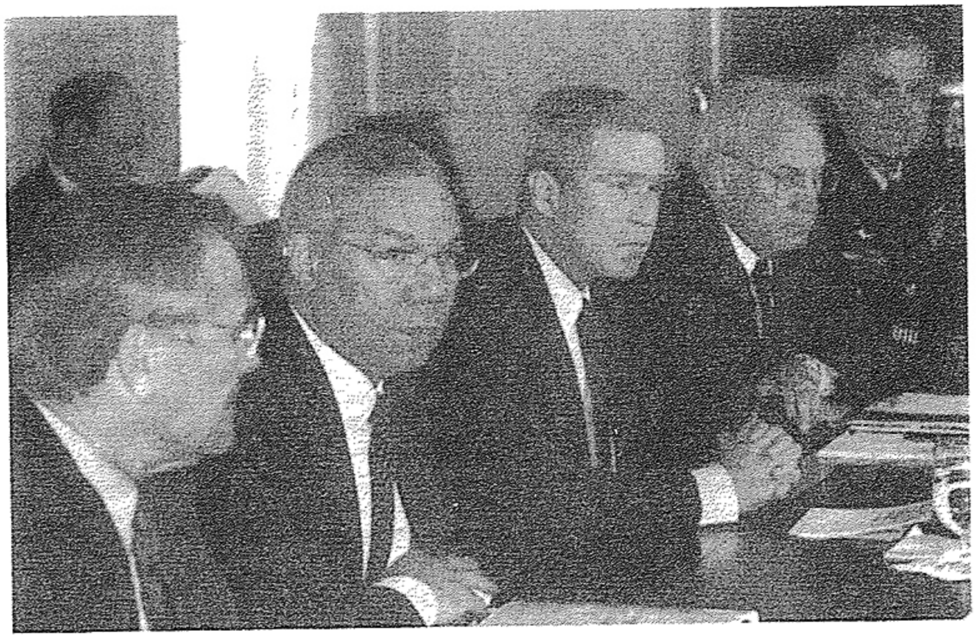
الرعب يجتاح المدينة
فيلم أنتجته «هوليود» وبعد سنوات تحقق
الفيلم علي أرض الواقع



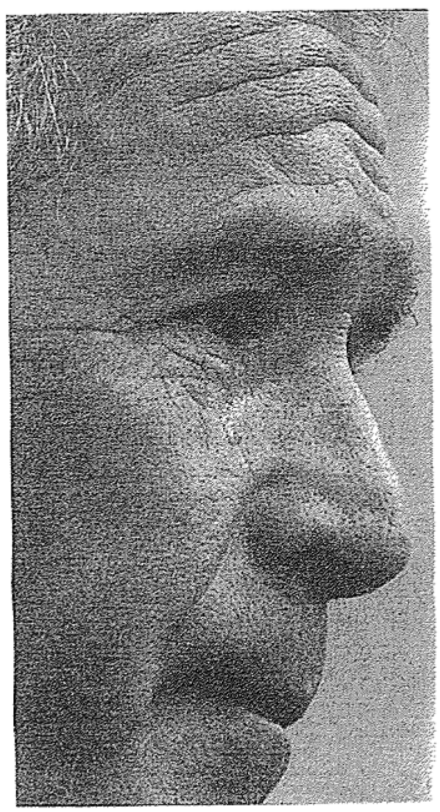
قفز ليهرب من الموت حرقاً
فمات «تحطيماً»



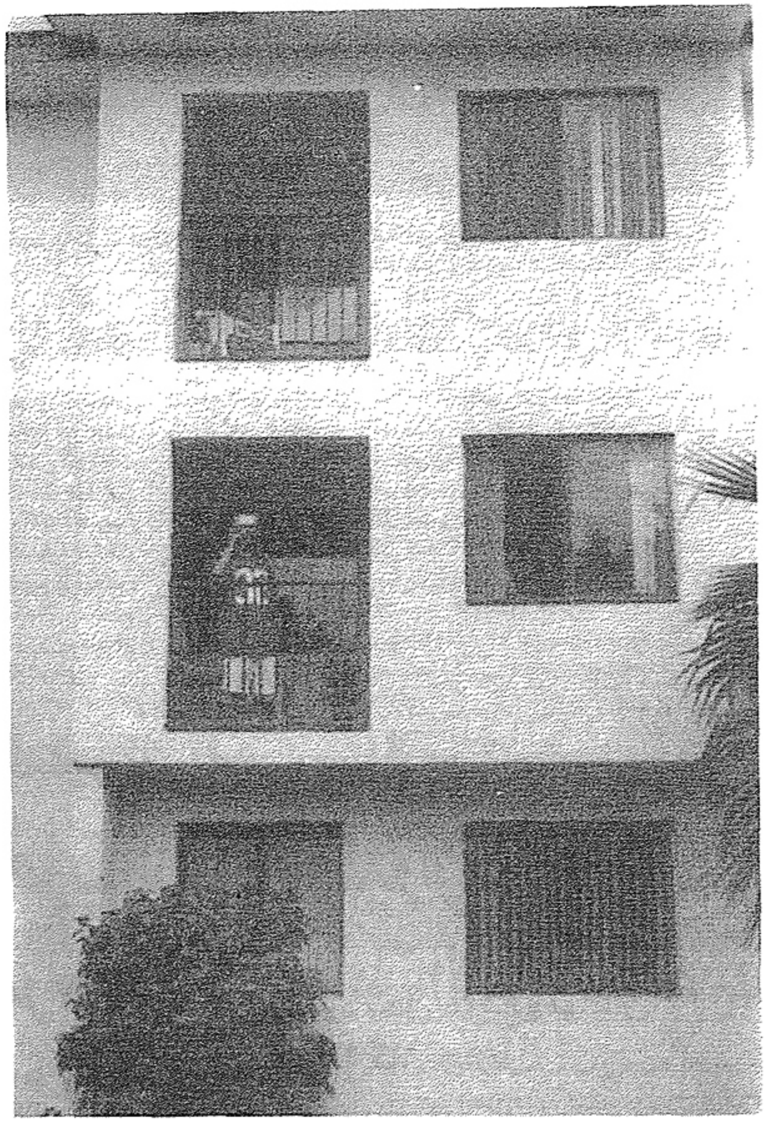
أمريكا تحترق



نظرة إلى المجهول



القوة أيضا.. تبكى



المنزل الذى كان يقيم فيه محمد عطا
أحد منفذى عمليات ١١ سبتمبر



أقتلوا العرب.. رد فعل سريع ومباشر
ويبدو أنه كان جاهزاً

الفهرس

الصدمة



■ نعوم تشومسكي واحداً من أهم المفكرين والناشطين السياسيين اليهود ومن أهم المحاضرين في المجالات الفلسفية والسياسية واللسانيات وله فيها كتب كثيرة ويبدى آراء وتحليلات هامة تستحق الأطلاع.

ان حدث ١١ سبتمبر هو شيئ جديد تماماً فى السياسة العالمية لأنها المره الأولى بالنسبة للولايات المتحدة التى تهاجم فيها البلاد منذ الحرب الأهلية عام ١٨١٢ والهجوم كان مفاجأة ... وصدمة كبيرة للمخابرات الغربية كافة والأمريكية خاصة.

وقد كان رد الفعل المباشر هو ... الصدمة ... الجنون ... الحنق ... الرعب والرغبة فى الأنتقام.

وفى البداية استخدمت الولايات المتحدة مفردات (حرب صليبية) فى حربها المزعومة ضد الارهاب.

هل كانت حرباً موجهة ضد العولمة ....

يتفق الجميع أن ١١ سبتمبر غيرت حياتنا إلى الأبد وان هذه التغيرات ستعنى اشياء تبدأ من التحديات فى الحياة اليومية وتنتهى باستراتيجيات كونية.

إنها حرب من نوع جديد ... حرب تحت الحزام ■.

الناشر

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

W. Salama 0101517873